طبعة جديدة

وليم شكسبير

هاملت

متبوع بـ :

عطيل





مسرحيات شكسبير
هاملت متبوع بـ : عطيل

موفم
للنشر

الأنيس
السلسلة الأدبية
تحت إشراف مصطفى سواق

وليــم شكسبيــر

هاملت متبوع بـ : عطيل

مسرحيات

تقديم : أبو العيد دودو



مـوفم للنشر

من مؤلفات وليم شكسبير

تيتوس أندرونيكوس
روميو وجولييت
تيمون الأثيني
تاجر البندقية
حلم منتصف ليلة صيف
كما تهواه
ترويلوس وكريسيدا
ضجة فارغة
ريتشارد الثاني
ريتشارد الثالث
أنطونيوس وكليوبترا
كوريولانوس
سيمبلين
بركليس
حكاية الشتاء
الملك هنرى الرابع
سيدان من فيرونا
ترويض النمرة
الملك جون
الملك هنرى الثامن

تقديم

يقول شكسبير في مسرحية «كما تهواه» على لسان جاك :

«العالم كله مسرح، وما الناس من رجال ونساء حين يغدون وحين يروحون إلا ممثلون، وقد يقوم الرجل في عصره بعدة أدوار.» وقد قام شكسبير في عصره بعدة أدوار فعلاً، فكان ممثلاً، ومخرجاً، وكاتباً مسرحياً، وشاعراً، ولربما كان في نهاية المطاف مزارعاً أيضاً، يغرس في ضيعته وحديقة منزله بعضاً مما وصفته ريشته المبدعة من وزود ونباتات وأزهار حتى يظل لها وجودها خارج ذاته بصورة من الصور. ويخيل إلي أنه لما يزل – بعد موته بما يزيد عن أربعمائة وخمسين سنة – يوحي لكل عصر بأدوار معينة، فيسند بعض هذه الأدوار إلى المعجبين به، والمعجبين بعبقريته الفذة، ويسند إلى الحاقدين عليه، والحائرين في أمره بعضها الآخر، على الطريقة التي كان يوزع بها الأدوار في مسرحياته على الممثلين أو على الشخصيات المسرحية الفريدة، ليقوم كل أولئك بالأدوار، التي كان عليه أن يقوم بها هو نفسه فيما لو ترك لنا سيرة ذاتية

أو شيئاً قريباً من ذلك، نجد فيها الحل لكل مشكلة تثار حوله.

ولهذا لا يكا د يقترب منه باحث أو ناقد، كيفما كان موقفه منه ومن عبقريته الفريدة، حتى تنتابه الحيرة أمام عمق أفكاره، وسعة مداركه في كل ما يتناوله من موضوعات، يصل بها إلى أدق الخواطر، وأبلغ العواطف والمشاعر وكأنه يستخرجها من أغوار في أعماق النفس الإنسانية لا يعرفها غيره. ومن هنا يستكثر عليه بعض النقاد ما تركه لنا، ويحاولون أن ينزعوا عنه دوراً من تلك الأدوار أو قسماً منها. فنجد هذا يثير مشكلة هويته وهل وجد فعلاً، وذاك يثير مشكلة نسبة مؤلفاته إليه، وذلك يثير مشكلة نسبة أشعاره الغنائية أو مشكلة سرقاته بشكل عام، وما أشبه ذلك. ولا شك أن هذه الأدوار لن تنتهي ما دام هناك بشر يتمثلون وينفعلون، ويفكرون ويشعرون. وبقاء هذه الأدوار الشكسبيرية، بكل ما فيها من أسرار في التمثيل، وفي الإخراج، وفي المسرح، وفي الشاعرية، وفي العبقرية ذاتها، هو بالذات ما يحول بين الدارسين، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وجنسياتهم، وبين معرفة الحجم الحقيقي لشكسبير العملاق في حسه المسرحي الفذ، وشاعريته الفائقة، وفكره الخالد. وإنه ليبدو وكأن شكسبير قد توقع ما سيسيل من حبر في الكتابة عن أدواره قصد الوصول إلى معرفة حقيقته، وحل ألغازه، والكشف عن أسراره العميقة، فحكم بطريقة حاسمة على قيمة ما سيكتب عنه في كل العصور، وصاح ساخراً على لسان

بطل من أبطال مسرحيته «ترويلوس وكريسيدا» المتنورين: كلمات، كلمات، ولا شيء غير الكلمات!

لقد عاش شكسبير في عصر، لم يعرف نسبياً الكثير من الإضطرابات، التي عرفتها بعض البلدان الأخرى، ومنها ألمانيا على سبيل المثال، حين أخذ يتبنى الأفكار الجديدة، والتطورات المهمة، التي عاشتها شعوب أوربا في القرن السادس عشر في مجال النهضة من جهة، وفي مجال الإصلاح الديني من جهة أخرى. صحيح أن ذلك كله قد تم في عصره خلال حقبة متأخرة بالنسبة إلى دول أخرى مثل إيطاليا، التي كانت قد عرفت قبل ذلك ثورة في الميادين الفكرية والفنية، تمثلت في نشر العديد من الأعمال القيمة وبعث التراث الأدبي والفلسفي، الذي تركه اليونان والرومان، إلاّ أن حركة التطور فيه كانت – ربما لذلك بالذات – أسرع وأشمل.

فإذا كان الملك هنري السابع (1457 - 1509) قد وضع حداً لحروب الوردتين (1455 - 1487)، شعاريْ الأسرتين المتحاربتين، عندما تزوج، وهو من أسرة لانكيستر (الوردة الحمراء)، من اليزبيث، وهي من أسرة يورك (الوردة البيضاء)، وجمع بذلك الأسرتين في أسرة واحدة، فإن هنري الثامن (1491 - 1547)، ابنَهُ وخلفَهُ، قد تمرد على البابا وتجرأ على فصل الكنيسة الانجليزية عن الكنيسة الكاثوليكية في روما، التي كانت تعتبر المنبع الثقافي والسلطة الروحية منذ قرون عديدة، وبدأ بسلسلة من الاصلاحات الدينية

والبرلمانية، مكنته من تدعيم سلطة التاج وإرساء الدولة على قاعدة متينة، ثم كلّل ذلك بالقضاء على الأسطول الأسباني (1588)، وهو ما أتاح للأسطول الانجليزي السيطرة على البحار، فأصبح لا يزاحِمُها فيها أحد، فتطورت في انجلترا التجارة والصناعة تطوراً كبيراً.

وبذلك عرف عصر النهضة في انجلترا شكلاً متميزاً، تمثل بالدرجة الأولى في السعي إلى تحقيق الوحدة القومية ضمن حكومة مركزية، تسهرُ على تديم كل مؤسساتها الوطنية، السياسية والاجتماعية والدينينة على حد سواء، حتى تستطيع مواجهة التكتلات الإقطاعية، ومجابهة المؤثرات الخارجية، التي قد تسيء إلى وحدة الوطن، وحرية الفرد، التي كانت قد بدأت تتجلى إلى حد كبير في الفكر والفن والعلم والفلسفة، ولا سيما بعد أن عادت الفئات المتعلمة، التي تميزت بنشاطها الذهني المتنوع، إلى اللغة الانجليزية وطورتها وجعلت منها أداة للتعبير في كل المجالات الفكرية والأدبية والعلمية باعتبارها مظهراً من مظاهر الاعتزاز القومي، والأنفة الوطنية.

كانت ولادة شكسبير، واسمه يعني، كما يقول مؤرخو أدبه، حامل الرمح، في 23 أبريل عام 1564 ببلدة ستراتفورد ابون آفون، والتحق بمدرستها النحوية. وفي هذه المدرسة قرأ أوفيد (43 ق م – 18 ب م) وغيره من الشعراء الرومان في اللغة الأصلية واكتسب كذلك معارف تاريخية وتزود بثقافة متنوعة عامة. ويبدو أنه ترك المدرسة في وقت مبكر نسبياً، لأن

وضعية أبيه الاقتصادية كانت قد ساءت إلى درجة كبيرة. وَقِصَرُ فترته الدراسية هذه جعل بعض الدارسين ينظرون إليه على أنه كان نصف متعلم، وبعيداً عن الثقافة الحقة، على أن هذه النظرة تتعارض مع ما تدل عليه أعماله من عمق الثقافة وسعة المعرفة. وكيفما كان الأمر فقد ذكر أنه عمل في حوالي 1571 فترة وجيزة في مدرسته هذه، ثم تعلم صناعة الجزارة، ولعل مؤرخي الأدب لم يذكروا ذلك عنه إلاّ ليبرروا ما سال من دماء في أعماله المسرحية!

وقد ذكر أيضاً أنه عمل كاتباً عند أحد المحامين، وتزوج بعدئذ من آن هاثواى في نوفمبر عام 1582، فَوُلِدُ له أطفالٌ، من بينهم توأمان، ذكر وأنثى. إلاّ أن شكسبير لا يلبث أن يختفي من بلدته لأسباب غير معروفة، ثم نجده في الفترة الموالية، أي في حوالي سنة 1591، في لندن، يحاول فيها الحصول على بعض المال، وربما الوصول إلى الثروة. واشتغل في ميدان المسرح، وذلك بصفته ممثلاً عادياً، ولعله كان قد ذهب إلى لندن لهذا السبب، غير أنه ما فتىء أن اكتشف موهبته في كتابة المسرحية، فأقبل بعدئذ على التأليف، وأخذ يؤدي بعض الأدوار في المسرحيات، التي كتبها بنفسه، فسمح له ذلك بالتردد إلى أوساط البلاط من ناحية، ومكنته من جمع الثروة، التي كان يطمح إلى جمعها، من ناحية ثانية. فاشترى بيته في نيو بلاس بمسقط رأسه، وابتعد عن المسرح وهو في الثامنة والأربعين من عمره، ورجع عام 1612 إلى ستراتفورد، وأقام بها إلى أن وافاه أجله في 23 أبريل، وهو اليوم الذي ولد فيه،

من عام 1616 ودفن بمقبرة الكنيسة في بلدته، التي أصبحت مزاراً، يؤمه عشاقه ومريدوه من جميع أنحاء العالم.

وقد وصلنا من أعمال شكسبير مَلَكياتُه أو مسرحياته التاريخية، وعددها عشر مسرحيات، ورومانياته، وعددها أربع مسرحيات وأشهرها يوليوس قيصر، ورومانسياته، وعددها أربع أيضاً، أشهرها العاصفة، ومآسيه، وعددها سبع مسرحيات، وأكثرها شهرةً: هاملت ومكبث ولير وعطيل، وملاهيه، وعددها ثلاث عشرة مسرحية، وبذلك يبلغ عدد ما تركه لنا من أعمال مسرحية، سبعة وثلاثين عملاً مسرحياً. يضاف إلى ذلك أربعة دواوين موزعة على الشكل التالي هو قصيدتان قصصيتان، وهما «فينوس وأدونيس» و«اغتصاب لوكريسيا»، ثم قصة رمزية، وهي «العنقاء واليمامة»، وأخيراً الموشحات أو السونيتات المتميزة.

وما فتيء شكسبير يخاطبنا من خلال هذه المؤلفات، التي لما تزل مليئةً بالقوة والحياة، مفعمةً بالفتوة والنشاط، كما كان يخاطب أناس عصره، وقد تكون مخاطبته لنا اليوم أرقى وأبلغ، لأن تركيزه على أعماق المستقبل الأبدي جعل بصيرته تنأى عن الجوانب والسطوح، ومثل هذه النظرة المستقبلية مما يدخل في عمق الموهبة الأصيلة، وقد كان شكسبير موهبة أصيلة فريدة. ومن المؤكد أنه قد وجد قبله وبعده من فاقه، كما يرى كارل بوسه، في هذه المسألة أو تلك، - دانته في قوة الأفكار وغوته في عمق العواطف مثلاً -، إلاّ أنه لا أحد يضارعه في القدرة على التصوير والتشكيل والخلق. ومن ثم لا تصح مقارنته بأي

شاعر أو كاتب آخر حتى في تلك الفترات التي تكثر فيها العبقريات. وقد عرف عصره حقيقة عدداً من العبقريات الأجنبية، كانت لها مساهماتها المتميزة في مكتسبات عصر النهضة، إذ عرفت إيطاليا إلى جانب أريوستو (1474-1533) وتاسو (1544-1595) رسامين كباراً، وعرفت أسبانيا سربنتيس (1547-1616) ولوبي دوفيغا (1562-1635) إلى جانب الرسام بيلاسكيس (1599-1660) كما عرفت ألمانيا هي الأخرى مُصلحها مارتين لوثر (1483-1546) ورسامها ألبريخت دورر (1471-1528)، أما انجلترا فلم تعرف شيئاً من هذا النوع. وفجأة ظهر شكسبير في أفق خاص به وحده وكأنما تجمعت فيه العبقرية الفنية للشعب الانجليزي كله.

على أنه لا ينبغي أن يفهم من هذا أن شكسبير كان وحده في ميدان الشعر والمسرح والأدب بشكل عام، فقد كان هناك شعراء وكتاب مسرحيون وروائيون، قد تنحصر قيمتهم على نحو ما في أنهم سبقوا شكسبير بفترة طالت أو قصرت، وتركوا أثرهم في مؤلفاته سلباً حيناً وإيجاباً حيناً آخر. ولنذكر من هؤلاء جون ليلي (1553-1606) الذي نشر عام 1579 رواية بعنوان (أويفويس أو تشريح الذكاء) في جزء واحد، ثم أضاف إليه جزءاً ثانياً تحت عنوان مختلف قليلاً، وهو «أويفويس وانجلترته (1580)»، والموضوع فيهما ثانوي إلى حد بعيد. فالكتاب عبارة عن طريقة يتعلم منها الإنسان كيف يصبح ظريفاً أو كيف يستطيع أن يظهر كذلك. ومن هنا يتم التركيز بالدرجة الأولى على طريقة التعبير، التي تتخذ شكلاً غريباً،

يقوم على الإفراط في الزخرفة اللفظية، والصور البلاغية، والتلاعب بالألفاظ ووضع المعاني البسيطة العادية في ثوب قشيب، وقد تأثر شكسبير بهذا الأسلوب، الذي اشتهر تحت مصطلح «الاويفويزمية»، في مسرحية «جهد الحب الضائع» وغيرها.

ومن هؤلاء الكتاب أيضاً روبيرت غرين (1560 - 1592)، الذي وضع رواية «بندستو أو انتصار الزمن (1588)» وقد حظيت هذه الرواية بشهرة كبيرة باعتبارها مصدراً لمسرحية «حكاية الشتاء» لشكسبير، فقد نقل منها فقرات كاملة دون تغيير كبير، إلاّ أنه كان في ذلك حريصاً على تغيير مجرى الأحداث، بحيث جعل القصة تنتهي نهاية مختلفة. ويبدو أن علاقة شكسبير بروبيرت غرين لم تكن جيدة، فهو يتهمه في كتاب له بعنوان «عقل بفلس واحد (1592)» بأنه يسلخ مؤلفات غيره سلخاً، وما هو إلاّ «غراب صاعد، يتزين بريشنا ويتصور، وقد أدخل في ثياب ممثل بقلب كقلب النمر، أن في وسعه أن يكتب الشعر المرسل كما يكتبه أفضل الشعراء... ويزعم أنه (هَزّازُ الستار=شكسسين) الوحيد في البلاد.» ولعل غرين يشير هنا إلى مؤلفات أخرى لم تصلنا، تأثر بها شكسبير، ذلك أن «حكاية الشتاء» كتبت في وقت متأخر. ولكن شكسبير تأثر من ناحية أخرى برومانسية غرين، وخاصة بملهاته «القصة الشريفة للأخ بيكون والأخ بنغي (1591)»، ويظهر هذا التأثير بوضوح في مسرحيته «حلم منتصف ليلة صيف»، غير أن شكسبير

أعطاها على عادته الشكل النموذجي النهائي الخاص به وحده.

ومن أهم معاصريه أيضاً كريستوفر مارلو (1564 – 1593)، الذي مات قبل أن تتبلور عبقريته وتصل بُعْدَهَا الحقيقي، وقد يكون من الطريف أن نذكر بهذا الصدد أن هناك من مؤرخي الأدب من يزعم أن مارلو لم يمت حين غرز زميله انغرام فرايزر الخنجر في جمجمته، وإنما نجا من ذلك وعاش متخفياً يكتب المسرحيات لينشرها شكسبير ناسباً أياها إلى نفسه! ويدخل هذا بطبيعة الحال في باب نزع الريش عن شكسبير العظيم! وكيفما كان الأمر فإن مارلو كان يحب أن يضع العظماء من ملوك وثوار وفاتحين ودهاة في مركز كل حدث من أحداث مسرحياته، وهكذا تركت مسرحيته «تمبرلين العظيم (1587)» أثرها في مسرحية «تيتوس أندرو نيكوس» لشكسبير، كما أن شخصية شيلوك في «تاجر البندقية» تعتبر في واقع الأمر نسخة أخرى من «يهودي مالطة (1590)» لمارلو، يضاف إلى ذلك أثر مسرحية «ادوارد الثاني (1592)» في بعض المسرحيات الملكية لشكسبير.

ولا ينبغي أن ننسى كذلك معاصره الشاعر توماس كيد (155? - 1594)، الذي وضع مسرحية، سبقت مسرحية «هاملت» لشكسبير، إلاّ أن هذه المسرحية التي تحمل نفس العنوان لم تصل إلينا. ومع ذلك تأثر شكسبير نوعاً ما بمسرحية أخرى لكيد، وهي مسرحية «المأساة الاسبانية»، التي تمتلىء بمشاهد الدم والهوس والجنون،

وتتضمن عدة مشابهات، تعيد إلى أذهاننا مشاهد من مسرحية هاملت. وسوف نعود إلى الحديث عن هذه المشابهات عند الحديث عن المسرحيات مفردةً. هذا ولا يسمح المجال بذكر شعراء آخرين عاصروا شكسبير وأثروا فيه بشكل أو بآخر.

كان شكسبير إذن في عصره شاعراً من بين مجموعة من الشعراء، أعجب به الناس وصفقوا له كما صفقوا لغيره وأعجبوا به، ولكن دلالته بالنسبة إلى الأجيال والعصور كانت من العظمة بشكل لم يكن يتوقعه معاصروه. ولقد أعجبني تشبيه كارل بوسه، وهو من مؤرخي الأدب العالمي المعروفين، له بسلسلة جبلية، تنمو وتنمو إلى أن تتحول في النهاية إلى قمة جبارة، تعلو كل القمم الأخرى، ولكنها تبقى مع ذلك حلقة في تلك السلسلة، لا يمكن، مهما سمت، أن توجد بدونها. وقد لا يرى المرء عظمة تلك القمة حين يقف في سفح الجبل، على أنها تزداد علواً كلما ابتعد عن السفح إلى أن يختفي كل ما حولها من قمم وتظل هي وحدها شامخة في صفحة الأفق. وهذا يعني بعبارة أخرى أن معاصري شكسبير من شعراء وكتاب مسرحيين قد اضمحلوا ليعيشوا في أعماقه، فقد كانوا كلهم بمثابة السلّم الذي يقود إليه. ذلك أنه كان يتمم ما بدأوه، ويبدع شكلاً لما حلموا به وتصوروه من غير أن تسعفهم طبيعتهم الفنية في العثور على إطار واضح يستوعب كل أبعاده، فكان كل ذلك أساس شهرته في عصره وفي العصور المتأخرة إلى يومنا هذا.

وقد أعجب الناقد الألماني هيردر (1744 - 1803) بعبقرية شكسبير إعجاباً فائقاً، فاعتبر المسرحية الشكسبيرية مغايرة للمسرحية السوفوكليسية، لا تكاد تجتمع معها حتى في الإسم، إلاّ أنه يعتبر شكسبير من حيث النواة المأساوية أخاً لسوفوكليس، فهو يبدو مختلفاً عنه، ولكنه في أعماقه يشبهه تماماً. وقد جعله إحساسه بأن شكسبير أقرب إلى نفسه من الشاعر اليوناني يخاطب أرسطو (384 - 322 ق م) قائلاً: «لو أنك عدت إلى الحياة، يا أرسطو، أكنت تجعل من سوفوكليس الجديد هوميرَ؟ أتراك كنت تضع عنه نظرية جديدة، لم يضعها عنه حتى مواطنوه هوم وهورد وبوب وبن جونسون؟ . . . هل كنت تقول لسوفوكليس: ارسم الواجهة المقدسة للمعبد! أما أنت، أيها الباردي الشمالي، فعليك أن تضمن شعرك الخالد كل جهات هذا المعبد مع ما فيها من جدران!» لقد رأى هيردر في مؤلفاته ما رآه في الطبيعة من عظمة وعمق، فشخصيات شكسبير هي الطبيعة.

ولم يكن الفيلسوف شوبنهاور (1766-1838) يتردد لحظة واحدة في تفضيل شكسبير على غيره، فهو يقول: «أنا أؤمن بأن المسرحية الجديدة أرفع مكانة من المسرحية القديمة. شكسبير أعظم بكثير من سوفوكليس.» وقد آلمه أن يُنسى شكسبير بعد موته بما يزيد عن قرن كامل، فعبر عن أمله هذا قائلاً: «حظ الكبار في هذه الدنيا أنهم لا ينالون ما هم جديرون به من اعتراف واحترام وتقدير إلاّ بعد موتهم. إذا ما استطاع شاعر بعد الكثير من العنت والجهد الوصول إلى مكانة

مرموقة، فإنه لا يلبث أن يفقد مجده وشهرته بظهور مقلد ما يعتبره الناس مساوياً له بحيث لا يرون ما بينه وبين الدعي الجديد من فروق. ولك أصاب الشاعر الذي قال:

في كل حين يتذوق الشعب البليد
الجيد والرديء بشكل مُتَسَاوٍ.

وهذا تخلت مسرحيات شكسبير عن مكانتها لمسرحيات بن جونسون وماسيغر وبومونت وفليتشر مدة طويلة.»

أما الناقد الشهير غوتهواد ليسينغ (1729–1781) فقد كان بدوره يعتبر شكسبير بصفته شاعراً مأساوياً أعظم بكثير من الشاعر الفرنسي كورناي (1606–1684) رغم أن هذا كان يعرف اليونانيين القدامى معرفة جيدة. فبينما كانت معرفة شكسبير بهم معرفة شبه معدومة، كان كورناي ضليعاً في معرفة فنيات المسرح اليوناني وجمالياته، ومع ذلك كان شكسبير أقرب إلى اليونان في كل ما يتصل بالمسائل الجوهرية. فالانجليزي يبلغ دائماً الهدف من المأساة مهما كانت الطرق الخاصة التي يختارها، ولكن كورناي لا يصل إلى ذلك مع أنه كان يسير فوق الطرق الممهدة التي سار عليها اليونان قبله.

وعلى مثل هذه الآراء قام مجد شكسبير في ألمانيا المتنورة، وإذا كنتُ قد ركزتُ على أقوال بعض المفكرين الألمان في عصر التنوير فما ذلك إلاّ لأنهم كانوا هم الذين اكتشفوا عظمة شكسبير حتى بالنسبة للانجليز، أبناء وطنه، إذ اعتبروه، في ترجمته الألمانية، من تراثهم القومي الخالد، ولقد خلد كل من أوغست فيلهلم شليغل (1767–1845) ولودفيغ تيك

(1773-1853) بترجمتهما لأعمال شكسبير أكثر مما خلدا بمؤلفاتهما الخاصة. أما الشاعر العظيم فولفغانغ فون غوته (1749-1832) فقد حسم أمر شكسبير بكلمات قليلة خلال حديثه عنه مع ايكرمان (1792-1854)، فقال: «إننا لا نستطيع الحديث عن شكسبير إطلاقاً. لقد تعرضت لموضوعه في كتابي «فيلم مايستر»، ولكن ذلك لم يكن يعني الكثير. إنه ليس كاتباً مسرحياً ولم يفكر في المسرح، لقد كان المسرح أضيق من أن يتسع لفكره العظيم. كان العالم المرئي بالنسبة إليه ضيقاً إلى أبعد الحدود.».

ولنأت الآن إلى مسرحية هاملت، التي يبدو أن النقاد ومؤرخي الأدب لم يكتبوا عن أية مسرحية أخرى من مسرحيات شكسبير مثل الذي كتبوه عن هذه المسرحية، ومع ذلك فإنها لا تزال لغزاً كصاحبها سواء بسواء. وقبل أن نتعرف عليها عن قرب نعود أولاً إلى «المأساة الاسبانية» لتوماس كيد، التي سبق ذكرها، لما بينها وبين مسرحية هاملت من صلة واضحة لا من حيث الموضوع فقط، وإنما من حيث ما تعانيه الشخصية الرئيسية من هوس وعذاب وجنون أيضاً. وقد كانت لمسرحية كيد أهمية كبيرة في المسرحية الاليزابيثية، لأنها هي التي رسخت موضوع الثأر في المسرح الانجليزي، بعد أن كان هذا الموضوع خاصاً بالمسرح الروماني وحده، ولا سيما عند سنيكا، وان كانت له جذوره اليونانية القديمة.

وخلاصتها أن بيل - امبيريا تحب هوراشيو، على أن حبها له لم يكن يخلو من غرض، فهي تريد منه أن يساعدها على الانتقام من بلتزار، الذي كان قد قتل حبيبها أندريا، غير أن بلتزار نفسه يحب بيل - امبيريا ويغار عليها من هوراشيو، ويحاول الوصول إلى قلبها بمساعدة أخيها لورانزو. وحين ترفض الاستجابة لرغبته، تثور ثائرته ويقتل هوراشيو بتواطىء مع أخيها. وعندئذ يجن جنون هيرونيمو، وهو أبو هوراشيو، وينطلق في البحث عن قاتل ابنه، وفي آخر الأمر تبوح له بيل - امبيريا باسم قاتله، ومع ذلك يتردد في الثأر لابنه، بل يتردد حتى في توجيه التهمة إلى القاتل، ويشرع في البحث عن دليل ثابت يقنعه بجريرة عدوه. ثم يعثر على هذا الدليل عند لورانزو، فيطلب مقابلة الملك، ليطلب منه الاقتصاص من القاتل، ولكن طلبه يرفض لأسباب عديدة، من بينها ما كان يصدر عنه من تصرفات جنونية. وحينئذ يفكر هيرونيمو في الانتقام من عدوه وقاتل ابنه انتقاماً شخصياً. وبعد فترة من الحيرة والتردد يلجأ إلى تنفيذ خطته البارعة لمعرفة القاتل والتأكد من جريمته ومعاقبته على ما جنته يداه. فيطلب من بلتزار ولورانزو أن يشتركا معه ومع بيل - امبيريا في تمثيل مسرحية «سليمان وبرسيدا» إكراماً للضيوف الكبار الذين جاءوا للمشاركة في حفل توقيع عقد الصلح بين أسبانيا والبرتغال. وتتضمن المسرحية خلاصة للأحداث الحقيقية التي أدت إلى مصرع هوراشيو، ولكن هيرونيمو وبيل - امبيريا يجعلان من المسرحية مشهداً دموياً جاداً، فيقتلان القاتلان، ثم يقدمان

على الانتحار فوق المنصة، وبذلك يضع هيرونيمو نفسه مع القتلة في مرتبة واحدة، وهذا شيء أباحه لنفسه بنفسه دون الرجوع إلى سواه.

ولكن كيد ليس هو المصدر الوحيد، الذي قامت عليه مسرحية هاملت، فقد أشار الكاتب الانجليزي نيكولاس رو (1674-1718) في المقدمة التي كتبها لأعمال شكسبير في مطلع القرن الثامن عشر إلى أن مسرحية هاملت تشبه في مضمونها وبنائها مسرحية أليكترا لسوفوكليس (497-406 ق م). فنحن نجد في كلتا المسرحتين رجلاً شاباً يبحث عن طريقة تمكنه من الإنتقام لمقتل أبيه، ولا تقل أم أي منهما ذنباً عن الأخرى، إذ هما متساويتان فيه، فقد كانت كل منهما شريكة في مقتل زوجها، وتزوجتا بالقاتل، غير أن الكاتب اليوناني جعل بطله يلطخ يديه بدماء أمه ويقتلها بنفسه، وكانت أخته تشجعه على الانتقام، بينما بقيت يدا هاملت طاهرتين من دماء والدته، لأن الطيف طلب منه وألح في الطلب على أن يبقي عليها وألا يتعرض لها بسوء وأن يترك عقابها لمن هو أقدر على ذلك منه.

وهناك مصدر ثالث لمسرحية هاملت، تحدث عنه مؤرخو الأدب، ولعله كان أيضاً أساساً لمسرحية توماس كيد المفقودة، وهو كتاب تاريخ الدانيين (هستوريا دانكا)، الذي وضعه المؤرخ الدنماركي ساكسوغراما تيكوس (1150-1220)، فقد تحدث فيه هذا المؤرخ لأول مرة عن فينغو، الذي قتل أخاه هورفنديل، حاكم يوتلاند، وتزوج زوجته غيروتا، ابنة ملك

البلاد. فتظاهر ابنها أمليتوس بالجنون حتى يتمكن من الانتقام لمقتل أبيه، غير أن الملك خامره الشك في جنونه، فكلف إثنين من رجاله بمراقبته كما كلف إمرأة واقعة في حبه، وكانت صديقة له منذ الطفولة، بأن تكثر من التقرب إليه وأن تحاول استلال سره منه، ولكن أمليتوس يبدي حذراً شديداً ويتهرب منها. وعندئذ يتظاهر الملك بالسفر بتحريض من أحد مستشاريه، فيجتمع أمليتوس في أثناء ذلك بأمه ويعاتبها عتاباً مرأ على ما فعلته، ويتمكن في النهاية من الحصول على وعد بمساعدته في الانتقام لوالده. ويكتشف خلال حديثه معها وجود مستشار الملك خلف الستار، فيرفع سيفه ويطعنه قبل أن يتحقق من شخصيته. وبعد قتل المستشار يقرر الملك إرسال أمليتوس إلى انجلترا، ويوجه معه رسالة يطلب فيها من تابعه، حاكم المقاطعة التابعة للدنمارك، أن يقتله، غير أن أمليتوس يسيء الظن بالملك وبرسالته، فيحتال للوصول إليها، وحين يتأكد ظنه، يمحو اسمه من اللوحة الخشبية، التي كان قد كتب فيها، ويضع مكانه إسمي مرافقيه. وما أن تمضي سنة على ذلك، حتى يعود، كما كان قد اتفق مع أمه، إلى الدنمارك ويشعل النار في القصر في وقت أقيمت فيه حفلة من الحفلات، ثم يمضي إلى غرفة الملك ويجهز على حياته.

وكان الأديب الفرنسي بيلفوريست قد أخذ موضوع هاملت ونشره ضمن كتابه «تواريخ مأساوية (1570)، وقد ترجمت القصة إلى الانجليزية ونشرت تحت عنوان «قصة هاملت» عام 1608. ومن الجائز أن يكون شكسبير قد اطلع على النسخة

الفرنسية قبل أن يطلع على الترجمة الانجليزية أو استمد الموضوع من الفرنسيين الذين كانوا يترددون إلى انجلترا. ولا يستغرب في الواقع تناول موضوع من هذا النوع، لأنه ملائم للذوق الاليزابيثي تماماً. لذلك ظهرت عام 1602 مسرحية عن هاملت من تأليف شكسبير، بعد مسرحية كيد بطبيعة الحال. ورغم ما أحرزته مسرحية شكسبير من نجاح، فإن الشاعر أعاد، بل ظل يعيد النظر في المسرحية مبتعداً عن الأصل قدر الإمكان، وهكذا أصبحت الصيغة، التي صدرت عام 1604، نسخة معتمدة، قدر لها أن تعرض في جميع أنحاء العالم قاصيه ودانيه.

فلم يعد بطلها ذلك الابن المتعطش للدم، الذي يريد أن يثأر لأبيه ويقتل القاتل دونما تردد، وإنما هو مفكر نبيل قلق، يمثل بداية القرن السابع عشر، مرهف الحس، ميال للتفكير. ومع هذا فإن هاملت ليس إنساناً سلبياً، رغم ما يبدو عليه من تردد وحيرة، إذ هو يعرف هدفه منذ البداية. كل ما في الأمر أن ضميره يريد أن يتأكد قبل أن يقوم بأي عمل عادل يحرره من معاناته وعذابه. وفي الإمكان تقديم خلاصة موجزة لمسرحية هاملت الشكسبيرية هذه على الصورة التالية:

لقد مات ملك الدنمارك فجأة دون أن يعرف أحد لذلك سبباً، وبعد موته بفترة قصيرة تزوج أخوه كلاوديوس من زوجته الملكة، وارتقى العرش وكأنه كان وريثاً فعلياً للملك أخيه. وكان هاملت، ابن الملكة غيترود، قد عاد بهذه المناسبة من جامعة فيتمبيرغ بألمانيا، وهي الجامعة التي تخرج منها الدكتور

فاوست، إلى هيلسنغور، وفي ظنه أن أباه لم يمت ميتة طبيعية، فقد كان موته مفاجأة للجميع. وكان من الطبيعي أن يولد زواج عمه من أمه في نفسه مشاعر مؤلمة، فما هو بزواج تسمح به الشرائع، كما كان من الطبيعي كذلك أن يفقد ثقته بالمرأة التي تتمثل في أمه. وذات ليلة يظهر له طيف أبيه ويطلب منه أن ينتقم لمقتله من أخيه كلاوديوس، ذلك اللئيم الذي جرده من حياته وتاجه وزوجته. ويتعهد هاملت بالانتقام، ولكن ذلك لا يمنعه من أن يهتف بدافع الموقف الذي وجد نفيه فيه فجأة هو الآخر: ها هو الزمان قد اضطرب، وإنها لمكيدة لعينة أن أكون قد ولدت لأصلح ما اعتراه من اضطراب!

ومن هنا فإن هاملت لا يتساءل في البداية عن طبيعة الموانع التي يجب عليه أن يزيحها من طريقه لينفذ ما وعد به الطيف، وإنما يتساءل عما إذا كان ذلك ممكناً على الاطلاق. فهو يفكر ويفكر ويلوم نفسه على أنه يفكر، ولا يفتأ يسأل نَفْسَه عن حقيقة ذلك الطيف.. ألا يمكن أن يكون الشيطان نفسه قد اتخذ مظهر الطايف؟ وعلى هذا المنوال ينتقل المشكل من سطح الجريمة إلى الموقف الداخلي، الذي يتجسم في الأحاديث الطويلة، التي يلقيها هاملت بمفرده فوق المنصة، خاصة إذا نحن أخذنا بعين الاعتبار أن هاملت يتظاهر بالجنون، ومن ثم فإن عليه في الواقع أن يقوم بدورين، دور الشاب العاقل المتزن، ودور الشاب المهووس المختل، وعليه كذلك أن يقف موقفين مختلفين من أسرتين تربطه بهما روابط، أسرة الملك من جهة، وأسرة حاجبه بولونيوس من جهة أخرى، يمحض

الأولى كرهه وحقده، ويمحض الثانية حبه ومودته، في البداية على الأقل. وفي كلتيهما امرأة تربطه بكل منهما صلة، أمه التي لا يعرف مدى مشاركتها في الجريمة، وأوفيليا التي يكن لها الحب الكبير، ولكنه مضطر إلى أن يسلك معها سلوكاً آخر طبقاً لحالته المتأرجحة - ظاهرياً - بين العقل والجنون، وذلك ليسهل عليه اكتشاف المجرمين ومعاقبتهما - ويصل به حبه لأوفيليا، ولربما خوفه عليها من مصير مجهول، إلى أن ينصحها بالذهاب إلى الدير.

وينسب العجوز بولونيوس، أبو أوفيليا، سلوك هاملت الغريب إلى وقوعه في حب ابنته، التي لم تبادله حباً بحب، ويترصد هاملت من خلف الستار علّه يسمع حديثه وهو يكاشف أوفيليا، غير أن هاملت يظهر وحده وينطق بتلك الجملة الشهيرة: أن تكون أو لا تكون، تلك هي المسألة. فعبر بها عن قمة الحيرة التي كان يعاني منها. ولكن الملك كان يشك في أمر هذا الحب، ولم يكن يأتمن ابن أخيه، فكلف روزنكرانتس وغولدنستيرن، وهما صديقا هاملت، بمراقبته. وفي أحد الأيام حضرت إلى قصر ألسينور فرقة مسرحية، فاتفق هاملت مع الممثلين على تقديم مسرحية من تأليفه هو، تتضمن الأحداث التي رواها له شبح أبيه، بحيث تتضح من خلالها الطريقة التي تم اغتيال والده بها، وهذا ليتأكد عن طريق رد الفعل عند النظارة، ومنهم عمه كلاوديوس وأمه غيترود، من عملية الاغتيال التي تعرض لها أبوه في حديقة القصر. وقبل أن يصل الممثلون إلى نهاية المسرحية ينهض الملك غاضباً وينصرف

مدعياً أن توعكاً طرأ على صحته، ومعه حاشيته. وكانت المسرحية قد أبرزت دور ملك من الملوك وهو يقتل عن طريق صب الرصاص في أذنيه، وهي الطريقة، التي قتل بها كلاوديوس أخاه الملك.

وتأكد بذلك لهاملت ما كان قبل مجرد ظن من الظنون، وما أسرع ما تتاح له الفرصة لقتل الملك القاتل، غير أنه يتردد من جديد، ويعود السبب في هذا التردد إلى أداء الملك لصلاته، ولم يكن في نية هاملت، فيما يظهر، أن يتركه يموت في حالة من التوبة والقنوت والندم، فالملك عاجز عن الندم في هذه الآونة، فهو يعرف ذلك منه. وقد يكون كل هذا مجرد حجة أقامها هاملت على نفسه ليتجنب التسرع في إتمام المهمة الصعبة. وتستاء أمه من سلوكه خلال التمثيلية، فتدعوه إليها وتوبخه بعنف على ذلك، إلاّ أنه يثور فيها ثورة، ترغمها على أن تستغيث، وتهم بالانصراف فيحول بينها وبين ذلك، ويمسكها بالقوة ليطلعها على خباياها وعلى ما تضمره في أعماق نفسها. ويسمع عندئذ حركة خلف الستار، فيظنه الملك جاء يتجسس عليه، فيغرز السيف فيه من وراء الستار وكأنه يقتل فأراً، وحين يزيح الستار يجد أنه لم يقتل الملك، وإنما قتل حاجبه بولونيوس، والد حبيبته أوفيليا. ويعود إلى تعنيف أمه، التي دنست الطهارة وأساءت إلى عفة نفسها إساءة بالغة.

وبعد هذا الذي حدث يتفاقم خوف الملك من هاملت، فيقرر إرساله إلى انجلترا، وحمّل مرافقيْه إليها، روزنكرانتس

وغولدنستيرن، رسالةً إلى تابعه فيها، يطلب منه أن يقتل هاملت بمجرد وصوله إلى قصره، على أن هاملت يشعر بذلك، فيحتال للحصول على الرسالة، ويمحو منها اسمه ويضع اسم مرافقيه مكانه. وبينما واصل مرافقاه، بعد حادثة بحرية، رحلتهما إلى انجلترا ليلاقيا حتفهما، نجا هاملت من تلك الحادثة وعاد إلى الدنمارك، وإذا به يجد نفسه أمام جمع غفير، يضم عدداً من كبار رجال الدولة، يشيع جنازة، لم يلبث أن تبين أنها جنازة حبيبته أوفيليا، التي كانت قد تحطمت روحها واختل عقلها بعد موت والدها، بل بعد مقتله على يد حبيبها هاملت، فصعدت فوق إحدى الأشجار المنحنية فوق الغدير، وتعلقت بأحد أغصانها وهي تنثر الأزهار وتغني فوقعت في الماء بعد أن فقدت توازنها وغرقت بثيابها المثقلة ماءً.

والتقى هاملت مع أخيها لايرتيس، الذي كان قد عاد من الخارج بسبب مقتل والده، كما كان قد عاد هو نفسه إلى الدنمارك عندما قتل والده الملك، فمسك لايرتيس بخناقه حين نزل إلى القبر بدافع حبه لأوفيليا ورغبة منه في ألا يكون حزن أخيها عليها أكثر من حزنه وأبلغ، وفي أن يشارك في دفنها، ولكن الناس فرقوا بينهما، وكان قد قرَّ في أعماق لايرتيس أن ينتقم من هاملت، الذي كان - في اعتقاده - سبباً في مقتل والده وموت شقيقته، وما إن أدرك الملك ذلك منه، حتى اتفق معه على أن يبارز هاملت بصورة ودية في ظاهر الأمر، فتتهيأ له الفرصة بذلك لقتل هاملت بالسيف المسموم. ووافق هاملت

على مبارزة لايرتيس، فالأمر لا يتجاوز المنافسة البريئة في إظهار البطولة، وخاصة بعد أن صالحه وصفيت - في تصور هاملت - نفس كل منهما تجاه الآخر. وكان الملك قد أعدَّ - إلى جانب السيف المسموم - شراباً مسموماً أيضاً، يسقيه هاملت إن هو خرج من المبارزة منتصراً. وحين بدأت المبارزة أخذ لايرتيس يحتد فجأة، وتمكن بعد حين من إصابة هاملت إصابة قاتلة، لأنه كان يعرف مداها، ويتم تبادل السيفين في حدة المبارزة، فيلحق هاملت أيضاً جرحاً بلايرتيس. وعندما يشعر هذا بالسم يدب في أوصاله، يعترف لهاملت بأن السيف، الذي جرح به كل منهما مسموم، وأن الملك هو الذي دبر هذه المؤامرة على حياته. ويتصافيان من جديد، وكانت الملكة قد شربت في أثناء ذلك من تلك الكأس وهي لا تدري أنها مسمومة، فتقضي نحبها صائحة.. أواه حبيبي هاملت - الشراب، الشراب، لقد سموني!

وعندئذ يندفع هاملت نحو الملك ويطعنه طعنة قاتلة ويفرغ بقية الكأس في فمه، ثم يلفظ أنفاسه بعد أن نطق بآخر جملة معبرة، هي: «والبقية صمت!» ويرد هوراشيو على هذه الجملة قائلاً: «الآن تحطم قلب نبيل!» وهذه الكلمة تعبر عن صفاء المعدن، الذي صيغت منه طبيعة هاملت، تلك الطبيعة، التي كانت ستجعل منه، كما قال فرنتبراس في نهاية المسرحية، ملكاً عظيماً، لو أمهلته الأيام وأتاحت له أن يرتقي العرش ويمارس الحكم.. بطلاً من أبطال الملوك العظام.

لقد اتخذ شكسبير من شخصية هاملت وسيلة، على حد تعبير إيفانس، يستعرض من خلالها حيرة الإنسان وتردده بين رغبته في القيام بعمل حاسم، يرضي ضميره ووجدانه وبين رغبته في التفكير فيما قد ينتج عن ذلك من تبعات ومواقف، أو بعبارة أخرى تردده بين الأخذ بالثأر وبين ترك الأمر للعدالة العلوية. ويقول غوته عن تردد هاملت في قتل القاتل خلال خمسة فصول كاملة: «إن هاملت رجل شاب لطيف، ذو خلوقية صافية سامية، إلاّ أنه تنقصه الحيوية العصبية التي تصنع البطل.. فالثأر عمل أنيط بروح لا طاقة لها به.» وهو عمل ليس مستحيلاً في حد ذاته، وإنما هو مستحيل بالنسبة إليه. ويرى كارل بوسّه أن شكسبير لم يقدم من نفسه في أية مسرحية أخرى ما قدمه منها في مسرحية هاملت، فقد وضع فيها كل تجاربه وعذاباته، وكل مراراته وشكوكه، فانغمس في مجاهل الحياة كلها ليبرز هذه الصورة الروجية، التي تأصلت في سحب الشمال وغيومه كما تأصلت صورة روميو وجولييت في ألق الجنوب وتوهجه وشمسه الدافئة.

ومع ذلك فإن خصوصية هاملت تبقى تدعو كل عصر، بل ربما كل جيل من الأجيال، إلى أن يجد لمشكلته ولما يتطلبه دوره الغامض، حلاً جديداً خاصاً به لا يشاركه فيه غيره، لا في تصوره ولا في صياغته.

نشأت مسرحية عطيل في حوالي 1603، وتم عرضها في السنة الموالية، غير أنها لم تصدر في كتاب إلاّ في سنة

1622. والمسرحية مستمدة من كتاب جيوفاني باتيستا جيرالدي سينثيو (1503-1573) «مائة قصة»، الذي كان قد صدر عام 1556، وهو لا يحتوي في الحقيقة على مائة قصة، كما يدل على ذلك العنوان، وإنما يحتوي على مائة وثلاث عشرة قصة، وقد كتبه مؤلفه على غرار «ديكامرون» لبوكاتشو (1313-1375). ورغم قلة القيمة الأدبية لهذا الكتاب، فيما أشار إليه النقاد، فقد نال شهرة كبيرة في القرن السادس عشر، وترجم إلى عدة لغات أجنبية، منها الانجليزية بطبيعة الحال، ولكن الترجمة الانجليزية تعتبر اليوم مفقودة. ولم يستفد شكسبير من قصة جيرالدي في عطيل فقط، وإنما استفاد منها كذلك في مسرحية دقة بدقة. وقد لاحظ النقاد أن قصة جيرالدي لم يرد فيها سوى إسم ديز ديمونة، أما بقية الشخصيات فقد اخترعها شكسبير أو استمدها من مصادر أخرى غير معروفة.

وما دام الحديث يتصل بمصادر مسرحية عطيل، فلعله من المفيد الإشارة إلى أن أستاذنا الدكتور صفاء خلوصي كان، فيما أعلم، أول من أشار إلى أنه من المحتمل جداً أن تكون قصة عطيل مستمدة من «قصة قمر الزمان ومعشوقته»، التي تتضمنها الليالي من 962 إلى 972، في «ألف ليلة وليلة» وبطلها عبيد أو أبو عبد الله الجوهري، ولا يستبعد الدكتور خلوصي أن يكون إسم «أتلو» محرفاً عن إسم عبيد الله، وذلك خلافاً لما ذهب إليه الشاعر خليل مطران فاعتبره عطيلا. فكلا الرجلين يقتل زوجته بدافع الغيرة، وبينما يكون الدافع إليها المنديل عند عطيل، يظهر الدافع إليها عند الجوهري السكين

مرة، والساعة مرة أخرى، وفي كلتا الحالتين يدخل الجوهري على زوجته ويسألها عن السكين أو المنديل وهو ينفخ كالثعبان على حد تعبير واضع ألف ليلة وليلة. ويسعف الخبث هذه الزوجة الخائنة، فتتخلص من زوجها مرتين، ولكن البراءة لم تسعف ديزديمونة وتنقذها من زوجها في المرة الأولى. وعندما تنكشف الحقيقة للجوهري يخنق زوجته، كما فعل عطيل، غير أنه أشد قسوة منه، فالجوهري لم يكتف بخنق زوجته، وإنما خنق معها جاريتين لها، كانتا تساعدانها في خيانة زوجها.

وكان المرحوم الدكتور لويس عوض قد نبه من جهته إلى أن قصة عطيل ما هي في واقع الأمر إلاّ صيغة شعبية لأسطورة أطلس في الأساطير اليونانية القديمة، التي تتحدث عن هذا المارد، الذي ثار على الآلهة فحكمت عليه برفع السماء إلى الأبد. وأطلس شقيق بروميثيوس وأبيمثيوس، حارب مع التيتان ضد الآلهة، ولما هزم نفته إلى المغرب الأقصى، وكلفته بحمل السماوات فوق كتفيه. ويبدو لي أنه من الصعب أن نتابع الدكتور عوض في رأيه هذا، فإذا كان أطلس قد نُفي إلى المغرب الأقصى، فإن ذلك لا يكفي لتكون قصته أساساً لقصة عطيل، لأن عطيل نبيل من نبلاء المغرب أيضاً.

وقصة عطيل هذا تتلخص في أنه كان يعيش في البندقية، وقد وضع كل مواهبه العسكرية في خدمة دولتها، وأحب حسناء البندقية ديزديمونة وبادلته حباً بحب، فتزوجا سراً، دون أن يعلم بذلك أبوها برابانتيو، وهو عضو في مجلس الشيوخ. وكان حامل علمه ياغو يضمر له عداوة كبيرة، لأن

عطيل رقى زميلاً له يدعى كاسيو إلى رتبة ملازم، وحرمه هو منها مع أنه كان أجدر بها من كاسيو لخبرته ولتقدمه عليه سناً وجرأة وشجاعة. وكان ياغو يتظاهر بالتفاني في خدمة سيده، ويؤدي واجبه نحوه، مما جعله يمنحه ثقته الكاملة، ولكنه لم يكن في واقع الأمر يخدم إلاّ نفسه ومآربه الخاصة، فذلك - في اعتقاده - ما يفعله كل إنسان فيه شيء من روح.

ويستخدم لتنفيذ أغراضه شاباً يدعى رودريغو، ويطلب منه أن يسرع إلى إيقاظ برابانتيو ويخبره بأن إبنته قد تزوجت سراً من المغربي. وعندما يطل برابانتيو من النافذة، يصيح به هو نفسه أن انهض.. انهض، فثمة كبش كبير أسود يطأ نعجتك البيضاء. فيثور برابانتيو ويندد بخيانة الدم، وقد عرف أن المرارة ستشوب ما تبقى له من عمر مقيت، ويخرج مع رجاله للبحث عن المغربي وزوجته. ويمضي ياغو إلى عطيل، ويحذره متظاهراً بالإخلاص له من إنتقام برابانتيو منه نظراً لحب الناس له ولما لصوته من قدرة على تنفيذ ما يريد تنفيذه، لكن عطيل لا يخشاه فله من سمعته ومن الخدمات التي قدمها للدولة ما يتغلب على شكواه به ويعلو لساناً مدافعاً عنه. ثم أن أصله النبيل، وبطولاته الكثيرة، وانتصاراته العديدة تجعله جديراً بابنة برابانتيو ديزديمونة الكريمة.

ويرفع برابانتيو أمر عطيل إلى مجلس الشيوخ، ويتهمه أمام أعضائه باستعمال الوسائل السحرية من عقاقير ومعدنيات لاغواء إبنته الرقيقة الحسناء، مكنته من الزواج بها دون علمه ورضاه. ويظهر برابانتيو براعة كبيرة في إندفاع عن موقفه،

والنيل من سمعة القائد المغربي، إلاّ أنه يفشل في إقناع مجلس الشيوخ بجريمة عطيل، كما يفشل في إرغام إبنته على الرضوخ لإرادته، ويهتف بعطيل قائلاً: إنتبه لها، يا مغربي! إن كانت لك عينان تبصران. لقد خدعت أبوها، وقد تخدعك أنت! وبهذا أصدر برابانتيو حكمه على إبنته، فقد نبه عطيل إلى ما في طبيعتها من خداع من وجهة نظره هو على الأقل، فزرع عندئذ الشك في قلبه وكأنه كان ينتقم منه بهذا التحذير بصورة مسبقة، وذلك ما سيتخذه ياغو دليلاً على خيانتها فيما بعد.

ويرسل مجلس الشيوخ عطيل إلى صقلية، وذلك بعد وصول الأخبار عن خروج الأتراك إليها للإستيلاء عليها. وفي الجزيرة يبدأ ياغو في إختراع الحيل، ونصب المكائد لإثارة غيرة عطيل على زوجته، التي كانت قد وافقت على مرافقته إليها. فيوهمه بأن لزوجته ديزديمونة علاقة أثيمة بملازمه كاسيو، الذي كان قد أغراه بالإكثار من الشراب أثناء قيامه بالحراسة، ففقد صوابه وتعارك مع أحد الضباط وألحق به جرحاً بليغاً، فأقاله عطيل بعد اطلاعه على ما حدث من منصبه. ويظهر ياغو الود لكاسيو وينصحه بأن يذهب إلى ديزديمونة ويطلب منها أن تتوسط له عند زوجها عطيل لكي يعيده إلى منصبه. وحين تكلمه زوجته بشأن عودة كاسيو إلى عمله، يتخذ ذلك دليلاً على صحة ما نقله إليه ياغو، ولكن حبه لها يحول بينه وبين تصديق كل ذلك بسرعة.

ويواصل ياغو إثارة مولاه في إخلاص زوجته له، ويوصيه في الوقت نفسه بألا يستسلم للغيرة، فهي مخلوقة شوهاء،

ذات عيون خضراء، تسخر مما تتغذى به من لحوم الناس. وشهد ذات يوم كاسيو خارجاً من بيته متستراً كاللص، فبدأ يفقد راحة نفسه، واطمئنان ضميره، وياغو يبالغ في إيلامه بمناسبة وبدون مناسبة، كل ذلك وهو يتخذ مظهر البراءة نفسها. فافتعل قصة مؤداها أنه كان يقضي الليل منذ أيام مع كاسيو، فسمعه يتحدث في نومه عن حبه لديزديمونة، فأخذ يقبله وهو يظنه تلك المخلوقة الحلوة. وعندئذ يطلب منه عطيل الدليل المادي على خيانتها، ولا يكتفي بهذا كما لم يكتف قبل بما ردده على سمعه من خداعها لأبيها بزواجها منه.

حينئذ يوجه ياغو إليه سؤالاً مروعاً، يهزه بعنف، يتصل بمنديل زوجته، يسأله عما إذا لم يسبق له أن رآه بيدها، وحين يؤكد له أنه كان أول هدية قدمها لها، يخبره أنه رأى كاسيو يمسح به ذقنه! وحين يهدد عطيل بالانتقام ويقسم ويركع متوعداً، يركع معه ياغو ليشهد العناصر على أنه يكرس كل ما بوسع قلبه وعقله ويديه في خدمة عطيل الذي أسيىء إلى شرفه، وأنّ في إطاعته حنواً وشفقة، فيجازيه عطيل على ذلك بأكرم الرضا، وكان كلاهما مخلصاً فيما قاله، ياغو في تحطيم عطيل، وعطيل في حب ياغو واتخاذه ملازماً منذ تلك اللحظة. وأسرع إلى بيته، فلا بد من التأكد من أن ذلك المنديل ما زال بعد في حوزتها، فقد قدمه لها عربون حب، ودليل وفاء. فادعى الصداع، وطلب منها أن تقدم له منديلها ليشد به رأسه، فتخبره أنه ليس لديها، وتعود إلى الحديث عن

كاسيو وتطلب منه أن يفي بما وعدها به من إعادته إلى منصبه. وكانت قد أضاعت المنديل، فالتقطته إميليا، زوجة ياغو، الذي كان قد حثها على اختلاسه مائة مرة، فأخذه زوجها منها، ووضعه في مسكن كاسيو ليكون دليلاً دامغاً على الخيانة، وسماً فكرياً، يشتعل كمنجم الكبريت!

ويضيق بحديثها المستمر عن كاسيو من غير أن تحضر له المنديل، فيخرج غاضباً ثائراً، وهي لا تعرف لذلك سبباً، ولا تجد له تفسيراً، لم يسبق لها أن رأته في مثل هذه الحالة التي هو عليها اليوم. وكان كاسيو قد قدم في أثناء ذلك منديل ديزديمونة إلى صديقته بيانكا لتصنع منديلاً مشابهاً له. ويقنع ياغو عطيل بأنها قدمت المنديل إلى من تهواه، كما يتوصل إلى إقناعه بأنه اضطجع معها. وهنا تكون الضربة القاتلة، لقد تحول كلام عطيل إلى ما يشبه الهذيان، فيقول «.. اضطجع معها؟.. ليعترف، ويشنق من أجل أتعابه.. ليشنق أولاً، ثم يعترف بعد ذلك.. يعترف؟ منديل؟ يا للشيطان!» وما أن يرى بعد ذلك المنديل في يدي بيانكا حتى يصيح: لا بد أن يكون ذلك.. منديلي! ويعلن أنه يتمنى أن يستمر في قتل عشيق زوجته كاسيو تسع سنوات متلاحقات. ويطلب السم ليقتل زوجته، لأنه لا يريد أن يوجه إليها كلمة عتاب حتى لا يزعزع جمالها نفسَه، ولكن ياغو ينصحه بقتلها في الفراش الذي دنست طهارته!

وحين يستدعى عطيل إلى البندقية لأمر ما، ويعين كاسيو نائباً عنه، تبدي ديزديمونة فرحتها بهذه الدعوة، لأنها كانت

تتوقع أن يتم بسببها الصلح بين زوجها وبين كاسيو، ولكن عطيل رأى في ذلك دليلاً جديداً على علاقتها الآثمة به، ويتجرأ على ضربها أمام الحضور. ويتصل بعدئذ بإميليا، زوجة ياغو، ويسألها عن علاقة زوجته بكاسيو، علها تطلعه على ما يدعم شكوكه ويجعلها في النهاية حقيقة أكيدة. ومع أن المرأة تؤكد له عفتها و إخلاصها له وصدقها معه، فإنه يواصل إتهام زوجته في شرفها وعفتها ولا يهتم أدنى اهتمام بما تقوله له دفاعاً عن نفسها، ويرسلها إلى غرفة نومها، فتمضي عنه والأسى يملأ أعماقها، فقد اتضح لها أنها لم يعد لها مولى ولا حبيب ولا زوج تسكن إليه.

ويلحق بها بعد ذلك في غرفة نومها، ويوقظها بقبلاته، ويسألها عما إذا كانت قد صلت، ثم يطلب منها أن تعترف بذنوبها، فتخبره أنها لا تعرف لها ذنباً سوى حبها له، وتنفي أن تكون لها علاقة آثمة بأي شخص كان، غير أن المغربي يصر على قتلها، فالشرف يتطلب منه ذلك، وعندئذ تتوسل إليه أن يؤجل قتلها، إن كان لا بد من ذلك، إلى يوم الغد، فيرفض طلبها ويمنعها حتى من أداء صلاتها الأخيرة، ثم يخنقها بكل ما في الإنتقام من لذة. ومع ذلك تبقى فيها بقية من حياة، وترد بعد حين على سؤال إميليا عمن فعل بها ذلك بأنها هي التي فعلت بنفسها ما فعلت، وتودعها طالبة منها، وهي في لحظاتها الأخيرة، أن تسلم لها على مولاها العطوف. وهكذا تحل النقمة الأخلاقية، كما يقول كولريدج، بالفضيلة فتسقط على هذا الوجه المريع.

وكان عطيل قد اتفق قبل ذلك مع ياغو على اغتيال كاسيو، فقد كان من مصلحة ياغو أيضاً أن يقضي على غريمه ليصل أخيراً إلى الرتبة التي كان يطمح إليها. فأسند تنفيذ هذه المهمة إلى الشاب الغر رودريغو، تماماً مثلما فعل به في البداية عندما ألّبه على عطيل لفضح قضية زواجه السري. ويفشل رودريغو في مهمته، فيسرع إليه ويقتله وهو جريح حتى لا يبوح بسره ويكشف مؤامرته، ثم يمضي إلى كاسيو، الذي كان قد جرح هو الآخر، ويحاول إسعافه وكأنه قد حضر لتوه. ويظن ياغو عندئذ أنه قد نجح في إبعاد الجريمة عنه، فكاسيو لا يعرف عن مؤامراته ولا عن تواطء عطيل معه أي شيء، غير أن زوجته إميليا تروي قصة المنديل الحقيقية، فتنكشف الحقيقة لعطيل، فيهجم على ياغو، ولكن الحضور يجردونه من سلاحه، ويطعن ياغو زوجته إميليا، فتموت وهي تلعب دور البجعة وتغني لسيدتها أغنية الصفصاف.

وعرف عطيل، بعد أن جرّد من منصبه، ما ينتظره من محاكمة، فطلب من الحضور على غرار ما فعله قبله هاملت، أن يرووا حقيقته كما هي في واقع الأمر، فهو رجل أسرف في الحب، وأثير فاشتط في سلوكه، ورمى من يده كهندي جاهل غبي لؤلؤة تفوق عشيرته كلها شرفاً وعزة، ويطعن نفسه بد ذلك ويموت وهو يقبل ديزديمونة، لأنه لا يستطيع، كما يقول كولريدج أيضاً، أن يعيش إلاّ في ديزديمونة، تلك المرأة التي سقطت، وهي صورة الملاك فوق الأرض، من سماء عفتها الطبيعية في ظنه، وولدت في نفسه حرباً مدمرة، لم يكن من

الممكن أن تعرف نهاية أخرى غير هذه النهاية المرعبة. ولعل اعترافه ضمنياً بتفوق الإنسان الدنيء، الذي تمثل في ياغو وكان مغايراً لطبيعته هو، هو الذي جعله يقرر الموت بكثير من التريث والتأني والعزم.

ولم تخل نظرة النقاد ورجال المسرح إلى عطيل من التفرقة العنصرية، فكان يقدم على أساس أنه زنجي أو على أنه أسود اللون من أصل موريتاني، ومع ذلك فإن الأمر لا يتعلق، فيما يبدو، باللون وحده. فقد كان عطيل، مثل شيلوك يهودي البندقية، غريباً عن هذه المدينة، على أنه يختلف عن شيلوك في أنه قائد شجاع، ورجل محترم، يجله أهل البندقية ويبالغون في إكرامه، لأنهم في حاجة إلى خبرته العسكرية، وتجربته الحربية. ومع ذلك كانوا يشعرونه بأنه غريب عن المدينة حين يتعلق الأمر بالعلاقات العاطفية، مثل الزواج من إحدى البندقيات، ومن ثم فقد كان هناك أكثر من سبب جعل عطيل يتزوج سراً من ديزديمونة، وكانت قوانين البندقية تسري عليه وعلى الأجانب كلهم من طراز شيلوك وغيره.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك أنه كان حساساً جداً، خاصة عندما يتصور أن خدعة ما قد تمت عليه، ولعل السبب في سهولة النيل من ثقته وتحطيمها وتحويلها إلى النقيض تماماً لا يعود إلى افريقيته بقدر ما يعود إلى وضعه بصفته غريباً عن المدينة. وهو خاضع لنظم مدينته وأوامرها بشكل يكاد يكون طفولياً، وواثق منها كل الثقة، ولكن حتفه يكمن في فقدانه للثقة فيما يخص عواطفه الذاتية. ومن هنا جعله نبله ضحية

هينة للمؤامرات والمراوغات اللئيمة، التي لا تقع في مجال تصوراته. ولم تكن غيرته، التي وصلت به إلى حد الجنون، إلاّ إحساسه بأنه قد خدع، ذلك الإحساس الذي كان ياغو يغذيه بكل ما رُكِّبَ في طبيعته الجهنمية من مكر وحيلة ودهاء ولؤم، وهي صفات لا يقوم عليها أي دليل ماديّ، وياغو نفسه يرفض الكلام ويصر على الصمت كالقدر.

لقد سهل على ياغو أن يعرف طبيعة عطيل معرفة جيدة، فهو عنده مغربي سمح الطبع مرحه، يحسب أن الناس شرفاء لمجرد أنهم يبدون كذلك، وهو لين القياد من أنفه كالحمير. فكما كان يحول معنى كل حدث إلى نقيضه، استطاع كذلك أن يحول معنى حياة عطيل إلى نقيضه بكل ما في النقيض من مساوىء وعيوب، فعطيل يثق حيث كان ينبغي له أن يفقد الثقة، ويفقد الثقة حيث كان ينبغي أن يثق ثقة كاملة. وهكذا يبدو ياغو، الذي يجعل من عطيل أداة لنزواته الدنيئة، هو نفسه أداة لقوة أخرى، لا تسمح بوجود حب مطلق. . كذلك الحب الذي ساد بين عطيل وديزديمونة في هذا العالم المليء بالشرور، حتى الظروف، التي كثيراً ما تبدو لنا، على حد تعبير هينزل، باعثة على السخرية، تعد خليفة لحتمية قدرية، ليس من الممكن معرفة حساباتها الدقيقة، وإنما يمكن الشعور بها فقط، لأنها لفظاعتها، تتجاوز كل التقديرات والحسابات البشرية.

ينظر جورج برانديس إلى مسرحية عطيل على أنها دراسة لطبيعة السر وسلطته أكثر مما هي دراسة عن الغيرة. فخيط الضباب،

الذي يربط الصانع بصنعته، لا يفضي إلى شخصية عطيل، وإنما يفضي إلى شخصية ياغو، وهو الشيطان في صورة الإنسان. فعالم عطيل عالم فني متكامل، وقصته قصة حية، تنشأ وتنمو وتتطور ثم تنفجر فتكون النهاية المأساوية لذلك المغربي النبيل. لقد أعدت الطبيعة الشخصيات البارزة في المسرحية، عطيل وديزديمونة وكاسيو وروديغو، لتعيش في جحيم ياغو، وتتجمع في قبضة يده، فيقودهم جميعاً إلى النهاية المحتومة، من غير أن يشعر بأي ألم، ويبقى قادراً على الاحتفاض بكل تصوراته عن البراءة والذنب، فالذنب لا يشعر بالشر ولا الشر يشعر بالذنب، وأبرز صفات ياغو اعتزازه بنفسه، وإنناؤه على ذكائه، وذلك ما يفسر كثرة حديثه مع نفسه أو حديثه جانباً، فيبدأ باللعنة أول ما يبدأ، وينتهي برفض الحديث عن جرائمه وآثامه الكبيرة.

إن طبيعة عطيل لتعتبر تحدياً متواصلاً لياغو لا يحتمل، لأنها تضع على شخصيته هو علامة استفهام. فهو ضابط لا يقل براعة عن عطيل، ولعله يفوقه ذكاءً وحيلةً، ومع ذلك فإن النجاح كله لعطيل، فله المجد والثروة واحترام مواطنيه، وله كذلك حب ديزديمونة - كل ذلك من نصيبه هو وحده، ثم أن ما عرف عنه من أخطار كان عليه أن يتخطاها، وما عرفه من أسر وعبودية يعد بمثابة قصة من القصص الخيالية عن أميرٍ آل أمرُهُ إلى النجاح في حياته المهنية والعاطفية، وعطيل من أصل أميري فعلاً، ولكن طبيعته الخيرة تسلمه لدناءات ياغو - وكأنه كان يترقب مثله - فيثير فيه غضباً رهيباً، يدفعه إلى

ارتكاب جريمة القتل بدافع الشرف. فالشرف الذي لا يرى فيه ياغو غير الجانب الحسي، يرى فيه عطيل نوعاً من المسؤولية، فيشعر أن عليه أن يعيد للعالم نظامه بمعاقبة الخيانة ونشر العدالة. ولعله لا يعتبر ما قام به قتلاً إطلاقاً، وإنما هو تضحية أو هو، كما قال، حزن علوي يضرب حيث يحب.

وقد يكون في النهاية من المفيد أن نشير إلى أن شكسبير قد عاد في مسرحية «حكاية الشتاء» إلى معالجة موضوع الغيرة، إلاّ أنه لا يلبث أن يتخلى عن الموضوع، ويقودنا إلى عالم رعوي بهيج فيه الكثير من الصفاء والمحبة والوئام، غير أن هذه المسرحية تبدو، كما يقول بول دوتان، شاحبة إذا قيست برائعة عطيل. وعنها يقول كولريدج.. ان أكبر مجهود لشكسبير يتجلى في الملك ليس بصفته شاعراً، وفي هاملت بصفته فيلسوفاً أو صاحب نظر، أما في مسرحية عطيل فيتجلى بصفته جامعاً بينهما، أي بين الشعر والفلسفة في أجمل وأعمق صورة!

أبو العيد دُودُو

المصادر:

هذه هي قائمة المصادر التي اعتمدت عليها في كتابة المقدمة:

أ - المصادر العربية والمترجمة:

1- إيفانس، إيفور، موجز تاريخ الأدب الانجليزي، ت. السكري، القاهرة، 1960.

2- برادلي. ا. س.، التراجيديا الشكسبيرية، ت حنا إلياس. القاهرة؟

3- خلوصي. صفاء، دراسات في الأدب المقارن والمذاهب الأدبية، بغداد، 1958.

4- دوتان، بول، الأدب الانجليزي، القاهرة، 1948.

5 - شكسبير، وليام، المسرحيات المترجمة (مقدمات الترجمة).

6- شكسبير، وليام، عطيل، ت جبرا، بغداد، 1986.

7- العقاد، محمود عباس، التعريف بشكسبير، القاهرة؟

8- عوض، لويس، البحث عن شكسبير، القاهرة، 1968.

9- كوت، يان، شكسبير معاصرنا، ت جبرا، بغداد، 1979.

10- نيكول، ألارديس، المسرحية العالمية، القاهرة؟

11 - ولسون، جون دوفر، ما الذي يحدث في هاملت، ت جبرا، بغداد، 1981.

ب - المصادر الألمانية :

(1) Busse, carl, Geschichte der weltliteratur,2 Bde Leipzg 1910
(2) Eckermann, Peter, Goethesgesprache, Sückingen 1949
(3) Hensel, Georg, Spielplan,2 Bde. Berlin 1966
(4) Killy, Walter, Zeiche, der Zeit, 2 Bde. Frankfurt 1962
(5) Kindlers, Literature lexikon, 25 Bde. Zurich 1974
(6) Lessing, Gotthold, Werke, 2 Bde. München 1969
(7) Mann, Otto, Geschichte des deutschen Dramas, Suttgart 1963
(8) Pascal, Roy, der Sturn und Drang, Stuttgart 1963
(9) Martini, Fritz, Deutsche Literaturgeschichte, Stuttgart 1968
(10) Scherrer, Wilhelm, Geschichte der deutschen Literatur, Berlin 1884

ج - المصادر الانجليزية :

(1) Sisson, Roesmary Anne, The Young Shakespeare, London 1959
(2) Smith, D.Nichol, Shakespeare Criticism: A Sellection, London 1961
(3) White, Anne Terry, Shakespeae and the Globe Theater, New York 1955

د - المصادر الفرنسية :

(1) Dalatre, F les Chansons Elézabéthaines, Paris 1948
(2) Dictionaire des Oeuvrs, Paris 1952
(3) Shakespeare en France, Etudes Anglaise, Paris 1960
(4) Shakespeare, Wiliam, Hamlet, Text et Trad. M.Castelain, Paris 1937

هــا مــلــت

أشخاص المسرحية

كلوديوس(Claudius)	ملك الدانمرك
هاملت (Hamlet)	ابن الملك السابق، وابن أخي الملك الحالي
بولونيوس(polonius)	رئيس الوزراء
هوراشيو (Horatio)	صديق لهاملت
لرتيس (Laertes)	ابن بولونيوس
فولتماند (Voltimand)	من رجال البلاط
كورنيليوس (Cornelius)	من رجال البلاط
روزنكرانتز (Rosencranstz)	من رجال البلاط
غلدنسترن (Guildenstern)	من رجال البلاط
اوسرك (Osric)	من رجال البلاط
نبيل	من رجال البلاط
مَرْسِلُس (Marcellus)	ضابط
برنردو (Bernardo)	ضابط
فرنسيسكو (Francisco)	جندي
رينالدو (Reynaldo)	خادم لبولونيوس

فرتنبراس (Fortinbras) أمير النرويج

غرترود (Gertrude) ملكة الدانمرك، وأم هاملت

أوفيليا (Ophelia) ابنة بولونيوس

كاهن، ممثلون، مهرّجان (حفارا قبور)، ربان مركب، سفراء أنكليز، نبلاء، سيدات، ضباط، جنود، بحارة، رسل، خدم وحشم.

طيف أبي هاملت

المشهد: الدانمرك

الفصل الأول

المشهد الأول

قلعة ألسينور. . . في أحد الأبراج. . . ظلام

(فرنسيسكو في مكان الخفارة، يدخل عليه برنردو.)

برنردو: من هناك؟

فرنسيسكو: بل أنت أجبْ! قف واكشف عن نفسك.

برنردو: عاش الملك!

فرنسيسكو: برنردو؟

برنردو: أجل أنا.

فرنسيسكو: جئت في موعدك بكل دقة

برنردو: دقت الثانية عشرة، فاذهب إلى فراشك يا فرنسيسكو.

فرنسيسكو: شكرا لمجيئك بديلاً لي. البرد قارس وفي صدري ضيق.

برنردو: هل كانت خفارتك هادئة؟

فرنسيسكو: ولا فأر يتحرك.

برنردو: إذن طاب مساؤك. إذا لقيت هوراشيو ومرسلس، وهما رفيقاي في الخفارة، مرْهما بالإسراع.

(يدخل هوراشيو ومرسلس).

فرنسيسكو: أظن أنني أسمعهما. قف، هوا من هناك؟

هوراشيو: صديقان لهذه الأرض .

مرسلس: وموواليان لملك الدانمرك .

فرنسيسكو: ليلة سعيدة .

مرسلس: آ، وداعاً أيها الجند الكرام . من بديلكم؟

فرنسيسكو: برنردو له مكاني . ليلة سعيدة . (يخرج).

مرسلس: هَلُوْ برنردو.

برنردو : قل لي، أهوراشيو هناك؟

هوراشيو: قطعة منه .

برنردو : مرحبا بهوراشيو، مرحبا بمرسلس الكريم .

مرسلس: قل لي، هل ظهر ذلك الشيء مرة أخرى الليلة؟

برنردو : لم أرَ شيئاً .

مرسلس: يقول هوراشيو، إنه وهمٌ منا ليس إلاَّ،
ولن يدع التصديق يسيطر عليه
بصدد هذه الرؤية المخيفة، التي رأيناها مرتين .
ولذا رجوته المجيء معنا
للخفارة طيلة دقائق هذه الليلة،
فإذا جاء هذا الطيف ثانية
دعم ما رأته عيوننا وتكلم معه .

هوراشيو: لا، لا . إنه لن يظهر.

برنردو: إجلس قليلاً
ولنهاجم مرة أخرى اذنك

التي حصَّنت نفسها إزاء روايتنا ،
بما رأيناه ليلتين متعاقبتين .
هوراشيو: فلنجلس إذن ،
وليحدثنا عنه برنردو.
برنردو : في الليلة الأخيرة
عندما دار ذلك النجم الذي ترونه غربي القطب
لينير تلك الرقعة من السماء
حيث هو الآن يشتعل ، كنا ، مرسلس وأنا ،
والجرس يدق الواحدة ـ
مرسلس: صمتاً ! لا تتكلم :

(يدخل الطيف)

أنظر من أين يجيء ثانية .
برنردو: في ذلك الشكل بعينه ، كالملك الذي تُوفيّ .
مرسلس: أنت فقيه يا هوراشيو. خاطبه .
برنردو: ألا يشبه الملك؟ دقق النظر فيه ياهوراشيو.
هوراشيو: أشدّ الشبه . إنه يرعدني خوفا ودهشة .
برنردو: يريد من يخاطبه .
مرسلس: اسأله ياهوراشيو.
هوراشيو: ما أنت يامن إغتصبت هذا الهزيع من الليل
وذلك الشكل العسكري الجميل الذي
كان جلالة الدانمركي الراحل

يمشي به بين الناس؟ أحلّفك بالسماء أن تتكلم.
مرسلس: لقد إستاء.
برنردو: أنظر، إنه يبتعد بإباء.
هوراشيو: قف، تكلم، ! تكلم! أستحلفك أن تتكلم!

(يخرج الطيف)

مرسلس: ذهب ولن يجيب.
برنردو: وكيف الآن هوراشيو؟ أراك ترتعد، وقد شحبت.
أليس ذا شيئاً أكثر من الوهم؟
ما رأيك فيه؟
هوراشيو: والله ما كنت لأصدقه
لولا شهادة صادقة محسوسة
من عينيّ أنا.
مرسلس: ألاَّ يشبه الملك؟
هوراشيو: كما تشبه أنت نفسك.
حتى الدرع كان كذلك الدرع الذي لبسه
عندما نازل ملك النرويج الطامع،
وهكذا عبس مرة، في أثناء مداولة غضبي،
إذ هوى على رأس بولوني في مزلقته على الثلج.
غريب!
مرسلس: مرتين في أثناء الخفارة سابقا
ثم في هذه الساعة بالضبط، جاءنا في خيلائه العسكرية.

هوراشيو: لست أدري في أيّ من خواطري أفكر.
ولكن جملة ما ارتأيه هو
أن في هذا ما ينبيء بانفجار غريب في دولتنا.
مرسلس: أرجوك أن تقعد الآن، وليخبرني من يعلم
لِمَ هذه الحراسة الدقيقة الشديدة
يكّد بها كل ليلة ساكن هذا البلد،
ولِمَ تُصبُّ كل يوم هذه المدافع النحاسية
وتُشترى من الخارج معدات الحرب،
ولِمَ هذه، اللجاجة من بناة السفن الذين لم يعدْ
جهدُ عملهم المضني يميز بين الأحد وسائر أيام الأسبوع،
وما الذي نحن مقبلون عليه حتى جعلت
هذه العجلة الناضحة عرقاً، من الليل والنهار، عاملين
مشتركين؟
من ذا الذي يستطيع أن يخبرني؟
هوراشيو: أنا أستطيع.
على الأقل هذا ما تتهامس به الألسن:
إن ملكنا السابق، الذي بدأ لنا خياله منذ لحظة
كان فرتنبراس ملك النرويج،
كما تعلمان، قد تحداه للقتال
تدفعه إلى ذلك كبرياء ومنافسة شديدة
وفي ذلك القتال فإن هاملت، أميرنا الشجاع ـ

ومن أجل ذلك احترمه هذا الجزء من عالمنا المعروف ـ
صرع فرتنبراس ، فخسر مع حياته
كل ما يمتلك من أراض أخذها الظافر
بموجب إتفاق مختوم ، ويؤيده الشرع
وتدعمه أصول الفروسية .
وإزاءها كان مليكنا قد تعهد
بقطعة أرض كافية تعود إلى فرتنبراس
لو كان هو المظفر، كما وقعت أرضه لهاملت
بموجب الإتفاق نفسه والمقصود من المواد الموضوعة .
والآن يا سيدي ، قام خلفه فرتنبراس الشاب ،
ذو المعدن الفظ ، الأهوج ، المنتفخ النفس ،
فجمع حوله من هنا وهناك في أطراف النرويج
نفراً من الأشقياء المعدَمين ،
من أجل القوت والغذاء ،
في مجازفة شديدة الإغراء ، غرضها
ـ كما يبدو لدولتنا بوضوح ـ
أن يسترجع منا الأراضي المذكورة
التي فقدها أبوه ، بيد قوية
وشروط إجبارية . هذا فيما أرى
هو الدافع الأكبر إلى إستعداداتنا ،
ومصدر خفارتنا هذه ، ومنبع هذه العجلة الشديدة

وتفريغ أحشاء البلاد .
برنردو : أعتقد أن هذا هو الدافع دون سواه .
فأرجو أن يكون فألاً طيباً مجيء هذا الطيف
المليء بالمعاني ، في أثناء خفارتنا ، مسلحا في شبهه القوي
للملك الذي كان ولا يزال السبب في هذه الحروب .
هوراشيو : إنه لقذى لمضايقة عين البصيرة .
ففي أوج مجد روما وعنفوانها
قبيل سقوط ذلك الجبار يوليوس قيصر؛
فرغت القبور ممن فيها ، وراح الأموات المكفنّون
يوصوصون ويثرثرون في شوارع روما .
وكما جرّت الكواكب ذيولاً من النار وطلاًّ من الدماء
كذلك حلت الكوارث في الشمس . وذلك الكوكب الرطب
الذي تعتمد دولة نبتون على قوته
مرض ، حتى يوم القيامة تقريباً ، بالخسوف .
وها هيّ ذي الأرض والسماء معا تبديان
لبلادنا ومواطنينا
دلائل كتلك ، تشير إلى أحداث عنيفة ـ
كأنها رسل تسبق الأقدار دوماً
وفاتحة لما سيتلوها من دلائل .

(يدخل الطيف ثانية)

ولكن صمتا . أنظرا ، إنه يجيء ثانية .

سأجابهه ولو حطمني. قف أيها الخيال!

(ينشر الطيف ذراعيه)

إن كان لك صوت أو نطق تفوه به
تكلم معي.
إن تكن هناك مكرمة أصنعها
فتجلب الراحة لك، والخير لي،
تكلم معي.
إن كنت مطّلعاً على ما خبأه القدر لموطنك
فنستطيع إذا عرفناه مسبقا تحاشيه.
تلكم!
أو إن كنت أيام حياتك قد خزنت
في جوف الأرض مالاً أغتصبته حراماً،
ومن أجل ذلك، يقولون، إنكم معشر الأرواح
تطوفون بعد الموت،

(يصيح الديك)

أخبرني عنه. قف، تكلم! أوقفه، يا مرسلس!
مرسلس: أأضربه برمحي؟
هوراشيو: أجل، إن لم يقف.
برنردو: ها هو هنا.
هوراشيو: ها هو هنا.

(يخرج الطيف)

مرسلس: لقد خرج .
إننا لنسيء إليه ، إذ نقابله بالعنف
وهو على ذلك الجلال .
فهو كالهواء لا يُطعن ،
وكل ضربة منا باطلة إنما هي هزءٌ خبيث .
برنردو: كان على وشك الكلام ، وإذا بالديك يصيح .
هوراشيو: فأجفل عندئذ كمجرم
جاءه استدعاء مخيف . لقد سمعت
أن الديك ، وهو نفير الصباح ،
يوقظ بما في حنجرته من صياح شاهق حاد
إله النهار. وبانذاره ذلك
تسرع الروح الآثمة الهائمة إلى سجنها
في البحر كانت أم في البر، في النار أم في الهواء ،
وقد أثبتت صدق ذلك ما حدث الآن .
مرسلس: لقد تلاشى مع صياح الديك .
يزعم بعضهم أنه عندما يحين ذلك الموسم
الذي نحتفل فيه بميلاد مخلصنا المسيح
يغني طير الفجر الليل بطوله ،
وعند ذلك يقولون أن لا روح تقوى على التطواف ،
فتمسي الليالي نقية ، ولا تسقط الشهب ،
ولا يؤذي الجن أحداً ، وتعجز كل ساحرة

عن سحرها
تلك فترة مقدّسة ملؤها الخير.
هوراشيو : هذا ما سمعته أنا أيضاً، وإني لأصدق بعضه.
ولكن أنظر، ها هو الصباح وقد ارتدى
ورديّ الثياب
يخطو على ندى تلك الرابية الناهدة في الشرق.
فلنترك الخفارة، ونصيحتي هي أن
نُعلم هاملت الشاب بما رأيناه هذه الليلة.
قسماً بحياتي، أن هذه الروح التي
تصمت لنا ستنطق له.
أفتوافقان على إعلامه بجليَّة الأمر
كما يقتضي حبنا له وواجبنا نحوه؟
مرسلس : لنفعل ذلك رجاءً، وأنا أعلم
أين نلقاه هذا الصباح دون مشقة. (يخرجون)

المشهد الثاني

قاعات القلعة . . . أبواق

(يدخل كلوديوس ملك الدانسرك ، وغرترود الملكة ، وهاملت ،

وبولونيوس ، وابنه لرتيس وعدد من أفراد الحاشية .)

الملك : لئن تكن ذكرى موت أخينا الحبيب هاملت
بعدُ خضراء ندية ، ولئن يكن خليقاً بنا
أن نحمل قلوبنا وملؤها الأسى ، ونجعل
من مملكتنا جبيناً واحداً يتقطَّب حزناً ،
فإن التبصُّر ما زال يصارع الطبيعة
فنذكر أخانا بأشد الحزن ،
ونذكر كذلك انفسنا معه .
وإذنْ فهذه التي كانت زوجةً لأخينا
والتي هي الآن ملكتنا وشريكتُنا الآمرة في هذه
الدولة الحربية ،
قد إتخذناها فيما يشبه الفرح المغلوب على أمره
زوجةً لنا ، بعينٍ مستبشرةٍ وأخرى دامعة ،
مرحين في الجنازة ، نادبين في العرس ،

وازنين الغبطةَ والشَجَن في كفتين متساويتين .
ولم نصدّ في ذلك عنا آراءكم السديدة التي رافقتنا
خلال هذه المهمة ، مع شكرنا الجزيل .
أما بعد ، فإنكم تعلمون أن فرتنبراس الشاب
وقد افترض فينا الضعف في الشأن ، أو ظنَّ أن
دولتنا بوفاة أخينا الراحل
قد تصدعت واختلّ كيانها ،
تحالف مع حلمه بالغلبَة
فلم يتوانَ في إزعاجنا برسائل
فحواها أن نسلم له الأراضي
التي خسرها والده حسب الأصول والشرائع
لأخينا الباسل . هذا بخصوصه .

(يدخل فولتماند وكررنيليوس)

أما بخصوصنا وخصوص إجتماعنا هذا هاكم الأمر: كتبنا
إلى ملك النرويج ، عمّ فورتنبراس الشاب ،
وهو خائر، طريح الفراش ، يكاد لا يعرف شيئاً
عن عزم ابن أخيه ، طالبين إليه أن يمنع
خطوه نحونا بعد اليوم . والجند والقوائم
والتفاصيل من أجل ذلك ستجمع كلها
من رعاياه هو. وها نحن نرسلكما ،
يا كورنيليوس وفولتماند ،

لتحملا تحياتنا هذه إلى الشيخ ملك النرويج
ولا نعطيكما من الصلاحية الشخصية
في مفاوضة الملك أكثر مما تنص عليه
هذه التعليمات المفصلة هنا .
وداعاً ، ولتكن السرعة امتداحاً لواجبكما .
فولتماند: سنقوم بالواجب في كل ما تأمرون .
الملك : لا نشك في ذلك مطلقاً . الوداع .

(يخرج فولتماند وكورنيليوس)

والآن يا لرتيس ، ما خبرك؟
قلت لنا لديك التماس . فما هو يا لرتيس؟
إذا خاطبت ملك الدانمرك بالعقل
فلن يضيع خطابك سدى . ما الذي ترجوه ، يا لرتيس ،
ولا يكون تقدمةً مني ، لا ضراعةً منك؟
فليس الرأس أقرب صلةً بالقلب
ولا اليد أكثر خدمة للفم
من عرش الدانمرك لأبيك .
ما الذي تتمناه يا لرتيس؟
لرتيس: إنني يا سيدي ألتمس
إذنكم بالموافقة على رجوعي إلى فرنسا .
لقد أتيت منها طائعا إلى الدانمرك
لأظهر ولائي في تتويجكم

غير أني أعترف الآن، وقد إنتهى واجبي،
بأن أفكاري ورغباتي تتجه صوب فرنسا من جديد،
وهي صاغرة لأذنكم الكريم وعفوكم.
الملك: هل إستأذنت أباك؟ ماذا يقول بولونيوس.
بولونيوس: لقد إعتصر مني إذنا بطيئاً يا سيدي
بالرجاء والإلحاح، وأخيراً
وهبته موافقتي ولو على مضض.
أتوسل اليكم أن تأذنوا بذهابه.
الملك: اخترْ لمغادرتك ساعة إقبال. إن وقتك لك فأنفقه كيفما تشاء.
والآن، ياهاملت، يا ابن أخي وابني؟
هاملت (جانبا): اقرب من القربى وابعد من الخَلَف.
الملك: مالي أرى السحب ما زالت مخيمة عليك؟
هاملت: لا يا سيدي، بل أني في الشمس أكثر مما ينبغي.
الملكة: ألقِ عنك يا هاملت بلونك الليلي هذا،
ولتنظرْ عينك نظرةَ صديق إلى ملك الدانمرك.
أفتبقى إلى الأبد بجفنين خفيضين
تبحث عن أبيك النبيل في التراب؟
أنت تعلم أنه أمر عادي: ما من حي إلا ويموت يوما
عابراً خلال الطبيعة هذه في اتجاه في إتجاه الأبدية.
هاملت: أجل يا سيدتي، إنه لأمر عادي.
الملكة: إذا كان عادياً، فلِمَ يبدو لي كأنه أمر خاص لديك؟

هاملت: يبدو لك يا سيدتي؟ أنه ولا ريب أمر خاص.
لا عباءتي الحالكة وحدها يا أماه،
ولا المألوف من ثياب السواد الحزين
ولا التنهدات العاصفة من ضيِّق النَفَس
لا، ولا النهر السخي من العين
ولا غضون الغمّ في المحيّا
بكل ما للحزن من أشكال وحالات ومظاهر،
بكافية للدلالة على حقيقتي. هذه كلها إنما تبدو
ولا ريب،
لأنها أفعال بوسع المرء تمثيلها:
على غير أن في نفسي ما يعجز عنه كل مظهر:
وما هذه إلاَّ سرابيل الأسى وزينته.
الملك: جميل من طبعك وحميد يا هاملت
أن تقوم بشعائر الحداد هذه من أجل أبيك.
ولكن عليك أن تعلم أن أباك فقد أباً له،
وذلك الأب الفقيد فقد أباه، فكان على خلفه
بما ترتب عليه من واجب بنويّ
إن يحزن حداداً عليه لفترة ما. بيد أن المثابرة
على عزاء لا ينثني، عناد شرير.
إنه حزن لا يليق بالرجال،
يدل على إرادة تمردت على السماء

وقلبِ غير حصين ونفس اعوزها الصبر
وإدراك بسيط لم يثقف .
فحين نعلم أن أمراً ما كان مقضياً ،
وأنه شائع شيوع أي شيء عادي نعرفه ،
لم نحزن ونصر على مقاومته فنتجعله
يحزّ في القلب؟ استح ياهذا ، إنه لأثم تجاه السماء ،
إثم تجاه الموتى ، إثم تَجاه الطبيعة ،
والعقل يُسخّفه حين يكون موضوعه العادي
موت الآباء ، وهو منذ البدء يصيح ـ
منذ أول جسد فارقته الحياة حتى هذا الذي
مات اليوم :
«لا بد من هذا» . نرجوك إذن أن تلقي عنك أرضاً
بهذا الحزن الذي ليس يجدي واعتبرنا
أباً لك . وإني لأصرّح على الملأ
بأنك خَلَفي على العرش ؛
ولأحنونَّ عليك بحب نبيل
لا يقل عما يكنُّه الأب لإبنه العزيز.
أما مشيئتك في العودة إلى الدراسة في وتنبرغ
فإنها لا تتفق مع رغبتنا .
ولذا نتوسل إليك أن تعتزم البقاء هنا
في رغد وتحت رعايتنا ،

أولَ الرجال في حاشيتنا، إبنَ أخينا وابناً لنا .
الملكة: لا تضيع على أمك توسلاتها يا هاملت .
أرجوك أن تظل بيننا . لا تذهب إلى وتنبرغ .
هاملت: سأطيعك يا سيدتي ما استطعت .
الملك: ذلك جواب جميل طيّه الحب .
كن مثلنا في الدانمرك . تعالي، يا سيدتي،
هذا الوفاق اللطيف المطواع من هاملت
يحلّ باسماً في قلبي . ولذا
فإن ملك الدانمرك لن يشرب اليوم نخبه مرحاً إلاَّ
والمدافع الكبرى تردد للغيوم خبره،
وإذا ما عبّ الملك، قصفت السماء ثانية
مرجّعه ما يحكيه رعد الأرض . فلنذهب .

(نفير أبواق . يخرج الجميع إلاّ هاملت)

هاملت: آه ليت هذا الجسد الصَّلْدَ يذوب[1]
يموع وينحل قطراتٍ من ندى،
يا ليت الأزلي لم يضع شريعته
ضد قتل الذات . رباه، رباه .
ما أشد ما تبدو لي عادات الدنيا هذه
مضنية، عتيقة، فاهية، لا نفع منها .
إلاَّ تباً لها ! تباً تباً لها ! إنها لحديقةٌ لم تُعشّب،
شاخت وبزّرت، لا يملؤها إلا

كل مخشوشنٍ نتنت رائحته.
أهكذا تنتهي الأمور ـ لم يمر على موته شهران ـ
بل أقل من شهرين؛ أقل من شهرين.
ملك رائع، إذا قيس بهذا
فكهايبيريون إزاء الستير[2]، كان يعشق أمي
فلا يسمح لريح السماء
بزيارة وجهها إذا اشتدت. يا أرض، يا سماء!
أمحتومٌ عليّ أن أتذكر؟ واها! كانت تتعلق به
كأنما ازدياد الشهية قد اشتدّ بما تغذت عليه ـ
ومع ذلك، فلمدة شهر!..
يجب أن أصرف فكري عنه. أيها الضعف، إسمك المرأة!
شهر قصير مضى؛ ولم يعتق بعدُ ذلك الحذاء
الذي مشت به وراء جثمان أبي المسكين
وكلها دمع، مثل نايوبي[3]. وهي حتى هي التي ـ
رباه! إن وحشاً يعوزه العقل ليحدُّ مدةً أطول ـ
تزوجت عمي، أخا أبي: وإن لم يشبه أبي
إلاَّ بقدر ما أشبه أنا هرقل: شهر واحد،
لم يكفّ فيه ملح دمعها الأثيم بعدُ
عن تحمير عينيها المعذبتين، وتزوجت.
ألا أيتها العجلة الفاسقة، تهرعين.

بمثل هذه السرعة، إلى الشراشف الزانية!
لا خير فيها ولن تنتهي إلى الخير.
ولكن تحطّم أيها القلب. عليّ أن أمسك لساني
عن القول.

(يدخل هوراشيو وبرنردو ومرسلس)

هوراشيو: السلام عليك يا سيدي.
هاملت: يسرني أن أراك في صحة وعافية.
هوراشيو ـ أَم أنني نسيت نفسي؟
هوراشيو: هو بعينه يا سيدي خادمك الفقير أبداً.
هاملت: سيدي وصديقي الحميم، أبادلك تلك التسمية.
وما الذي تفعله بعيداً عن وتنبرغ يا هوراشيو؟
وأنت يا مرسلس!
مرسلس: سيدي العزيز!
هاملت: إني مسرور جداً برؤيتك. مساء الخير يا سيدي.
ولكن ما الذي بربك تفعله بعيداً عن وتنبرغ؟
هوراشيو: طبيعةٌ هَروب، يا سيدي العزيز.
هاملت: لن أقبل مثل هذا القول حتى من عدوك
ولن تهاجم أذني فترغمها
على قبول كلامك ضد نفسك.
إني أعلم أنك لست ممن يتهربون
ولكن ما شأنك في قلعة ألْسينور؟

سنعلمك الإفراط في الشرب قبل أن تغادرنا .
هوراشيو: جئت يا سيدي لأحضر جنازة أبيك .
هاملت: أرجوك يا زميل الدراسة ألاّ تهزأ بي .
أظن أنك جئت لترى زفاف أمي .
هوراشيو: حقاً ، لقد عقب الزفافُ الجنازة بسرعة يا سيدي .
هاملت: الإقتصاد ، الإقتصاد ، ياهوراشيو. خبز الجنازة
قُدم بارداً على موائد العرس .
ليتني كنت قابلت ألدّ أعدائي في السماء
ولم أر ذلك اليوم ياهوراشيو.
أبي ـ أظن أنني أرى أبي .
هوراشيو: أين يا سيدي؟
هاملت: في بصيرتي .
هوراشيو: رأيته مرة ؛ كان ملكا صالحاً .
هاملت: كان رجلاً ، على وجه العموم ،
ولن ترى عيني مثله ثانية .
هوراشيو: سيدي ، أظنّ أنني رأيته الليلة الماضية .
هاملت: رأيته؟ من؟
هوراشيو: أبوك الملك ، يا سيدي ،
هاملت: أبي الملك؟
هوراشيو: خفّف من غلوائك لحظةً ،
وأعرني أذناً صاغية فأقص عليك

بشهادة هذين السيدين
خبر هذه الأعجوبة .
هاملت: بربك تكلمْ .
هوراشيو: في ليلتين متعاقبتين، وفي أثناء الحراسة ،
عند منتصف الليل الرحيب الدجى ،
تصدى لهذين : مرسلس وبرنردو،
شبح على هيئة أبيك
مدجج بالسلاح، يمشي الهوينا
مشية العز والجلال : ثلاث مرات
مرّ أمام عيونهما المترعة بخوف مفاجيء
في بُعد الصولجان منه ، فكادا يذوبان
هلاماً من شدة الفزع
وجمدا أخرسين لا يخاطبانه
لقد أسرّا ذلك إليّ والخوف ملء قلبيهما
فشاركتهم الخفارة في الليلة الثالثة
وإذا كل كلمة نطقا بها صادقة : فكما قالا،
في الزمن المحدد والشكل المذكور،
ظهر الطيف . وأنا أعرف أباك ،
ليس بين هاتين اليدين من شبه أشدّ مما
بين الطيف وأبيك .
هاملت: ولكن أين كان ذلك؟

مرسلس: في تلك الناحية من البرج حيث قمنا بالخفارة يا سيدي.
هاملت: ألم تخاطباه؟
هوراشيو: أنا خاطبته يا سيدي.
ولكنه لم يحر جواباً. ولو أنني ظننت مرة
أنه رفع رأسه وأتى بحركة كأنه يريد الكلام.
ولكن في تلك اللحظة نفسها صاح ديك الصباح عالياً،
فانكمش حال سماعه الصوتَ
واختفى عن أعيننا.
هاملت: غريب جداً.
هوراشيو: انه والله لصدْق.
فقلنا إنه قد خُطّ في واجبنا
أن نطلعك عليه.
هاملت: طبعا طبعا، أيها السادة. ولكن هذا يقلقني.
أتخفران الليلة؟
مرسلس وبرنردو: أجل يا سيدي.
هاملت: قلتما «مدجج بالسلاح»؟
كلاهما: مدجج بالسلاح يا سيدي.
هاملت: من الرأس حتى القدم؟
كلاهما: من الرأس حتى القدم يا سيدي.
هاملت: إذن لم تريا وجهه؟
هوراشيو: بلا يا سيدي. كان رافعاً قناعه الحديدي.

هاملت: أكان عابساً؟
هوراشيو: كان ما في وجهه حزناً أكثر منه غضباً.
هاملت: شاحبٌ أم أحمر؟
هوراشيو: بل شاحب جداً
هاملت: وثبّتَ فيكم عينيه؟
هوراشيو: بثبات مستمر.
هاملت: ليتني كنت هناك.
هوراشيو: لكنت اندهشت كثيراً.
هاملت: محتمل، جداً. أظلَّ وقتاً طويلاً؟
هوراشيو: ريثما يعدّ المرء إلى المئة على مهل.
كلاهما: بل أكثر، أكثر.
هوراشيو: الا عندما رأيته أنا.
هاملت: وكانت لحيته مشوبة بالبياض؟
هوراشيو: كانت كما رأيتها في حياته
سوداء مفضضّة.
هاملت: سأخفر هذه الليلة
فلعله يطوف مرة أخرى.
هوراشيو: أؤكد لك أنه سيفعل.
هاملت: إذا تقمَّص شخص أبي النبيل.
فإنني سأخاطبه ولو فتحت جهنم فاها
وامرتني بالصمت. أرجوكم جميعاً

إن كنتم حتى الآن قد كتمتم أمر هذه الرؤية،
فلتُخِفّوها بصمتكم بعد.
ومهما يحدث الليلة
امنحوه إدراككم لا اللسان،
أكافئكم على حبكم لي. إذن، وداعاً.
سأزوركم في مكان الخفارة من القلعة
بين الحادية عشرة ومنتصف الليل.
الكل: ولاؤنا لسموكم.
هاملت: حبكم لي كحبي لكم. الوداع.

(يخرجون)

روح أبي تحت السلاح؟ ليس كل شيء على ما يرام.
لعل في الأمر سوءاً.
ليت الليل يُقبل الآن.
حتى تلك الساعة استقرّي يا نفسي.
ما من إثم إلاّ وسيبدو، مهما احتجب،
ولو غمرته الدنيا بأجمعها عن أعين الناس.

المشهد الثالث
غرفة في منزل بولونيوس

(يدخل لرتيس وأوفيليا.)

لرتيس: لقد حُمّلت ضرورياتي في السفينة. وداعاً.
ويا أختاه، مادامت الرياح تمدّنا
وحمل الرسائل يعاضدنا، لا تنامي
إلاّ وقد كتبتِ إليّ.
أوفيليا: أتشك في ذلك؟
لرتيس: أما عن هاملت، وما يمحضك من قليل الحب،
فلا تحسبيه إلاّ مجاملة ونزوة في الدم،
بنفسجة في ريعانها
تُقبْل ولا تدوم؛ ذكية غير باقية،
شذا وطراوة دقيقة واحدة،
لا أكثر.
أوفيليا: أذاك ولا أكثر؟
لرتيس: لا تحسبيها أكثر من ذلك:
فالطبعة الناشئة لا تنمو وحدها

قوة وحجماً: بل إذ يكبر هذا الهيكل
يتسع معه أيضاً ما في داخله
من قوى العقل والروح.
فلعله الآن يحبك،
ولا لطخة أو خديعة تلوّث
فضيلة إرادته. ولكن عليك أن تتحسبّي:
إذا علت منزلته خرجت من يده إرادته،
فهو نفسه خاضع لمحتده،
وليس له، كغيرهِ مِمَّن لا وزن لهم،
إن يختار لنفسه، لأن على اختيارِه
تتوقف صحّة وسلامة هذه الدولة بأسرها،
ولذا لا بد لإختياره من أن يحدده
صوت ومشيئة هذا الجسم
الذي هو رأس له.
فإذا قال إنه يحبك
فمن الحكمة أن تصدقيه إلى الحد الذي
يستطيع عنده أن يقرن قوله بالفعل
بموجب ما يختص به من مكانة وعمل،
ولن يكون ذلك الحد بأبعد
مما يؤيده ذوو الشأن في الدانمرك.
قدّري إذن مبلغ ما يحيق بشرفك من خسارة

إن أنت أصغيت إليه بإذن تصدق أكثر مما ينبغي
أو ضيعت قلبك من أجله، أو فتحت خزينتك العذراء
للجاجة منه لا يملك زمامها.
أخشي ذلك، أخشيه يا أختي الحبيبة،
وابقي في المؤخرة من عواطفك،
بعيدة عن مرمى الشهوة والخطر.
مهما ضنّت البكر، اسرفت
إن هي رفعت القناع عن جمالها للقمر.
والعفة نفسها لا تخلص من ضربات الإغتياب.
ما أكثر ما يفسد السوس زغب الربيع
قبل أن تتفتح براعمه،
والعواصف الموبوءة يشتد احتمال هبوبها
عند صبح الشباب ونداه الطري.
إذن، خذي الحذر، ففي الخشية السلامة.
يتمّرد الشباب لنفسه، وإن لم يكن بقربه أحد.
أوفيليا: سأجعل مضمون هذا الدرس المفيد
حارساً لقلبي. ولكن، يا أخي العزيز،
لا تفعل كما يفعل كاهن لئيم،
يريني الطريق الكأداء الشائكة إلى السماء
وهو، كخليع مندلق الكرش لا يبالي،
يطأ سبيل اللهو المحفوف بالورد

ولا يأبه للنصح، الذي ينصح به
لرتيس: لا، لا تخافي.

(يدخل بولونيوس)

تأخرت. لكن هوذا أبي آتٍ.
إن البركة المزدوجة لنعمة مزدوجة.
والفرصة مؤاتية لتوديع ثانٍ
بولونيوس: أما زلت هنا يا لرتيس؟ عيب ياهذا، أصعد سفينتك!
الريح قابعة بين كتفي شراعك
وهم في انتظارك. هاك بركتي، فلتكن معك.
وهذه بعض النصائح، خُطَّها في ذاكرتك.
أمسك اللسان عن أفكارك
ولا تنفذ فكرة لا تتناسب مع ظروفها.
مع الناس لا تتكلف، وكذلك لا تتَبَذَّلَّ.
إذا امتحنت أصدقاءك، الذين اخترتهم،
شدهم بأطواق من الصلب لنفسك،
ولكن لا تبلد كفَّك بالترحيب
بكل غرّ لم يُزغب ولم يخرج بعد من بيضته.
أحذر الدخول في الشجار، ولكن إذا دخلته
أحسن البلاء لكي يحذرك خصمك.
أذنك أعرها لكل إنسان، أما صوتك فاقصرْه
على القلّة،

خذ الرأي من كل فرد ولكن احتفظ بحكمك .
أنفق وسْع كيسك على ثيابك ،
على ألا تغرب بها ، ولتكن فاخرة لا صارخة ،
فالزّي كثيراً ما يفصح عن صاحبه،
وذوو أرفع المراتب والمناصب في فرنسا
الأخصّون الأكرمون ، أبرع الناس في ذلك .
لا تُدِنْ ولا تستدنْ ،
فالدّيْن كثيراً ما يفقد نفسه و الصديق ،
والأستدانة تفلّ حدّ الإقتصاد .
وهذا أذكرْه فوق كل شيء :
كن صادقاً مع نفسك ، وإذا فعلت ،
تلا ذلك كالليل يتلوه النهار،
إنك لن تكون كاذباً مع أحد .
وداعاً ، وليثمر هذا النصح فيك ببركتي .
لرتيس: أستأذنك الذهاب بأشدّ التواضع ، يا سيدي .
بولونيوس : الزمن يدعوك ، فاذهب . خدّامك في انتظارك .
لرتيس: وداعاً يا أوفيليا ، واذكري جيداً
ما قلته لك .
أوفيليا: لقد أقفلت عليه في ذاكرتي
وأودعت المفتاح لديك .
لرتيس: وداعاً .

(يخرج لرتيس)

بولونيوس : ما الذي قاله لك يا أوفيليا؟
أوفيليا : شيء يتعلق بسيدي هاملت .
بولونيوس : أحسنت تذكيري والله .
لقد نُمّي إليّ أنه ، في الآونة الأخيرة ،
كثيراً ما يـختلي بك ، وأنت أيضاً
تتساهلين وتسخين جداً بالمثول بين يديه .
فإذا كان الأمر كذلك ،
فعليّ تحذيراً ان أقول لك ،
إنك لا تفهمين نفسك فهماً واضحاً
خليقاً بابنتي ، وبشرفك .
ما الذي بينكما؟ قولي الحق .
أوفيليا :لقد قدّم لي أخيراً ، يا سيدي ، دلائل عديدة على ودّه لي .
بولونيوس : «ودّه» هَهْ! تتكلمين كفتاة غرّة
لم يعجم عودها في مثل هذه الحالات الخطرة .
أتصديقين «دلائله» ، كما تسمينها؟
أوفيليا : لست أدري ، يا سيدي ، ما الذي أصدق .
بولونيوس : إذن ، سأعلمك : اعتبري نفسك طِفلةً
حَسبَتْ دلائله نقداً صحيحاً
وإن لم يكن بالنقد المعترف بقدره .

وارفعي من قدر نفسك ،
وإلا ـ كدت أزهق روح العبارة المسكينة بتدويرها
هكذا ـ جعلتني قدراً في عداد البلهاء .
أوفيليا: سيدي ، لقد محضني الحبّ
على أشرف غرار.
بولونيوس : أجل ، «غراراً» تسمين ذلك . هياً ، هيّا .
أوفيليا: ودعم قوله ، يا سيدي ،
بأقدس الوعود .
بولونيوس : شِراكٌ لصيد العصافير.
وأنا أعلم ، كم تُسرف النفس ، حين يلتهب الدم ،
في مدّ اللسان بالوعود ، هذا الأجيج ، يا ابنتي ،
الذي يبعث نوراً أكثر منه حرارة ، والذي ينطفيء
في كليهما
حتى في بدئهما ، عند الأشتعال ،
يجب أن لا تحسبيه ناراً . فمن هذه الساعة ،
قللي شيئاً من مثولك العُذري أمامه ،
واجعلي التماسه الحديث إليك أعزّ
من الدعوة إلى المفاوضة . فعن سيدنا هاملت ،
لا تصدقي من أمره إلاّ أنه شاب ،
له من مدى التجوال أكثر مما يجوز
اعطاؤه إليك . وجملة القول ، يا أوفيليا ،

لا تصدقي وعوده. فما وعوده إلا سماسرة
ليسوا من الصبغة التي تُبديها ثيابهم،
وهم إنما يتربّجون تحقيق الدّنِس من القضايا
فيتنفسون كالداعر التقيّ الورع
ليتقنوا الخديعة. والخلاصة،
لا أريدك من الآن فصاعداً ـ وأقولها صراحة ـ
أن تقضي لحظة واحدة من أوقات فراغك
في الكلام أو الحديث مع الأمير هاملت.
هذا نهيٌ مني، فخذي الحذر. إنصرفي وشأنك
أوفيليا: سمعٌ وطاعةٌ، يا سيدي.

(يخرجان)

المشهد الرابع
في أحد أبراج القلعة

(يدخل هاملت وهوراشيو ومارسلس.)

هاملت: الهواء قارس. بارد جداً.

هوراشيو: إنه حاد، جارح.

هاملت: ما الساعة الآن؟

هوراشيو: لعلها تقارب الثانية عشرة.

مارسلس: لا، فقد دقت.

هوراشيو: صحيح؟ لم أسمعها. إذن فقد دنا الأوان
الذي إعتاد فيه الطيف أن يتمشى.

(نفير، ودوي قذيفتين، في الداخل)

ما معنى ذلك، يا سيدي؟

هاملت: إن الملك يسهر الليلة، وسيظل ساهراً
في شرب ورقص متبختر.
وكلما أفرغ الجرعات من خمر «الراين»
نهق الطبل والنفير معلنَيْن
مجد نصره المخمور

هوراشيو: أهذه عادته؟
هاملت: إي والله!
لكنها في معتقدي، وإن أكن من مواليد هذا البلد
الذين ترعرعوا عليها، عادةٌ
أجمل بها أن تهمل من أن تُتّبع.
فهذا الشراب الذي يثقل الرأس إنما
يجعل الأقوام تمعن في قدْحنا وذمنا شرقاً وغرباً.
إنهم يدعوننا بالسكارى، ثم يلوثون إسمنا
بنعوت الخنازير. إنها لتنال من انجازاتنا
مهما سَمَوْنا في تحقيقها، وتقضي على اللباب من سمعتنا.
كثيراً ما يحدث مثل هذا للأفراد من الناس،
فترى أن فيهم هَنَةً خبيثة من الطبيعة
وُلدوا بها ولا ذنب لهم فيها ـ
فالطبيعة لا تستطيع اختيار أصلها
فتستفحل فيهم خصلة طُبعوا عليها
لتقوّض أسوار العقل وقلاعه،
أو أن عادة ما يكتسبونها، تسري في
كيان الرقة والأدب منهم، فهؤلاء الأفراد
إذ يحملون، كما قلت، طابع نقص واحد
ألبستهم إياه الطبيعة أو أنزله بهم سوء الطالع،
مهما تنقَ فضائلهم الأخرى

ومهما يبلغ عددها، تَفْسُد في مجموعها الكلي
من جرّاء ذلك العيب: أن درهماً من الرذيلة
كثيراً ما يتفشى في المادة الكريمة بتمامها،
ويسبب لها النقيصة (يدخل الطيف)
هوراشيو: أنظر، يا سيدي، إنه آتٍ
هاملت: ملائكة الرحمة والخير احفظينا!
سواء روحاً منعَّماً كنتَ، أم مارداً لعينا،
بنسائم من السماء جئتَ أم باعاصير من الجحيم،
خبيث النوايا كنتَ أم نبيلها،
فإنك آتٍ في شكل يثير السؤال،
ولسوف أخاطبك ولسوف أدعونّك هاملت،
ملكاً، وأباً، ودانمركياً حاكماً. بالله أَجبني،
ولا تدعني اتفجّر جهلاً، وقل لي
لماذا شقَّت عظامك، في تابوت الموت،
اكفانها، ولماذا فغر الضريح
الذي رأيناك تُثوَى فيه
فكيه الرخاميتين الرهيبتين
ليلفظك منه؟ ما الذي يعنيه ذلك؟
ما الذي يعنيه أنك، وأنت جثمان لا حياة فيه،
تعود هكذا في الدرع والزَرَد لتزور نظرات القمر
من جديد

وتجعل من الليل رعباً، وتزلزل الخواطر فينا رهبة ـ
وما نحن إلاَّ أُلعوبة الطبيعة ـ بِفِكَرٍ
تقصر عنها روحنا؟
ما السبب، قل لي، لماذا؟ ما الذي علينا أن نفعله؟

(يوميء الطيف لهاملت)

هوراشيو: إنه يوميء إليك بمرافقته،
كأن لديه ما يسرّه إليك فقط.
مرسلس: أنظر، بأي أدب ولطف يدعوك
إلى مكان أكثر عزلة.
ولكن، لا تذهب معه.
هوراشيو: لا، أبداً، أبداً.
هاملت: إنه لا ينطق. إذن سأتبعه.
هوراشيو: لا تفعل، يا سيدي.
هاملت: ولِمَ لا؟ ما الخوف؟
إني لا أثمّن حياتي بفلسين ـ
أما روحي، فما الذي يستطيع أن يفعل بها،
وهي خالدة مثله لا تموت؟
إنه يلوّح لي ثانية. سأتبعه.
هوراشيو: أخشى أن يقتادك اغراءً إلى الطوفان، يا سيدي،
أو إلى قمة صخرية مريعة
نطل من فوق قاعدتها على البحر،

وهناك يتقمص شكلاً مرعباً آخر
قد يسلبك سلطان العقل،
ويجّر بك نحو الجنون. تأمّل:
إن المكان وحده، دونما دافع آخر،
ليشحن الذهن بخواطر اليأس،
إذ ينظر المرء من شاهق العلو إلى البحر
ويسمعه هادراً في القرار السحيق.
هاملت: ما زال يشير إليَّ.
تفضل. سأتبعك.
مرسلس: لن تذهب، يا سيدي!
هاملت: ارفع يديك عني!
هوراشيو: اعقَل! لن تذهب!
هاملت: مصيري يصيح بي،
ويجعل كل عرق صغير في هذا الجسد
صلباً عاتياً كعروق الأسد «النيمي» (4)
إنه ما زال يدعوني إليه؟ أيديكم عني، أيها السادة.
والله لأجعلنَّ طيفاً ممن يعترض سبيلي.
قلت، تفضل، سِر، إني وراءك.

(يخرج الطيف وهاملت)

هوراشيو: خياله يحدو به إلى الإستهاتة.
مرسلس: لنتبعه. من العيب أن نطيعه على هذا النحو.

هوراشيو: لا بأس، تُرى ما نتيجة كل هذا؟

مرسلس: في دولة الدانمرك فساد وعفن.

هوراشيو: ستهديها السماء.

مرسلس: لنذهب في أثره.

المشهد الخامس
مكان آخر في البرج .

(يدخل الطيف وهاملت .)

هاملت: إلى أين تبغي إقتيادي؟ تكلم! لن أخطو أبعد من هنا

الطيف: أنظر إليّ

هاملت: أجل .

الطيف: دنت ساعتي التي
عليّ فيها أن أسلّم نفسي
لنيران الكبريت والعذاب .

هاملت: وا ألماه أيها الطيف المسكين!

الطيف: لا تشفق عليّ، ولكن أعرني أذناً جادة،مصغية
لما سوف أبوح به .

هاملت: تكلم . إني متهيّء للسماع .

الطيف: وملزم أنت أيضاً بالإنتقام، حالما تسمع .

هاملت: ماذا؟

الطيف: أنا روح أبيك،
وقد حُكِم عليّ بأن أطوف في الليل زمناً؛

وفي النهار، بأن أتضور جوعاً في اللُهُب
إلى أن يحترقَ ما اقترفته من الآثام
في حياتي الدنيا، فأطْهُرَ منها. ولو لم يحُظر عليّ
إفشاء أسرار سجني
لسردت على مسمعك قصةً، أخفّ لفظة فيها
تعذب نفسك وتجمد دمك الفتيّ،
وتجعل عينيك تطفران كنجمتين من فلكيهما،
وخُصُلاتِك الضفيرة المتواشجة تتناثر،
وكل شعرة في رأسك تنتصب
كالريش المزبئرّ في جلد قنفذ ساخط.
ولكن حُرّم البوح بأسرار الأبدية
لآذان صُنعت من اللحم والدم. فاسمع يا هاملت، اسمع،
إن كنت يوماً قد أحببت أباك العزيز.

هاملت: رباه!

الطيف: انتقم لمقتله الخسيس اللئيم.

هاملت: مقتله؟

الطيف: مقتلٌ ملؤه الخسّة، والقتل في أفضل الأحوال خسيس.
كان ملء مقتله الخسّة والغدر والتعدي على شرائع الطبيعة

هاملت: أسرع القول، بالله أسرع، فأنطلقُ، بأجنحة
لها سرعة الفكر وتأملات الهوى،

إلى إنتقامي
الطيف: أراك متهيئاً للعمل،
ولكنت أبلد من العشب السمين
الذي يعفن مسترخياً على ضفاف «ليذي»[5]
لو لم يُثِرْك ما أقول. فاسمع يا هاملت:
لقد شيعوا أنني كنت نائما في حديقتي.
فلدغتني أفعى: هكذا خدعوا أذن البلد كله
بالتلفيق عن موتي. ولكن أعلم أيها الفتى النبيل،
إن الأفعى التي لدغت الحياة من أبيك
تلبس الآن تاجه.
هاملت: يا لنفسي التي تنبأتْ!
أعمّي؟
الطيف: أجل، إن ذلك الوحش الزاني الذي استباح المحرمات،
بسحر دهائه، وهداياه الخؤون ـ
يا له من دهاء أثيم، ويالها من هدايا تقوى على إغراء
كهذا! ـ أخضع لشهوته المخزية
إرادة الملكة، وهي التي أجادت إدعاء العفة والفضيلة.
ياله من سقوط ذاك، ياهاملت،
سقوط عني، أنا الذي كان حبي لها
من الرفعة بحيث مشى يداً بيد
مع عهدي الذي قطعته لها بالزواج؛ لتحطّ

على صعلوك مواهبه الطبيعية
لا تقاس بمواهبي في شيء!
وكما أن الفضيلة لن تتزحزح،
وإن راودها الفجور في أجمل أشكال السماء،
فإن الشبق، وإن يقترن بملاك بهيّ،
ليتُخمنَّ نفسه في فراشٍ عُلوي،
ويقتات على النفاية.
ولكن مهلاً، هذا شميم نسائم الصبح،
فلأختصر: فيما كنت في القيلولة في حديقتي
كعادتي بعد الظهر من كل يوم،
تسلل عمك إليّ، في ساعتي الأمينة تلك،
وبيده حُقٌّ من عصير الآبنوس اللعين،
وفي الفتحة من أذنيَّ صبَّ
قُطارة الجرَب تلك، ولمفعولها
عداء ضد دم الإنسان،
فهي بسرعة الزئبق تجري
خلال بوابات الجسم وممراته الطبيعية،
وبعنف فجائي تخثّر الدم السيّال النقي
كمن يصب قطرات حامضة في حليب
هكذا خثّرتْ دمي.
وفي الحال، كالمصاب بالبرص، إكتسى جسدي الأملس كله

بقشرة من البثور، قبيحة لعينة.
على هذا النحو فقدت، وأنا في رقادي، وعلى يد أخٍ لي،
الحياة والتاج والملك، فقدتها كلها دفعة واحدة.
لقد أغتالني وأنا في الأوج من خطاياي
بلا اعترافٍ ولا قربان ولا زيت مقدس،
بلا حساب لما اقترفت، لكي أجابه حساب الله
وآثامي وعيوبي كلها على رأسي.
يا للهول! يا للهول! يالشدة الهول!
إن كانت الطبيعة سويةً فيك، انتفض!
ولا تدع سرير ملك الدانمرك يتحول
إلى فراش للفجور والزنى اللعين بذوي القربى!
ولكن كيفما فعلت لتنفيذ هذا العمل،
لا تلوث دماغك، ولا تدبر أيّ مكيدة
لأمك. أتركها للسماء،
وللشوك المقيم في صدرها
ليُعمل فيها وخزه ولسعه. ولأودّعك على الفور!
تشير اليراعة إلى دنوّ الصباح
فقد أخذت نارها الباطلة بالشحوب:
وداعاً، وداعاً، ياهاملت. لا تنسني.

(يخرج الطيف)

هاملت: يا جحافل السماء! أيتها الأرض! ماذا بعد؟

وهل أضيف الجحيم؟ ألاَّ تبّاً ! تماسك أيها القلب،
وأنت يا عضلاتي، لا تشيخي في طرفة عين،
واحمليني، وإن تتيبسي! لا أنساك؟
أجل، أيها الطيف المسكين، مادام للذكرى مكان
في هذه الكرة المشوشة (ممسكاً رأسه بيديه).

لا أنساك؟

أجل من لوح ذاكرتي
سأمحو كل تدوين سخيف أحمق،
حِكمَ الكتب كلها، كل شكل وكلّ انطباع مضى،
مما نسخ الشباب هناك وسجلته الملاحظة،
ولن يبقى في كتاب ذهبي إلاَّ
أمرك وحده، دون غيره،
لا تخالطه مادة رخيصة. نعم، نعم، وحق السماء!
أيتها المرأة الفتاكة المدّمرة!
أيها النذل، النذل، أيها النذل البسّام اللعين!
دفتري، أين دفتري؟ جديرٌ بي أن أدوّن فيه
أن المرء قد يهش ويبش وهو نذل؛
أو، على الأقل، هكذا الحال في الدانمرك:
هكذا دونتك يا عماه. أما كلمة السرّ عندي،
فهي: «وداعاً وداعاً لا تنسني».
لقد أقسمت!

هوراشيو: (من الداخل) سيدي . سيدي!

مرسلس: سيدي هاملت!

هوراشيو: حفظه الله!

هاملت: وليكن ذلك .

هوراشيو: هِلو، هو هو[6]!

هاملت: هِلو، هو هو! يا ولد! تعال يا طير، تعال!

(يدخل هوراشيو ومرسلس)

مرسلس: كيف الحال يا مولاي؟

هوراشيو: ما الخبر يا مولاي؟

هاملت: رائع، رائع جداً!

هوراشيو: أخبرنا به يا مولاي .

هاملت: لا، ستبوحان به .

هوراشيو: أنا؟ لا والله يا سيدي .

مرسلس: ولا أنا يا سيدي .

هاملت: ماذا تقولان إذن؟ أيخطر مثل هذا ببال إنسان؟
ولكن، أتتكتّمان؟

الاثنان: نعم والله .

هاملت: ما من نذل قاطن في هذا البلد كله
إلاَّ وهو وغد حقير.

هوراشيو: سيدي، لا حاجة بنا لطيف قادم من القبر
لينبئنا بذلك .

هاملت: محقّ، والله أنت محق.
ولذا، فلنقطع اللفّ والدوران،
لأنني أرى من الصواب أن نتصافح ونفترق.
أذهبا إلى حيث يشير اليكما الشغل أو الهوى.
فلكلٍّ شغله وهواه،
مهما يكن. أما أنا،
فانظرا، اني ذاهب لأصليّ.
هوراشيو: هذه كلمات هوجاء لا نسق فيها يا سيدي.
هاملت: آسف لأنها تسيء إليكما. من كل قلبي.
أي والله، من كل قلبي
هوراشيو: لا، لا إساءة فيها، يا سيدي.
هاملت: بلى، والقديس باتريك، أن فيها لإساءة، ياهوراشيو
إساءة كبرى، تتعلق بهذه الرؤيا.
إنه طيف كريم، أرجو أن تعلما ذلك.
أما من حيث رغبتكما في معرفة ما جرى بيننا،
فتحكمّا بها ما استطعتما. والآن. يا صديقيّ الكريمين،
كلاكما صديق وأستاذ وجندي،
ولذا أرجو أن تستجيبا لطلب طفيف مني.
هوراشيو: وما هو يا مولاي؟
هاملت: لا تخبرا أحداً بما رأيتماه هذه الليلة.
الاثنان: لن نخبر أحداً يا مولاي.

هامدت: بل، أقسما على ذلك.

هوراشيو: قسماً بالعليّ العظيم.

مرسلس: قسماً بـ"العليّ العظيم.

هاملت: على سيفي

مرسلس: لقد أَقسمنا يا سيدي.

هاملت: على سيفي، أقسما.

(الطيف يصيح من أسفل المسرح)

الطيف: أقسما!

هاملت: ها، يا ولد، أتقول ذلك؟ أأنت هناك يا صاح؟

هيّا إذن، لقد سمعتما الرجل يصيح من السرداب.

تفضلا بالقسم.

هوراشيو: إتلُ اليمين يا مولاي.

هاملت: ألاّ تتفوّها بما رأيتماه.

أقسما على السيف.

الطيف (من الأسفل): أقسما!

هاملت: أهنا وفي كل مكان؟ فلننتقل من هنا.

تعالا هنا،

وضعا يديكما ثانية على سيفي،

يميناً بأنكما لن تتفوها بما سمعتما

أقسما بسيفي

الطيف (من الأسفل). أقسما بسيفه!

هاملت : حسناً نطقت يا خُلد! ما أسرع ما تنقب الأرض!
حفّار بارع! لننتقل مرة أخرى، يا صديقيّ الكريمين
إنه والله لأمر غريب!
هوراشيو: إذن رحّب بالغريب.
هاملت: إن في السماء والأرض يا هوراشيو أموراً
أكثر بكثير مما تحلم به فلسفتك.
ولكن أسمعا،
رحمكما الله، من اليوم فصاعداً،
مهما أغربت أو شذذت في سلوكي،
إذ قد أجد من الملائم بعد اليوم
أن أتظاهر بالغريب من التصرّف،
فلا تقفا هكذا، في مثل هذه الظروف،
مكتوفي الأيدي، أو تهزا الرأس،
أو تتلفظا بعبارات مريبة، كأن تقولا
«نعم، نعرف» أو «نقدر لو أردنا . . .»
أو «لو أردنا الكلام . .» أو «هناك من يستطيع»
أو أي إفصاح كهذا عن أنكما
تعلمان من أمري شيئاً. أمتنعا عن ذلك البتة،
ولتحل عليكما النعمة والرحمة عند الشدائد . .
أقسما!
الطيف: أقسما!

هاملت: استرح، استرح، أيها الروح الجزع. وهكذا يا سيدي
أحييكما مع خالص ودي.
أما ما سيفعله هاملت المسكين
ليعبّر عن وده وصداقته لكما
فلن يعوزه فعله بإذن الله. لندخل سويةً،
ولتبقَ أصابعكما على شفاهكما.
فالزمان مضطرب. يا للكيد اللعين
أن أكون أنا قد ولدت لأصلح منه إضطرابه.
هيا لنذهب معاً.

(يخرجون)

هوامش:

(1) أو، في قراءة أخرى، «آه ليت هذا الجسد الملوث يذوب..»

(2) تعريب للفظة satyr وهو كائن أسطوري له ساقا التيس، ونصفه الأعلى إنسان، شديد المجون واالشبق. أما هاييرون فهو اله الشمس

(3) زوجة ملك ثيبة قتل أبناؤها السبعة وبناتها السبع، وفي بكائها استجاب زفس لرحائها بأن حولها إلى تمثال من حجر يذرف الدمع طيلة الصيف

(4) الذي كان قتله أولى الواجبات الرهيبة التي قام هرقل.

(5) نهر النسيان في العالم السفلي

(6) هذه صيحة الصياد بالصقر حين يريد استعادته.

الفصل الثاني

المشهد الأول

بعد بضعة أسابيع . . . غرفة في منزل بولونيوس

(يدخل بولونيوس ورينالدو)

بولونيوس: أعطه هذه النقود وهذه الأوراق، يارينالدو.

رينالدو: سأفعل يا مولاي.

بولونيوس: ولسوف تحسن صنعاً، يارينالدو، إذا استفسرت عن سلوكه قبل زيارته.

رينالدو: هذا مولاي ما كنت أنوي أن أفعله.

بولونيوس: أحسنت، والله، أحسنت. أنظر.
أسألْ أولاً عن الدانمركيين في باريس،
من هم، كيف هم، أين يقيمون، ما ظروفهم،
مَن أصدقاؤهم، ما مصاريفهم، وحينما تجد -
إذ تراوغ وتداور وتحوم حولَ الموضوع -
انهم يعرفون أبني، فإنك بذلك
تدرك مأربك أكثر مما لو جعلت أسئلتُك صريحة مباشرة،
فتظاهر عندئذٍ بأن لك به معرفة من بعيد،
كأن تقول «إني أعرف والده وأصدقاءه،

وأعرفه هو معرفة ضئيلة . . . » أتسمع يارينالدو؟
رينالدو: نعم، نعم، يامولاي.
بولونيوس: «وأعرفه هو معرفة ضئيلة»، تردف:
«لا معرفة وثيقة.
وإذا كان هو الذي أعنيه، فإنه شاب أهوج،
كثير الكذا والكذا . . . » وعندها تنسب إليه
ما شئت من عيوب ملفقة ـ على ألا تكون من
الحقارة بحيث تنال من شرفه. حذار من ذلك.
أنسب إليه من زلات اللهو والمجون ما يُقرن عادة
بالشباب والانطلاق.
رينالدو: كالقمار مثلاً؟
بولونيوس: نعم، أو كالشرب، والمبارزة، والشتم، والمشاجرة،
وعشرة الساقطات.
لك أن تذهب إلى هذا الحد.
رينالدو: ولكن ذلك يا مولاي ينال من شرفه
بولونيوس: أبداً، لأنك ستلطّف في الحال ما تتهمه به.
حذار أن تنسب إليه ما يسبب الفضيحة
أو تقول أنه فاسق خليع.
ليس ذلك ما أعنيه. بل أشر بلباقة إلى عيوبه
لتبدو أنها مما يشوب حرية الشباب،
وإنها وميض الذهن الناري واندلاعه،

أو وحشية الدم الذي لم يروض بعد ـ
مما يعانيه معظم الشباب .
رينالدو: ولكن يامولاي ـ
بولونيوس : لِمَ أطلب إليك هذا؟
رينالدو: أجل يامولاي .
بولونيوس: إليك غرضي من كل ذلك ،
ويقيني أنها طريقة لا بد أن تنجح .
إنك إذ تنسب إلى إبني هذه السيئات الطفيفة ،
كأن شيئاً ما قد تلوث قليلاً بالإستعمال ،
أفاهم أنت؟
زميلك في الحديث. وأنت تسبر غوره ،
يكون قد رأى الفتى الذي جرّمته أنت
وهو منغمس في الموبقات المذكورة آنفاً ،
فيطابقك ولا شك على هذا النحو:
«سيدي ، أو كذا ، أو يا صديقي ، أو أيها المحترم» ،
حسبما ينص عليه لقب الرجل
وآداب بلاده .
رينالدو: نعم ، يامولاي .
بولونيوس: ثم يا عزيزي ، يفعل هذا ، أجل ، يفعل هذا ـ
ما الذي كنت أريد أن أقول؟ والله كنت أريد أن
أقول شيئاً ـ أين كنا؟

رينالدو: عند «فيطابقك على هذا النحو» ـ عند «ياصديقي،
أو أيها المحترم.»
بولونيوس: عند «يطابقك على هذا النحو» ـ أجل، أجل،
يطابقك قائلاً: «إني أعرف الفتى،
وقد رأيته البارحة، أو منذ أيام.
أو عندئذ، أو كيت وكيت، وقد رأيته، كما قلت أنت،
يلعب القمار في المكان الفلاني، أو يقع أرضاً من السكر،
أو يتشاجر وهو يلعب التنس.»
أو لعله يقول: «رأيته يدخل الحانوت الفلاني،
أو الماخور»، وهلّم جرّا...
إفترى الآن؟
يطُعْم من الكذب تصيد سمكة من الحقيقة.
وهكذا نحن المتمتعين بالحكمة والنفوذ
نكتشف بالطرق الملتوية والحياد عن الهدف
الوجهات الصحيحة.
وعلى هذا الغرار، إذا اتبعت أقوالي ونصائحي،
ستكتشف إبني، أفهمت ما أعني؟
رينالدو: نعم، فهمت يامولاي.
بولونيوس: وداعاً، وليكن الله معك.
رينالدو: وداعاً يا مولاي.
بولونيوس: تفحص ميوله بنفسك.

رينالدو: سأفعل يامولاي.
بولونيوس: إجعله يغني موّاله.
رينالدو: نعم، نعم مولاي.

(يخرج رينالدو)

بولونيوس: مع السلامة.

(تدخل أوفيليا)

والآن يا أوفيليا، ما الخبر؟
أوفيليا: وا ألماه يا أبي، لقد فزعت أشدّ الفزع.
بولونيوس: ما الذي أفزعك يا هذه؟
أوفيليا: أبتاه، كنت منهمكة بالخياطة في غرفتي،
وإذ بالأمير هاملت، وسترته مفككة الأزرار كلها،
ورأسه حاسر، وجورباه الملوثان
بلا رباط يسقطان إلى كاحليه كالقيود،
ووجهه في مثل شحوب قميصه، وركبتاه تصطكان،
وفي نظرته ما يقطّع القلب كأنه
للتّو قد إنطلق هارباً من الجحيم
ليسرد الأهوال ـ هكذا وقف أمامي.
بولونيوس: أجنّ حباً بك؟
أوفيليا: لست أدري يا سيدي.
ولكنني، والحق يقال، أخشى أن يكون كذلك.
بولونيوس: وماذا قال؟

أوفيليا: أمسكني من معصمي، وشدّد عليّ قبضته.
ثم أبتعد عني طول ذراعه
رافعاً كفه الأخرى ـ هكذا ـ فوق جبينه.
وراح يتمعنّ في وجهي
كأنه يريد أن يرسمه. وبقي على تلك الحال طويلاً.
وأخيراً، هز ذراعي هزّاً رفيقاً،
رافعاً خافضاً رأسه ثلاث مرات
وتنهّد تنهدةً عميقة جارحة
كأنها تحطم منه الجسد برمته
وتنهي كيانه، بعد ذلك رفع عني يده،
وبدا لي إذ أدار رأسه على كتفه
كأنه يرى طريقه دون عينيه،
لأنه خرج من الباب دون عون منهما
مسدّداً شعاعهما إليّ حتى النهاية.
بولونيوس: تعالي معي. سأذهب إلى الملك.
هذا هو جنون العشق بعينه،
وهو بشيمة عنفه يدّمر نفسه
ويحدو بالإرادة إلى المحاولات اليائسة
كأي عاطفة جامحة أخرى
ابتليت بها طبيعتنا. إني آسف له.
أخبريني، أأسمعتِه مؤخراً الفاظاً قاسية؟

أوفيليا: لا، يا أبي العزيز. ولكنني إطاعة لأمرك
صددت عني رسائله ورفضت
مجيئه إليّ .
بولونيوس : لقد جُنّ لذلك .
يؤسفني أنني لم أرقبه
بحيطة أشدّ وحُكم أصوب . خشيت أنه إنما يعبث
ويبغي إيلامك ، قاتل الله ريبتي !
ليخيّل إليّ أنَّ من خواص مَن في سنّنا
تجاوزَ المدى في الرأي
كما أن مِن شيم الأصغر سناً
قصورَهم عن الفطنة والرشاد . تعالي ، لنذهب إلى الملك ،
لنعلمه بهذا الأمر الذي ، أن حجبناه عنه
سينتهي إلى أضطراب أشدّ مما سينتهي الحب إليه .
تعالي .

المشهد الثاني
غرفة في القلعة . . . أبواق

(يدخل الملك والملكة وروزنكرانتز وغلدنسترن ، ومعهم آخرون .)

الملك: مرحباً أيها العزيزان ، روزنكرانتز وغلدنسترن.
لقد اشتقنا إلى رؤيتكما ، وفضلاً عن ذلك
فإن حاجتنا إلى خدمتكما دفعتنا
إلى الإسراع في طلبكما . لعلكما سمعتما
بتبدل هاملت : إني أدعوه تبدلاً
إذ ليس في مظهر الرجل ولا في دخيلته
ما يشبه ما كان عليه . فما الذي ،
سوى موت أبيه ، يُقصيه هكذا
عن فهم نفسه ،
لست أدري . أرجوكما إذن ، كليكما ،
لأنكما نشأتما معه منذ أيام الصغر،
ولقربكما منه في شبابه ومزاجه ،
أن تتكرما فتقيما هنا في بلاطنا
بعضاً من الزمن ، لعلكما بعشرتكما

تجتذبانه إلى اللهو والمتعة وتريان ،
ممّا تهيؤه الظروف لكما لتسَقُّطِهِ ،
إن كان هناك ما يضنيه ولا علم لنا به
ممّا إذا انكشف ، استطعنا له العلاج .
الملكة: لقد تكلم عنكما الكثير أيها الكريمان ،
ويقيني أن ليس في الحياة إثنان
تعلق بهما مثلكما . فإذا تفضلتما
بإبداء لطفكما وودكما نحونا
بأن تقيما معنا شيئاً من الزمن
توثيقاً وتحقيقاً لآمالنا ،
فإن إقامتكما لتشكر لكما على نحو
يليق بملك إن يتذكره .
روزنكرانتز: لجلالتكم
بسيادتكم علينا
إن تضوغ إرادتكم المهابة صوغ أمرٍ
لا رجاء .
غلدنسترن : كلانا طوع أمركم ،
وها نحن نسلم نفسينا بطيبة خاطر
واضعين خدماتنا عند اقدامكم
رهن إشارتكم .
الملك: شكراً ياروزنكرانتز ويا غلدنسترن .

الملكة: شكراً ياروزنكرانتز، وياغلدنسترن.
أرجوكما أن تزورا على الفور
إبني الذي تغّير تغّيراً يقلقني
(إلى الآخرين) ليذهب بعضكم مع هذين السيدين إلى
حيث هاملت.
غلدنسترن: جعل الله في حضورنا وأساليبنا
متعة له وعوناً.

(يخرجان مع الآخرين)

الملكة: آمين.

(يدخل بولونيوس)

بولونيوس: لقد عاد سفيرانا من النرويج يا سيدي
مستبشرَيْن.
الملك: إنك دائماً أبو الأنباء السارة.
بولونيوس: أحقاً يا سيدي؟ إني أؤكد لكم يا مولاي
إنني أكرس واجبي، كما أكرس روحي،
لإلهي ولمليكي الكريم.
وإني لعلى يقين ـ وإلا فإن ذهني هذا
لم يعد يتقصّى معالم السياسة
بثقته المعهودة ـ من أنني عثرت
على السبب الأصيل في جنون هاملت.
الملك: حدثني عنه إذن. ذلك ما أتوق إلى سماعه.

بولونيوس: اسمحوا أولاً للسفيرين بالمثول بين يديكم،
لأجعل أنبائي كالفاكهة في نهاية الوليمة الكبرى.
الملك: رحّب بهما أنت وأحضرهما إليّ

(يخرج بولونيوس)

مليكتي الحلوة، يقول أنه قد عثر على
المنبع والمصدر في اختلال مزاج إبنك.
الملكة: لا أحسبنه إلاّ ذلك السبب الأول دون غيره ـ
موت أبيه واستعجالنا الزواج

(يدخل بولونيوس مع فولتماند و كورنيليوس)

الملك: حسناً. سنغربله.
أهلاً وسهلاً بالصديقين الكريمين.
أخبرنا يافولتماند، ما الذي أرسله معكما أخونا
ملك النرويج؟
فولتماند: إنه يرد عليكم التحيات بأجمل منها، مع خير التمنيات
عند أولى مقابلاتنا، أصدر أمراً بإيقاف
تعبئة جيوش ابن أخيه، التي كانت قد بدت له
استعداداً لشن الهجوم على ملك بولندا..
غير أنه عندما أنعم فيها النظر تحقق أنها
استعداد لشن الهجوم على جلالتكم، فأسف جداً
حين أدرك أنه لمرضه وسنه وعجزه
قد خُدع وضُلل، فارسل إلى فرتنبراس

يأمره بالتوقف والعودة، وهذا ـ باختصار ـ صدع للأمر،
وتلقى من ملك النرويج الزجر والتوبيخ؛ وجملة القول،
أقسم أمام عمه بألا يجرّب السلاح
ثانية باشهاره عليكم.
وعندئذ غمر الفرح قلب الملك
وأوقف عليه ثلاثة آلاف دينار كراتب سنوي،
وأصدر إليه أمراً بقيادة الجنود،
الذين حشدهم من قبل، ضد ملك بولندا.
مع رجاء موضح هنا لكم (يسلمه أوراقاً)
بأن تتفضلوا وتسمحوا له بالمرور الأمين
في مقاطعتكم تنفيذاً لمهمته،
بموجب شروط تطمئنون إليها
دُونت هنا

الملك: حسناً. هذا يرضينا.
وعندما يتاح لنا الوقت الملائم سنقرأ الأوراق
ونتأمل الموضوع، ونجيب.
حتى ذلك الحين، نشكر لكما جهدكما المبذول.
إذهبا واستريحا. وفي الليل نحتفل معاً.
أهلاً وسهلاً ومرحباً.

(يخرجان)

بولونيوس: لقد انتهى هذا الأمر على خير.

سيدي ، وياسيدتي ، لو أطنبنا في شرح
آداب المُلْك ، وماهية الواجب ،
وكيف يكون النهار نهاراً ، والليل ليلاً ، والزمان زماناً ،
لكنَّا إنما نضيع الليل والنهار والزمان .
ولذلك ، وحيث أن الإيجار روح البلاغة ،
والإملال أعضاؤها وزينتها الخارجية ،
سأوجز القول . ولدُكم النبيل مجنون .
أسميه مجنوناً ، إذ ما محاولة تعريف الجنون
إلاّ جنون .
ولكن لندع ذلك جانباً .
الملكة: مادةً أكثر، بتنميق أقل .
بولونيوس : أقسم لك ياسيدتي إنني لا أنمق
أما أنه مجنون ، فصحيح . وصحيح أنه
مؤسف ، ومؤسف أنه صحيح . نكتة بيانية ـ
لكن لننصرف عنها ، لأنني لن أنمق .
فلنقل إذن أنه مجنون . بقي علينا الآن
أن نجد السبب في هذه النتيجة ،
أو قل السبب في هذا النقص ،
لأن النتيجة الناقصة هذه لا تأتي إلاّ عن سبب .
أطرقوا وتأملوا : أن لي ابنة ـ وهي لي ، مادامت ابنتي ـ
وقد أعطتني هذه ، لإخلاصها وطاعتها لي ،

(يبرز ورقة)

وعليكم بالإستنباط والتخمين.
(يقرأ) «إلى أبنة السماء، معبودة روحي،
أوفيليا، أعمق النساء جمالاً ـ»
هذه عبارة، رديئة، ركيكة ـ «أعمق النساء جمالاً»
عبارة ركيكة جداً. ولكن اسمعوا وعوا.
(يقرأ) «في صدرها الناصع الحسن هذه الأبيات الخ»
الملكة: أمن هاملت هذا الكلام إليها؟
بولونيوس: مهلاً ياسيدتي الكريمة. سأكون أميناً.
(يقرأ) «هل للكواكب نار في العلى؟ تساءلي،
هل دارت الشمس يوماً في الفضاء؟ ـ تساءلي،
أيكذب من قال الحقيقة؟ تساءلي
ولكن عن هواي، حبيبتي، لاتتساءلي.
عزيزتي أوفيليا، لا أجيد عدّ هذه التفاعيل، وأنا
لا أجيد عدّ تنهداتي والأنين. اما أنني أهواك
ياخير الحسان، فصدقي. والوداع!
المخلص لك، يا أعزّ من كل عزيز،
مادام مالكاً لجسده الآلي هذا،
هاملت»
هذا ما أطلعتني عليه ابنتي لطاعتها لأبيها،
وكذلك اسمعتني ما ترجاها به من القولِ

وكيف ومتى وفي أي مكان .
الملك: ولكن كيف قابلت هذا الحب منه؟
بولونيوس: كيف تنظرون إليَّ ؟
الملك: كرجل أمين شريف .
بولونيوس: أود أن أبرهن على ذلك . ما الذي كنتم ستظنونه؟ـ
عندما رأيت هذا العشق المحموم على الجناح محلقاً ،
وقد لحظته قبل أن تخبرني إبنتي بشأنه ـ
يجب أن أقول ، ما الذي كنتم ستظنونه
أنتم أو صاحبة الجلالة ملكتنا الكريمة ،
لو أنني قمت بدور الدفتر أو المنضدة بينهما ،
لو أنني غمزت لقلبي أن أصمتْ ولا تتكلم ،
لو أنني نظرت إلى هذا الحب نظرة من لا يكترث ،
ما الذي كنتم ستظنونه؟ لا ، لقد عملت بوضوح
وصراحة ،
وخاطبت صبيّتي المحترمة قائلاً :
ليس سيدنا الأمير هاملت من نصيبك ،
فاحذري . ثم أوصيتها
بأن تحجب نفسها عن مسعاه إليها ،
وتمنع عنها رسله وترفض هداياه .
وإذ قلت لها ذلك تناولت ثمرة نصيحتي ،
فلما صدته عن نفسها ـ ولنختصر الحكاية ـ

أصابه الأسى، ثم إمتنع عن الأكل،
ثم حرم النوم، ثم أصيب بالضعف
ثم ابتلي بالخفة، وبهذا التردي والهبوط
بلغ درك الجنون الذي يهذي الآن فيه
ويبكينا جميعاً عليه.
الملك: أتعتقدين أن هذا هو الصحيح؟
الملكة: من المحتمل جداً.
بولونيوس: هل رأيتموني يوماً، من فضلكم،
أقول عن شيء جازماً «إن الأمر كذا!»،
ثم ظهر أنه لم يكن كذلك؟
الملك: كلا، حسبما أعلم.
بولونيوس: إقطع هذا عن هذا (مشيراً إلى رأسه وعنقه)، إن لم
يكن الأمر كما أقول.
فإذا لم تتمتع علي الظروف، اكتشفت
مكمن الحقيقة، حتى وإن اختفت
في باطن الأرض.
الملك: كيف لنا أن نتحقق الأمر أكثر؟
بولونيوس: أنتم تعلمون أنه يتمشى أحياناً ثلاث أو أربع
ساعات متواليات
في هذه الردهة؟
الملك: ذلك صحيح.

بولونيوس: سأطلق حينئذ عليه ابنتي .
ولنختبيء عندئذ وراء الستارة
ونرقب المقابلة . فإذا لم يكن يحبها
ولم يكن سلب عقله لحبها ،
لا كنت وزيراً لدولة
بل مدير مزرعة وسائقي عربات .
الملك: نجرب ما اقترحت .

(يدخل هاملت)

الملكة: ها هو المسكين قادم حزيناً وهو يقرأ .
بولونيوس: إذهبا ، إذهبا كلاكما أرجوكما .
سأفاتحه بالأمر حالاً .

(يخرج الملك والملكة)

سماحك يا مولاي .
كيف حال سيدي الأمير هاملت؟
هاملت: حسن ، والحمد لله .
بولونيوس: أتعرفني ، يا مولاي .
هاملت: تمام المعرفة . أنت بيّاع سمك .
بولونيوس: كلا يامولاي .
هاملت: إذن ليتك كنت شريفاً مثله .
بولونيوس: شريفاً ، يامولاي؟
هاملت: نعم يا سيدي ، فالشريف ، وهذه الدنيا على

ما هي فيه، واحد بين عشرة آلاف.

بولونيوس: أي والله صحيح، يامولاي.

هاملت: فإذا كانت الشمس تولّد الديدان في كلب ميّت، لأنه جسد يصلح للقُبَل - هل لك ابنة؟

بولونيوس: أجل يا مولاي.

هاملت: إنهها عن المشي في الشمس: فالحمل نعمة، ولكنه غير ماقد تحمله إبنتك. فانتبه ياصاح.

بولونيوس (جانباً): ما قولك في ذلك؟ مازال يعيد ويكرر موضوع إبنتي، مع أنه لم يعرفني أول الأمر. قال إنني بياع سمك! لقد ساءت حاله، ساءت جداً. والحق أنني في شبابي قاسيت الأمرين من الحب، مثله تقريباً. سأخاطبه ثانية. (لهاملت) ما الذي تقرأه، يامولاي.

هاملت: كلمات، كلمات، كلمات.

بولونيوس: وما الذي فيها؟

هاملت: في من؟

بولونيوس: في الكلمات التي تقرأها يامولاي.

هاملت: قدح وذم، يا سيدي. لأن هذا المجّاء الحقير يقول هنا، إن للشيوخ لحى بيضاء، وإن وجوههم غضينة، وعيونهم نفرز الصمغ الثخين، كصمغ الخوخ، وأن فيهم الكثير من النقص في العقل، والعجز في الاليتين. ولئن كنت يا سيدي أؤمن بهذا كله إيماناً عميقاً راسخاً، فإنني أرى من العيب تدوينه على

هذا الشكل، فأنت يا سيدي قد تكون في سني أنا لو استطعت المشي كالسرطان إلى الوراء .

بولونيوس(جانباً) : إن هذا جنون، ولكنه جنون بأسلوب . (لهاملت) هل لك في أن تخرج من الهواء، يامولاي؟

هاملت : إلى قبري؟

بولونيوس (جانباً) : حقاً خارج عن الهواء . ما أملأ أجوبته في بعض الاحايين! فيها براعة كثيراً ما تتفق للجنون وتعصى على العقل والمنطق. سأتركه وأدبر الأمور للقاء بينه وبين ابنتي. (لهاملت) مولاي الكريم، أمنحني الإذن بالذهاب .

هاملت : لن تأخذ مني بطيبة خاطر أشد، إلاّ حياتي، إلاّ حياتي .

بولونيوس : استودعك الله يا مولاي .

هاملت : يا للعجائز الحمق الصقعاء ! (يدخل روزنكرانتز وغلدنسترن)

بولونيوس : أتبحثان عن الأمير هاملت؟ إنه هناك .

روزنكرانتز : حفظك الله يا سيدي .

(يخرج بولونيوس)

غلدنسترن : سيدي النبيل!

روزنكرانتز : سيدي العزيز!

هاملت : أهلاً بالصديقين الطيبين! كيف حالك ياغلدنسترن، وأنت ياروزنكرنتز! كيف انتما ايها الطيبان!

ياروزنكرانتر : كالسوية من أبناء الأرض .

غلدنسترن :إننا من السعداء، لأننا لم نتجاوز مدى السعادة، فنحن لسنا في القمة من قبعة ربّة الدهر.

هاملت: ولا في النعل من حذائها؟

روزنكرانتز: لا هذا ولا ذاك يامولاي.

هاملت: إذن فأنتما حول خصرها، في وسط الهوى منها؟

غلدنسترن: من احضّائها السريين نحن، يا سيدي.

هاملت: في الأعضاء السرية من ربّة الدهر؟ صدقت والله.. إنها لمومس فاجرة. ما وراءكما من الأخبار؟

روزنكرانتز: لا أخبار يا سيدي، سوى أن العالم قد أضحى شريفاً.

هاملت: إذن قريب قيام الساعة. ولكن نبأكما ليس صادقاً. فلأحدد أسئلتي: ما الذي، يا صديقيّ الكريمين، أسأتما به إلى إلهةِ الدهر حتى أرسلتكما إلى هذا السجن؟

غلدنسترن: السجن، يا سيدي؟

هاملت: الدانمرك سجن.

روزنكرانتز: إذن فالدنيا كلها سجن.

هاملت: سجن، ممتاز، فيه ردهات وزنازن وسراديب. والدانمرك من أسوأها.

روزنكرانتز: لا نظن ذلك يا سيدي.

هاملت: إذن، فهي ليست سجناً لكما. لأنْ ما من حسن أو دميم إلاّ والظن يجعله كذلك: فبالنسبة إليّ، هذا البلد سجن.

روزنكرانتز: إذن طموحك يجعله كذلك. إنه أضيق من أن يفي بحاجة ذهنك.

هاملت: رباه! بوسعي أن أُحصر في قشرة جوزة، وأعد نفسي ملك الرحاب التي لا تحدّ ـ لو لا أنني أرى احلاماً مزعجة.

غلدنسترن: وهذه الأحلام هي الطُّموح. وما يحققه الطَّموح ليس إلا ظلاً من حلم.

هاملت: وما الحلم نفسه إلا ظل.

روزنكرانتز: بالضبط. والطموح في رأيي شيء هوائي جداً، خفيف جداً ـ فهو ظل الظل، ليس إلاّ.

هاملت: إذن فمتسولونا أجسام، وملوكنا وأبطالنا المستطالون ظلال المتسولين. أنذهب إلى البلاط ـ لأنني، والله، عاجز عن المنطق والتعليل.

كلاهما: سنرافقك.

هاملت: لا، أبداً. إنني أرفض أن أخلطكما في البقية من خدمي. ولأقل لكما قول رجل شريف: إنني مرافَق أرهب مرافقة. ولكن علي بسبيل الصداقة المطروق: ما الذي تفعلانه في ألسينور؟

روزنكرانتز: جئنا لزيارتك، لا لأي أمر آخر.

هاملت: أنا المتسول المعدم، قد أعدمت حتى الشكر! ولكنني أشكركما، وشكري، يا صاحبيّ، أغلى من السعر السائد بفلسين. ألم يرسل أحد في طلبكما؟أجئتما بإرادة منكما؟ أزيادة تلقائية هذه؟ هيّا، أعدلا معي. هيا، هيا. تلكما.

غلدنسترن: ماذا تريد منا أن نقول يا سيدي؟

هاملت: أيّ شيء. ولكن يجب ألا نستطرد. لقد أرسل البعض في طلبكما. أكاد أرى إعترافاً بذلك في نظراتكما، التي تعجز الطيبة فيكما عن تلوينها. إني أعرف أن الملك والملكة قد أرسلا في طلبكما.

روزنكرنتز: لأي غرض؟

هاملت: لكي تعلّماني. غير أني استحلفكما بعشرتنا وانسجام الشباب فينا، وواجب المحبة المقيمة بيننا، وبحق كل عزيز قد يستحلفكما به متحدث أبرع مني: بصراحة وأمانة: هل أرسل أحد في طلبكما أو لا؟

روزنكرانتز (جانباً لزميله): ماذا تقول؟

هاملت (جانباً): هذه «نعم» منكما - إن كنتما تحبانني، تلكما.

غلدنسترن: أجل يا سيدي. لقد أرسلوا في طلبنا.

هاملت: سأطلعكما على السبب، فأكون بتوقعي قد استبقت اكتشافكما، ويظل الكتمان بينكما وبين الملك والملكة على حاله لا تنقصه ريشة واحدة. لقد فقدت مؤخراً - ولست أدري ما السبب - مرحي كله، وأعرضت عن كل رياضة اعتدتها. وفي ذلك، يقيناً، وقرٌ على مزاجي. فهذه الأرض، وهي هذا الهيكل البهي، لاتبدو لعينيّ إلا كمرتفع مجدب عقيم، والهواء، هذا السرادق البديع الحسن، أنظرا، هذه القبة الجميلة المعقودة فوقنا، هذا السقف الضخم المرصع بنار من ذهب، إنه لايبدو لعينيّ إلاَّ كحشد من أبخرة كريهة تنبعث منها الأوبئة. والإنسان ما أروع صنعه! ما أنبله عقلاً، وما أقصى حدود قدرته ومواهبه! في الشكل والحركة ماألبقه وما أروعه! في العمل ما أشبهه بالملائكة! في الإدراك ما أشبهه بالآلهة! إنه زينة الدنيا ومَثَل الحيوانات الأكمل. . ومع ذلك كله، ما خلاصة التراب

هذه؟ لا أجد لذة في الإنسان، ولا في المرأة أيضاً، وإن تبسّمتما كأنكما تقولان ذلك.

روزنكرانتز: سيدي، لم يدر بخلدي شيء من هذا القبيل.

هاملت: لماذا ضحكتَ عندما قلتُ «لا أجد لذة في الإنسان»؟

روزنكرانتز: لأنني قلت لنفسي، إن كنت لا تجد لذة في الإنسان، فلن نرحب بفرقة الممثلين إلا أضأل الترحيب. لقد مررنا بهم وهم في طريقهم إلى هذا المكان ليكونوا في خدمتك.

هاملت: سأرحب بالذي يمثل دور الملك أجمل الترحيب، ولسوف ينال مني الجزية والثناء. والفارس سيُعمل سيفه وترسه، والعاشق لن يتنهد لوجه الله، والمزاحي سينتهي دوره بسلام، والمهرج سيُضحك كلَّ من تتدغدغ رئتاه لأول لمسة، والسيدة ستفصح دون تحفظ عما في قلبها وإلاّ تكسّر الشعر المرسل على لسانها. من هم هؤلاء الممثلون؟

روزنكرانتز: إنهم أنفسهم الذين كنت تجد لذة في تمثيلهم ـ فرقة تمثيل العاصمة.

هاملت: كيف إتفق إنهم يتجولون اليوم؟ألم يكن من الأفضل لهم، من حيث الشهرة والربح معاً، أن يقيموا في المدينة؟

روزنكرانتز: أغلب الظن أن ما استحدث في عالم التمثيل مؤخراً قد أضرّ بهم (1)

هاملت: أما زالوا يتمتعون بما كان لهم من مكانة أيام إقامتي في المدينة؟ ألهم أتباع كثيرون؟

روزنكرانتز: لا والله. لقد تغيّر كل ذلك.
هاملت: لمَ ياترى؟ هل صَدِئوا؟
روزنكرانتز: كلا. مازالت جهودهم على سابق نشاطها. غير أن هناك سرباً من الأطفال، أشبه بفراخ العقبان، ينعقون أعلى النعيق حيث لايتطلب الدور ذلك، وتصفق لهم الجماهير أعنف التصفيق. إنهم الآن الطراز المرغوب فيه، وإذ راحوا يتحاملون على المسارح «العامة» (هذا مايسمونها)، جعل حتى حملة الأسياف يخشون ضربة القلم، ويحجمون عن ارتيادها.
هاملت: أصبيةٌ يمثلون؟ من ذا الذي ينظمهم، ويدفع أجورهم؟ وهل في ابتغائهم جودة التمثيل، لا يتعدون الغناء؟ أو لن يقولوا فيما بعد، حين يكبرون ليصبحوا من ممثلي الفرق العامة ـ وهذا ما لابد منه ان لم تتحسن حالهم ـ إن كتّابهم يظلمونهم بجعلهم يتهجمون على ما سوف يتحتم عليهم هم أنفسهم أن يصبحوه؟
روزنكرانتز: لقد جرى بين الفريقين أمر كثير، والناس لا يتورعون عن إثارة المشادّة بينهم. وقد مرّت فترة لم يكن أحد يقدم فيها مالاً لقاء أي مسرحية دون أن ينتهي الشاعر والممثلون إلى الضرب واللكم حول هذا الموضوع.
هاملت: أممكن ذلك؟
غلدنسترن: لقد جرى صراع كثير بين الأدمغة.
هاملت: وهل يخرج الصبية مظفّرين من هذا الصراع؟

روزنكرانتز : أي والله، في كل مكان .

هاملت :ليس هذا بغريب . فمعي الآن ملكَ الدانمرك، ولذا ترى أن الذين كانوا يكشرون له ساخرين أيام حياة أبي، يدفعون اليوم عشرين، بل أربعين، بل مئة «دوكة»، لقاء صورة صغيرة له . إن في ذلك والله ما يتجاوز حد الطبيعة، ليت الفلسفة تكشف لنا عن كنهه . (نفير أبواق من الداخل)

غلدنسترن: ها هم الممثلون هناك .

هاملت : أهلاً وسهلاً بكما في ألسينور. لنتصافح . فالترحيب عادة ومراسيم. ولأتبع الأصول معكما على هذا الغرار لئلا يبدو لطفي مع الممثلين ـ وعليّ أن أبدي لهم اللطف ظاهراً ـ ترحاباً أكثر من لطفي معكما. أهلاً ومرحباً. غير أن عمي ـ أبي ـ وأمي ـ امرأة عمي، كليهما مخدوع .

غلدنسترن : بماذا، يامولاي .

هاملت : لست مجنوناً إلا باتجاه الريح شمالَ شمالِ غرب : أما إذا اتجهت جنوباً فإنني أميز الصقر من الكركي . (يدخل بولونيوس).

بولونيوس : السلام عليكم أيها السادة .

هاملت : أصغ ياغلدنسترن، وأنت أيضاً ـ على كل أذنٍ سامع : ذلك الطفل الكبير الذي تبصرانه أنه هناك، لم يخرج بعد من قماطه .

روزنكرانتز : لعله عاد إلى القماط من حديد . يقولونه أن الشيخ يمر في طفولتين .

هاملت : سأتنبأ! لقد جاء ليخبرني عن الممثلين. أستمعا! كلامك صحيح يا سيدي . كان الأمر كذلك حقا صباح يوم الإثنين .

بولونيوس : مولاي ، جئتك بخبر.

هاملت : مولاي ، جئتك بخبر. عندما كان روسكيوس ممثلاً في روما ـ

بولونيوس : لقد حضر الممثلون يامولاي .

هاملت : بس ، بس!

بولونيوس : بشرفي!

هاملت : إذن (مغنياً) «قدم الممثلون على الحمير[2] ـ

بولونيوس : أبرع الممثلين في العالم . إنهم يجيدون المأساة ، والملهاة ، والمسرحيات التاريخية ، والريفية ، والريفية الهزلية ، والريفية التاريخية ، والمأساوية التاريخية ، والريفية التاريخية الهزلية المأساوية ، كما يجيدون تمثيل المشهد اللايجزأ والقصيدة اللاَّمُحد . لا يتصعبّون سِنِكا ، ولا يستهينون بلا وطوس ، وسواء لديهم ما تقيد بقوانين الكتابة وما تحرر منها . إنهم وحدهم الممثلون .

هاملت (مغنياً) : «يا يفتاح ، ياقاضي اليهود ، يا عظيم الكنز لديك . »

بولونيوس : ما الذي كان لديه من كنز يا مولاي؟

هاملت : ابنة حسناء ، لاغيرها ، أحبها حتى

العبادة . »

بولونيوس (جانباً) : ما زال بإبنتي .

هاملت : ألست محقاً ، يا يفتاح العجوز؟

بولونيوس: إن كنت تدعوني بيفتاح، فإن لي ابنة أحبها حتى العبادة.

هاملت: هذا لا يتبع ذاك.

بولونيوس: ما الذي يتبعه إذن، يا مولاي.

هاملت: أنت تعرف: فاسمعوا ياقوم، والله أعلم ثم: «هذا ما صار والله أرحم.» ومطلع الترتيلة ينبئك بذلك وأكثر. وإذا نظرت هنا، وجدت من جاؤا للهاتي. (يدخل ممثلون أربعة أو خمسة) أهلاً بالسادة، أهلاً بكم جميعاً. يسرني أن أراك بخير وعافية. أهلاً بالصحب الطيبين. آه، يا صديقي القديم. أطَّرْتَ وجهك بلحية منذ أن رأيتك أخيراً. وأنت يا سيدتي الفتي (3)، لقد دنوت من السماء منذ أن رأيتك أخيراً بمقدار كعب عال. أرجو ألا يكون صوتك قد تصدع كدينار ذهب ضاعت قيمته. مرحباً بكم أيها السادة. علينا بها كالفرنسيين من ذوي الصقور، يصيدون أول ما يلوح لهم، مهما يكن. أذيقوني فنكم. عليّ بخطاب جيّاش ملتهب

الممثل الأول: أي خطاب يا مولاي؟

هاملت: سمعتك مرة تلقي خطاباً لم يُمثَّل قط، أو إذا مثلتموه، فلم تمثلوه أكثر من مرة، لأن المسرحية التي أذكرها لم ترق للملايين. لقد كانت كالكفيار للعوام. غير أنها كانت في رأيي، وفي رأي البعض الذين كان في حكمهم ترداد لما أقول، مسرحية رائعة، حسنة التنسيق في المشاهد، فيها اعتدال بقدر ما فيها من براعة. واذكر أن أحدهم قال، ليس في أبياتها من التوابل

ما يجعل مضمونها حرّيف المذاق، ولا في عبارتها ما يدفعنا إلى اتهام المؤلف بالتحذلق، فهي في أسلوبها الأمين نقية عذبة، جميلة دون تبرج. وقد كانت فيها عبارة اعجبت بها أكثر من غيرها، وهي حكاية اينياس لديْدُونه، لا سيما عندما يتحدث اينياس عن ابنة فريام. فإذا ماكنت تذكرها، أبدأ عند هذا البيت ـ دعني أتذكر. . . . :

«وفرهوس» العتيّ، كوحش فرغانه»[4]

لا، لا، إنها تبدأ بفرهوس ـ آ:

«فرهوس العتيّ، وسلاحه الفاحم
كاسوداد القصد منه، كان كالليل مضطجعاً
في الجوف من حصان الشؤم[5]،
فراح الآن يلطخ سود القسمات من محياه الرهيب
بشارة أشد شؤماً بكثير.
من فرعه حتى القدم
راح بالدم القاني يتزين، ياهولي!
بدم الآباء والأمهات، والبنين والبنات،
طلاءً كالقشرة السميكة في الطرقات اللاهبه،
لتُلقى ضوء اللعنة والجور على
شنيع مصرعهم،
وهم طعمةٌ للنار والغضب،
وفرهوس الجهنمي هذا، بالدم المخثر مكتسياً

وعيناه كالجمرتين، راح يبحث عن
سيد القوم، فريام العجوز.»
بولونيوس: أحسنت والله نطقاً وإلقاءً واعتدالاً، يا سيدي.
الممثل الأول: «وسرعان ما يلقاه
يضرب الاغريق ولا يصيب،
سيفه العتيق ـ مستقر حيثما وقع ـ
متمرداً على الذراع، وعاصياً كل أمر.
فيهجم فرهوس على فريام، خصمين غير متكافئين،
ويضرب ضربة غضبى لا تصيب.
غير أن الشيخ الواهن العصب
من هبة الريح من سيفه الضاري، يقع،
وعندها كأنما «إيليوم»[6] في بحرانها قد شعرت
بالضربة تلك، تزعزعت هاماتها المشتعلات
منهارة على الأسس، آسرةً
أُذنَ فريام بالصوت الرهيب.
وإذا بسيف فرهوس، وهو يهوي
على رأس فريام المسنّ، يعصى في الفضاء.
وهكذا، كتمثال طاغية، يجمد فرهوس في مكانه،
وكالمحايد بين جسمه والإرادة
لا يأتي حراكاً.
وكما في وسط العواصف قد نرى

صمتاً في السماء، وسكوناً في السحب،
وقد خرست هوج الرياح، والأرض أصابها
هجعةٌ كالموت: وإذا الرعد المزمزم
يمزّق الفضاء ثانيةً، هكذا، بعد وقفة فرهوس،
هزّه الغضب من جديد للعمل،
وإذا حتى سكلوب نفسه لم يضرب بمطرقته
درع مارِسِ الابدي صلابةً
بعتوٍّ لا رحمة فيه كما
ضرب فرهوس بسيفه الدامي رأس فريام.
إلاّ اخسأي يا ربة الدهر الفاجرة!
أيتها الآلهة اجتمعي وجردي السطوة عنها،
كسّري الأعواد والإطار من دولابها[7].
ودحرجي الطوق على منحدر السماء لينتهي
إلى الشياطين في أدنى حضيض.»

بولونيوس: طويلة ـ أكثر مما ينبغي.

هاملت: سنرسلها إلى الحلاق، مع لحيتك. (إلى الممثل) استمر، أرجوك. فهذا الرجل لاتروق له إلاّ أغاني الهزل أو حكايات الفجور، وإلا فإنه ينام في الحال. استمر، وصِلْ إلى هكيوبه[8].

الممثل الأول: «ولكن من ذا الذي، ياويلتاه، من ذا الذي رأى الملكة المتلفلفة ـ»

هاملت: الملكة المتلفلفة»؟

بولونيوس: بلغية! «الملكة المتلفلفة» عبارة بليغة.

الممثل: «وهي حافية القدمين تركض ذات اليمين وذات الشمال،
تهدد النار بالدمع الضرير،
وعلى رأسها حيث كان التاج يوماً يتلألأ،
خرقة بالية، وحول الحقوين الضامرين المنهك خصبهما
بدل الجلبات دثار وقعت عليه يداها في غمرة
الخوف المفاجيء.
لو رأى أمرؤ ذاك لصاح مغموس اللسان في السم
بربة الدهر وجورها: ياللخيانة!
بل لو رآها عند ذاك الآلهة،
وهي تبصر فرهوس يلهو حاقداً
بإعمال السيف في أوصال زوجها،
وسمعوا انفجارها بعالي الندب والنواح
(إن تهزهم ابداً اوصاب البشر)
تعطرّوا الدمع من محاجر السماء المتأججة
وأترعوا الصدر من كل إله عليها وأسى.»

بولونيوس: أنظر كيف حوّل لونه وملأ عينه بالدمع! أرجوك، كفى، كفى.

هاملت: جيد! سأطلب اليك أن تلقي البقية عن قريب.

(إلى بولونيوس)

سيدي، أحسن وفادة الممثلين واقامتهم، أتسمع، وعاملهم خير معاملة. أنهم خلاصة العصر وموجز تاريخه. خير لك أن يكتب على قبرك بالسوء بعد موتك، من أن يذكروك هم بالسوء في حياتك.

بولونيوس: سيدي سأعاملهم بموجب استحقاقهم.

هاملت: بل أفضل، قاتلك الله يا رجل، لو عاملت كل أمريء بموجب استحقاقه، من ينجو من الجلد بالسياط؟ عاملهم حسب نبلك أنت ومنزلتك. فكلما قلّ استحقاقهم، زاد الفضل في كرمك خذهم معك.

بولونيوس: تفضلوا يا سادة.

هاملت: اتبعوه أيها الصحب، غداً نستمع إلى إحدى مسرحياتكم.

(يخرج بولونيوس والممثلون إلاّ واحداً) أتسمعني ياصاح؟

أبوسعكم تمثيل «مصرع غونزاغو»؟

الممثل الأول: نعم يا مولاي.

هاملت: فلتمثلوها إذن مساء غد. أتستطيع، إذا اقتضى الأمر، أن تحفظ عن ظهر قلب عشرة أبيات أو خمسة عشر. سأكتبها لتقحمها في دورك؟

الممثل الأول: نعم يا مولاي.

هاملت: حسناً اتبع ذلك السيد. وإياك أن تهزأ به.

(يخرج الممثل)

سأترككما يا صديقيّ حتى المساء. أهلاً بكما في ألسينور.

روزنكرانتز : في أمان الله ، يا سيدي .
هاملت : في أمان الله وحفظه !

(يخرج روزنكرانتز وغلدنسترن)

أي نذل أنا ، أي عبد قروي !
أليس من العار علي أن هذا الممثل ،
في رواية من الخيال ، في حلم من الألم ،
يكره روحه على تلبس وهمه
فتحتدم ، ويشحب منه المحيّا بأجمعه ،
الدموع في عينيه ، والهياج في قسماته ،
وصوته يتكسر ويتهدج ، وكل وظيفة في جسمه
تتلبس ذلك الوهم . . وذلك كله من أجل لاشيء؟
من أجل هكيوبه !
وما لهكيوبه عنده ، أو له عند هكيوبه ،
فيبكي هكذا من أجلها؟ وما الذي ترى كان فاعله
لو أن لديه من دافع وحافز إلى الألم الممضّ
ما لدّي أنا؟ لأغرق و الله ، المسرح بالدمع ،
وشق الإسماع برهيب الكلام ،
ولدفع الآثمين إلى الجنون ، وأرعب الأبرياء ،
وشَدَهَ الجهلاء ، وأرهب حقا
حتى الآذان والعيون نفسها
ورغم ذلك ، فإنني

أنا الحقير البليد، من الوحل لُحمتي وسُداي
استرق النظر، كالابله الحالم، غير مليء بحوافزي
غير قادر على النطق بشيء - حتى ولا من أجل ملك
دبروا للملكه وغالي حياته شر هزيمة. أجبان أنا؟
من يسميني بالوغد؟ يشجّ القحف من رأسي؟
ينتف لحيتي ويقذف في وجهي بها؟
يدعك أنفي، يرد الأكذوبة إلى حلقي
أو تستقر في رئتي؟ من يفعل ذلك بي؟
ها؟
عليّ بالرضوخ والله: كبدي أن هي إلاّ
كبد الحمامة، ولا مرارة فيّ
لأجعل ضغطي علقماً، وإلاّ لكنت
سمّنت كل حدأة في الفضاء
بأمعاء هذا العبد الرقيق، هذا النذل المجرم الخليع،
هذا النذل الفاجر الخائن الذي
خرج على سنن الطبيعة بلا ضمير!
الا أيها الانتقام!
ولكن يالي من حمار! أجل، ما أجمل صنعي،
أنا ابن ذاك القتيل الحبيب،
أنا الذي السماء تحثني، والجحيم أيضاً، على الثأر،
افضّ ما بقلبي كالمومسات ألفاظاً

وأروح اشتم كالبغيّ .
عاهر! ألا تبًا ! أف !
هلمّ، يادماغ !آ، لقد سمعت
إن المجرمين إذ يجلسون في المسرح
تفعل براعة المشهد في نفوسهم
فعلا فاتكا ، واذا هم على الفور
يفصحون عن سوء ماصنعوا .
فالقتل ، وإن يكن عديم اللسان ، لابد ينطق يوماً
بلسان خارق العجب . . . سأجعل هؤلاء الممثلين
يمثلون شيئاً يشبه قتل أبي
أمام عمي . وسأرقب ملامحه ،
دخيلته سأخرقها حتى الحشاشة ، وإذا بدرت منه
ولو جفلة واحدة ،
عرفت نهجي معه . أن الروح التي رأيتها
قد تكون شيطاناً ، وللشيطان قدرة
هل تقمص المظهر السارّ ـ أجل ، ولعله
لضعفي وسوداويتي
ولسطوته باستخدام أرواح كهذه ،
يخدعني ليجر بي إلى التهلكة . عليّ إذن بحججٍ
أشد تماسكاً من هذه . المسرحية هي الشيء
الذي سأقبض به على ضمير الملك !

هوامش :

(1) يشير شكسبير في هذا القسم من «هاملت»، بكثير من السخرية، إلى وضع فرق التمثيل وأساليبها والصراع بينها في زمنه .

(2) من أغنية معاصرة لشكسبير.

(3) كانت أدوار النساء يقوم بها الاولاد قبل أن تغلظ المراهقة أصواتهم

(4) جعل شكسبير هذه القطعة في أسلوب المبالغة والتهويل الذي كان متبعاً في مسرحيات الفرقة التي تنافس فرقته .

(5) حصان طروادة الخشبي .

(6) قصر فريام . ملك طروادة .

(7) تصور ربة الدهر كامرأة معصوبة العينين تدير دولاب الحظوظ

(8) زوجة فريام .

الفصل الثالث

المشهد الأول
غرفة في القلعة

(يدخل الملك، والملكة ، وبولونيوس ، وأوفيليا ، وروزنكرانتز، وغلدنسترن .)

الملك : ولاً تستطيعان باللف والمداورة
أن تستعلما منه السبب في هذا الإضطراب ؛
مالئاً، ويا للقساوة ، أيام راحته كلها
بالبلاهة الهوجاء الخطرة؟
روزنكرانتز: إنه يعترف بأنه يشعر باضطراب نفسه ،
أما السبب فيرفض الخوض فيه .
غلدنسترن : ولا نرى فيه أي تقبُّل لتقصي أمره ،
فإذا أردنا استدراجه للإعتراف بطرف
من حالته الحقيقية ، صدّنا عنه
بجنون فيه حيلة وبراعة .
الملكة: هل أحسن استقبالكما؟
روزنكرانتز : أجل ، كما هو خليق بالنبيل .
غلدنسترن : ولكن مع الكثير من التكلف .

روزنكرانتز : بخيل في السؤال ولكن عمّا سألناه
سخيّ جداً في الجواب .
الملكة: هل حاولتم إشراكه في ملهاة أو تسلية؟
روزنكرانتز: لقد اتفق يا سيدتي أننا في طريقنا
مررنا بفرقة من الممثلين، فلما أخبرناه عنهم
بدأ عليه ضرب من الفرح
لسماعه النبأ. وهم الآن في البلاط
وأغلب الظن أنهم أُمروا
بالتمثيل هذه الليلة في حضرته .
بولونيوس: صحيح وأيم الحق .
وقد رجاني أن التمس إلى جلالتكم
أن تسمعوا وتشاهدوا ما سوف يمثلون .
الملك : بكل طيبة خاطر، وأنه ليسرني جداً
أن أعرف عن هذا التوق فيه .
أرجوا، أيها السيدان، أن تشحذا فيه هذا التوق
وتوجّها همّه نحو متعات كهذه .
روزنكرانتز: سنفعل يا مولاي .

(يخرج روزنكرانتز و غلدنسترن)

الملك: وأنت أيضاً، ياحلوتي غرترود، أتركينا،
فقد أرسلنا خصيصاً في طلب هاملت
لكي يلتقي هنا بأوفيليا وجهاً لوجه،

وكأنه التقاء صدفة .
كلانا ، أنا وأبوها ، رَصَدٌ شرعي ،
وسنختبيء بحيث نَرى ولا نُرى
فنحكم بصراحة من اللقاء بينهما
ونستنتج منه ومن تصرفه
إذا كان ما يعانيه على هذا النحو
هو سقام الحب أم لا .
الملكة: أنا طوع أمرك .
أما أنت يا أوفيليا ، فلشد ما أرجو
أن تكون محاسنك هي السبب الطيب
في جِنّة هاملت ، وكذا آمل أيضاً أن ترده
فضائلك إلى الطريق السويّ
لما فيه شرف لكليكما ،
أوفيليا: سيدتي أسألُ الله ذلك .

(تخرج الملكة)

بولونيوس : أوفيليا ، تمشيّ هنا . وتفضلوا جلالتكم
ولنختبيء . اقرأي في كتاب الصلوات هذا
لعل القراءة تضفي على انفرادك
اللون المطلوب . ما أشد ما نلام بمثل هذا ،
وكثيراً ما ثبت أننا بمظهر الورع
والفعل التقيّ ، نُلبس حتى الشيطان نفسه

رداءً من الحلاوة .
الملك (جانباً): ما أصدق ذلك !
وما آلم ما يلسع هذا القول ضميري !
ليس خدُّ البغيّ المجمّلُ بالطلاء
اقبح لما يجمله
من فعلي أنا لأشد ألفاظي طلاءً
يا لعبئي الثقيل !
بولونيوس : اسْمعه قادماً . فلننسحب يا مولاي

(يخرجان ليختبئا وراء إحدى الستائر، يدخل هاملت)

هاملت : أأكون أم لا أكون؟ ذلك هو السؤال .
أمن الأنبل للنفس أن يصبر المرء على
مقاليع الدهر اللئيم وسهامه
أم يُشهر السلاح على بحر من الهموم ،
وبصدها ينهيها؟ نموت . . ننام . .
وما من شيء بعد . . أنقول بهذه النومة ننهي
لوعة القلب ، وآلاف الصدمات التي
من الطبيعة تعرض لهذا الجسد؟ غاية
ما أحر ما تشتهي . نموت . . ننام . .
ننام ـ وإذا حلمنا؟ أجل لعمري ، هناك العقبة . . .
فما قد نراه في سبات الموت من رؤى ،
وقد ألقينا بفانيات التلافيف هذه عنا ،

يوقفنا للتروي .
ذلك ما يجعل طامةً من حياة طويلة كهذه .
وإلاّ فمن ذا الذي يقبل صاغراً سياط الزمان ومهاناته ،
ويرضخ لظلم المستبد ، ويسكت عن زراية المتغطرس ،
وأوجاع الهوى المردود على نفسه ، ومماطلات القضاء
وصلافة أولي المناصب ، والازدراء الذي
يلقاه ذو الجدارة والجلد من كل من لاخير فيه ،
لو كان في مقدوره تسديد حسابه
بخنجر مسلول؟ من منّا يتحمل عبأه الباهظ
لاهثاً ، يعرق تحت وقرٍ من الحياة ،
لولا أن الخوف من أمر قد يلي الموت ،
ذلك القطر المجهول الذي من وراء حدوده
لايعود مسافر ، يثبّط الإرادة فينا
ويجعلنا نؤثر تحمل المكروه الذي نعرفه
على الهرب منه إلى المكروه الذي لانعرفه؟
إلا هكذا يجعل التأمل منّا جبناء جميعاً ،
وما في العزم من لون أصيل يكتسي
بصفرة عليلة من التوجسّ والقلق ،
ومشاريع الوزن والشأن ينثني
مجراها إعوجاجاً بذلك ،
وتفقد اسم الفعل والتنفيذ .

رويدك الآن!
أوفيليا الجميلة ! أيتها الحورية ، أذكري
في صلواتك خطاياي كلّها .
أوفيليا: سيدي العزيز،
كيف كنتم في الأيام العديدة الأخيرة؟
هاملت: أشكر لك لطفك. بخير . بخير. بخير.
أوفيليا: سيدي ، لدي هبات منك
تقت منذ زمن إلى ردّها
هلا أخذتها .
هاملت: لا، لا، لم أعطك شيئاً قط ،
أوفيليا: سيدي المبجل ، لقد اعطيتنيها
مرفقة بعبارات دُبجت بشذيّ النفَسْ
فزاد قدرها . ولكن عطرها قد ضاع
فخذها ثانية . ثمين الهدايا ، للنفس الأبية ،
يبخس قدرها حين ينقلب مهديها .
هاك ، ياسيدي .
هاملت: ها ، ها! أعفيفة أنت؟
أوفيليا: سيدي!
هاملت: أجميلة أنت؟
أوفيليا: ماذا تعني يا سيدي؟
هاملت: أعني إن كنت عفيفة وجميلة معاً، وجب على عفافك أن يجعل

الوصول إلى جمالك محرّماً.

أوفيليا: وهل للجمال يا سيدي ما يتعاطاه خير من العفاف؟

هاملت: بالضبط للجمال قدرة على تحويل العفاف إلى الفجور، أشد ما للعفاف من قدرة على قلب الجمال إلى صورته. كان هذا القول يوماً من الاضداد، ولكن عصرنا هذا قد مدّه بالبرهان. كنت أحبك يوماً.

أوفيليا: يقينا يا سيدي، لقد حملتني على اعتقاد ذلك.

هاملت: كان عليك ألا تصدقيني. فالفضيلة لاتطعّم جذعنا القديم إلاّ ويظل فينا شيء من مذاقه. ما أحببتك قط.

أوفيليا: إذن فقد خُدعت.

هاملت: إذهبي إلى ديرٍ للراهبات[1]. أتريدين أن تلدي الخُطاة؟أنا نفسي على قدر من العفة، ولكن بوسعي رغم ذلك أن أتهم نفسي بأمور هي من الإثم ما يجعل أمي تتمنى لو لم تكن ولدتني. إني شديد الكبرياء، حقود الثأر، عنيد الطموح، ورهن اشارتي من الآثام ما يعجز فكري عن حصره، وخيالي عن تحديد شكله، ووقتي عن تنفيذه. فما الذي يترتب على الذين مثلي أن يفعلوه إذ يزحفون بين السماء والأرض؟ كلنا انذال وأوغاد. إياك أن تصدقي واحداً منا. اذهبي وترهبي. أين أبوك[2].

أوفيليا: في البيت يا سيدي.

هاملت: فليغلق المصاريع على نفسه، لكي لا يلعب دور الأبله المأفون إلا

في بيته، وداعاً.

أوفيليا (جانباً) : أعينيه ،أيتها السماوات الخيّرة!

هاملت : إن كنت ستتزوجين، أعطيتك مهراً هذا الوباء. لن تنجي من المذمة ولو كنت عفيفة كالجليد، نقية كالثلج. إذهبي إلى دير وترهبي. إذهبي. وداعاً. أو إن كان لابد لك من الزواج، فتزوجي أحد البلهاء. إن العقلاء ليعلمون تمام العلم أي بهائم تجعلن أنتنّ منهم. إلى الدير إذهبي. وأسرعي. وداعاً

أوفيليا (جانباً): يا قوى السماء، أعيديه إلى رشده!

هاملت: لقد سمعت الكثير عن أصباغكن وطلائكن. وهبكن الله وجهاً، وتجعلن لكّن وجهاً آخر. ترقصن، وتتكسرن، وتلثغن، وتلقبن مخلوقات الله بأسماء من عندكن، وتجعلن للخلاعة حجة من جهلكن. عني بكّن، لا أريد منكن شيئاً بعد ـ انه ليجنني. أتسمعين، فلنمنع الزواج! أما المتزوجون سابقاً، فكلهم سيبقون على قيد الحياة إلا واحداً، ويبقى الآخرون على حالهم. عليك بالدير. اذهبي!

(يخرج هاملت)

أوفيليا: لهفي على عقل رفيع قد هوى!
من النبلاء لسانهم، ومن الجند سيفهم،
ومن العلماء عينهم،
زهرة الدولة اليانعة ومطمحها،
مرآة الذوق والأناقة، قالب الأدب،

ملتقى الأبصار كلها، قد هوى وتحطم.
وأنا، أبأس النساء وأتعسهن،
أنا التي رشفت العسل الذي في وعوده المنغّمة،
أرى الآن ذلك الذهن الكريم الرفيع
يرنّ كأجراس عذبة تجلجل نشازاً منكراً،
وذلك الشباب الفاغم الذي لاصنو لصورته
تكسر عودَه يدُ الجنون. يا ويلتاه
لما رأيت، يا ويلتاه لما أرى!

(يدخل الملك وبولونيوس)

الملك: الحب؟ عواطفه لاتنحو ذلك المنحى،
وأقواله، وإن يكن يعوزها شيء من السبك،
لاتشبه الجنون. في روحه شيء
قعدت عليه كآبته قعود الطير
وإني لأخشى أن ما سيفقس لن يكون
إلا ضرباً من الخطر. ومنعاً لهذا الخطر
قررت بأسرع الحزم معالجة الأمر
عليه بالذهاب حثيثاً إلى انكلترا
لمطالبتها بدفع ما أهملناه من جزية.
فلعل البحار واختلاف الأمصار
وتباين المشاهد تنفي عن قلبه
هذه المادة التي استقرت في شغافه،

والتي إذ يرفّ عليها دماغه دون وقفة
تقصيه من مألوف نفسه. فما رأيك؟
بولونيوس: لابأس. بيد أني مازلت موقناً
أن منبت الأصل والبداية في حزنه
هو الحب المهمل. والآن يا أوفيليا،
لاحاجة لإعادة ما قاله الأمير هاملت،
فقد سمعنا كل شيء. افعلوا ما بدا لكم يا سيدي
ولكن أرجو، إذا استنسبتم، بعد المسرحية،
أن تجعلوا الملكة أمة تختلي به وتتوسل إليه
أن يفصح عن شكواه. ولتصارحه القول،
وسأضع نفسي، إن كنتم توافقون، على مسمع
مما يدور بينهما. فإذا لم تكتشف ما فيه،
ارسلوه إلى انكلترا، أو احجروا عليه
حيثما تستصوب حكمتكم.
الملك: سأفعل ذلك
الجنون في العظماء لابد له من رقباء.

المشهد الثاني
قاعة في القلعة

(يدخل هاملت مع اثنين أو ثلاثة من الممثلين)

هاملت: أرجوك أن [3] تلقي العبارة كما قرأتها لك، كأنها تقفز خفة على لسانك اما أن كنت ستشدّق بها، كما يفعل معظم ممثليكم فخي لي أن أطلب إلى دلاَّل المدينة أن يتلو أبياتي هذه. ولا تنشر الهواء نشراً بيدك، هكذا بل ترفق بالقول. لأن عليك حتى في دفق العاطفة وعصفها، بل وإعصارها، أن تدرك وتولد اعتدالاً يضفي عليها النعومة والسلاسة. لشد ما يسوؤني أن اسمع غلاماً مستعار القحف والشعر يصطخب ويمزق العاطفة مِزَقاً وخرقاً بالية، ليشق آذان الحائشة [4] من المشاهدين، وهم الذين على الأغلب لا يفقهون من التمثيل إلاّ مالا يُفسَّر من العروض الصامت والجعجعة. بوسعي والله أن آمر بجلد ممثل كهذا يتعدى الطرمغان في هوله، وهيرودس [5] في هيروديته. أرجوك أن تتجنب ذلك.

الممثل: سأفعل يا سيدي.

هاملت: كما أرجوك ألاّ تبالغ بالإلفة واللين. فلتكن فطنتك استاذك. لائم الكلمة حركتها، والحركة كلمتها، متقيداً بهذا الشرط: وهو ألا تتخطى حشمة الطبيعة. فكل مبالغة في القول والحركة انما هي نابية عن غاية التمثيل، وما هذه الغاية منذ البدء حتى اليوم، الا اشبه باقامة المرآة امام الطبيعة، لكي تعكس للفضيلة محيّاها، وللزراية صورتها، ولجسد العصر والمجتمع شكله وأثره. فهذا إن اسرفت فيه وهوّلت، أو تباطأت فيه وضاءلت، قد يُضحك غير العارفين، ولكنه يؤسف ذوي الفهم والذوق. وحكم هؤلاء يجب أن يغلب في تقديرك على مسرح غاصٍّ بالآخرين. لقد رأيت ممثلين يمثلون ويمدحون أرفع المدح، ولكنهم، ولا أريد القذع في القول، لاينطقون نطق البشر، وليست مشيتهم بمشية المؤمنين ولا الكافرين، يتبخترون ويزعقون، حتى حسبت أن أُجراء الطبيعة يصنعون البشر، فلا يحسنون الصنع، لسوء ما يقلدون الإنسانية.

الممثل الأول: آمل يا سيدي أننا قد أصلحنا ذلك في أنفسنا إصلاحاً لا بأس به.

هاملت: بل عليكم أن تصلحوه إصلاحاً تاماً. ونبّهوا الذين يمثلون أدوار المهرجين ألاّ يقولوا إلاّ ما دُوّن لهم للقول. لأن منهم فئة تضحك من تلقاء نفسها، لكي يضحك لها عدد من النظّارة الأغبياء، بينما المسرحية فيها أمر غير الضحك يجب الالتفات إليه. إنني استقبح ذلك، وهو إنما يدل على طموح حقير في

المهّرج الذي يفعله . إذهبوا وتهيأوا . (يخرج الممثلون)

(يدخل بولونيوس، روزنكرانتز، وغلدنسترن)

ها يا سيدي ، أقادم الملك لسماع هذه المسرحية؟

بولونيوس : نعم، وكذلك الملكة . وسيحضران حالاً .

هاملت: إذن مُر الممثلين بالإسراع .

(يخرج بولونيوس)

وهلاَّ ساعدتماهم أنتما أيضاً على الإسراع؟

كلاهما: لك ماشئت يا سيدي . (يخرجان)

(يدخل هوراشيو)

هاملت: أين أنت ياهوراشيو؟

هوراشيو: هنا يا سيدي العزيز، في خدمتك .

هاملت: هوراشيو، لن أجد من هو أكثر صدقاً منك وأمانة
مهما شاركت الناس احاديثهم .

هوراشيو: سيدي العزيز!

هاملت: لا، لا، تظنني اتملقك ،
وهل أطمع في ترقية منك ، أنت الذي
لا مال لديك سوى حسن الطوية ،
لطعامك وكسائك؟ وهل من يبغي تملق الفقر؟
لا، إنما دع اللسان المحلَّى يلحس فوارغ الأبهة
ولتنثن مفاصل الركب المتلهفات
حيثما الكسب يلحق بالنفاق . أتسمع؟

منذ أن أضحت نفسي الأبية سيدة في خيارها ،
عليمة بالتمييز بين الرجال ، اصطفتك أنت لها .
فأنت كمن يعاني كل شيء ، فلا يعاني أي شيء ،
لطمات الدهر وهباته تتقبلها
شاكراً على السواء . طوبى للذين
امتزجت فيهم نار الدم برجاحة العقل
فما عادوا كالناي تحت أصابع ربة الدهر
تعزف بهم ما تشاء أعطني أمرأً
ليس عبداً لشهوته ، أضعه
في حبة قلبي ، في القلب من قلبي ،
كما وضعتك أنت . حسبي هذا القدْر.
سيمثلون مسرحية أمام الملك هذه الليلة .
وفيها مشهد يقارب الحدث الذي
اخبرتك عنه ـ بشأن موت أبي .
فعندما ترى ذلك الفصل قد بدأ ،
أرجوك أن ترقب عمي
وتُشرك حتى الروح منك في الملاحظة .
فإذا لم ينسرح جرمه الخبيء عند عبارة معينة ،
لن يكون ما رأيناه إلاّ طيفاً لعيناً ،
وما أنا إلاّ ملوث الأوهام ،
كأنها أوهامي محددة «ڤولكان» [6]. شدّد عليه الرقابة ،

أما أنا فسوف أمسمر عينيّ في وجهه ،
وبعد ذلك نجمع بين حكمك وحكمي
لتقييم ما يبدو عليه .
هوراشيو : حسناً يا سيدي . ووالله
لو اختلس شيئاً والمسرحية جارية
ولم تفضحه عيني ، تكلفت أنا بما اختلس !
هاملت : انهم قادمون للمسرحية . فعليّ بالتسكع .
اذهب وجد لك مكاناً .

(موسيقى مسيرة دانمركية . يدخل الملك والملكة ، وبولونيوس ، وأوفيليا ، وروزنكرانتز ، وغلدنسترن ، وآخرون من البطانة ، وأفراد من الحرس يحملون المشاعل . صدح أبواق ودق طبول .)

الملك : كيف حال ابن أخي ؟
هاملت : ممتازة والله ! طعامي طعام الحرباء : آكل الهواء محشواً بالوعود . حتى الفرحة لا تستطيع اطعامها كذلك .
الملك : إني أنكر هذا الجواب ياهاملت . هذه الكلمات ليست لي .
هاملت : ولا لي (لبولونيوس) والآن يا سيدي ، قلت أنك كنت تمثل فيما مضى ، أيام كنت في الجامعة ؟
بولونيوس : أجل يا مولاي ، وكنت أعد من خيرة الممثلين .
هاملت : ماذا مثلت ؟
بولونيوس : مثلت يوليوس قيصر . وقُتلت في الكابيتول .

قتلني بروتس .

هاملت : بربرية منه أن يبقر عجلاً رائعاً مثلك . هل الممثلون مستعدون؟

روزنكرانتز : نعم يا مولاي . إنهم في إنتظار لطفك .

الملكة : تعال هنا ، عزيزي هاملت ، واجلس بقربي .

هاملت : لا يا أماه . هنا معدن أشد جاذبية .

بولونيوس : ها ، (للملك) الحظتم ذلك؟

هاملت : سيدتي ، أأضطجع في حضنك؟

أوفيليا : كلا يا مولاي .

هاملت : أعني ، ورأسي على حضنك؟

أوفيليا : نعم يا مولاي . (يضطجع عند قدميها)

هاملت : أظننتني أعني ضجوعاً؟ ماذا ظننت؟

أوفيليا : لاشيء .

هاملت : ما أجمله ظناً مضجعه بين سيقان الفتيات .

أوفيليا : ما ذلك يا مولاي؟

هاملت : لا شيء .

أوفيليا : إنك مرح يامولاي .

هاملت : من؟ أنا؟

أوفيليا : نعم يا مولاي .

هاملت : رباه اما أنا إلا رقّاصك الماجن . ما الذي بوسع المرء أن يفعل إلاّ المرح ؟ أنظري كيف ينضج وجه أمي يالبشر والفرح ، ولما

يمر على موت أبي ساعتان.

أوفيليا: بل أشهرٌ أربعة يامولاي.

هاملت: أهذا الردح الطويل؟إذن فليلبس الشيطان سواد الحداد، وعليّ أنا بجبة الشيوخ. يا للسماء! أيموت منذ شهرين ولا يُنسى؟ إذن ما زال ثمة أمل في أن العظيم من الرجال قد تحيا ذكراه بعد وفاته لنصف سنة من الزمن. ولكن عليه أن يشيّد الكنائس، وإلاّ وجب عليه أن يتحمل نسيان القوم له نسيانهم حصان الملاهي المستعار، الذي نقش على قبره (مغنياً):

«واحسرتاه على حصانٍ مستعارٍ، هجروه ونسوه[7]..»

(عزف مزامير. يبدأ العرض الصامت. يدخل ملك وملكة وهما يتغازلان ويتعانقان. تركع هي وتومىء بعشقها واخلاصها له. فينهضها ويسند رأسه على عنقها، ثم يضطجع على أرض كلها زهور. وعندما تراه قد غرق في النوم، تتركه. وفي الحال يدخل رجل بنزع التاج عن رأسه، ويقبّل التاج، ويصب السم في أذني «الملك». ويخرج. تعود «الملكة» ونجد أن «الملك» قد مات، فتأتي بحركات الألم والفجيعة ثم يدخل صاحب السم ثانية ومعه اثنتان أو ثلاث من الندابات، ويتظاهرون بالنوح معها. تحمل جثة الميت إلى الخارج، ويخطب صاحب السم ودّ «الملكة» بالهدايا. تبدو أنها تُعرض عنه لفترة وجيزة، ولكنها في النهاية تتقبل حبه ،يخرجان.)

أوفيليا: ما معنى هذا يا مولاي؟

هاملت: هذا والله تلصص متلصص معناه الأذى.

أوفيليا: لعل في هذا العرض خلاصة المسرحية؟

هاملت: سنعرف من هؤلاء القوم. فالممثلون لا يحفظون سراً، ويبوحون بكل شيء

أوفيليا: وهل سيخبرنا أحدهم بمعنى هذا العرض؟

هاملت: نعم، وكل عرض آخر تعرضينه له. لا تتورّعي عن العرض، لايتورعْ عن البوح بمعناه.

أوفيليا: ماجن، أنت ماجن! سأنتبه إلى المسرحية.

(يدخل البرولوغ)

البرولوغ: حِلْمَكُمُ يا سادتي
للطف منكم نضرع
مأساتنا هذي اسمعوا.

(يخرج)

هاملت: أمقدمة هذه، أم نقش العشاق في الخواتم؟

أوفيليا: إنها قصيرة يا مولاي.

هاملت: كحب امرأة.

(يدخل ممثلان، هما ملك وملكة)

ممثل الملك: عربة الشِمس العسجدية دارت
عشرين كرة ثم عشراً ⑧
حول عباب نبتون المرير

وأرض طلّوس الكروية،
والقمر قد دار بلألاء معار
ثلاثين اثنتي عشرة مرة حول الدُّنى،
منذ أن جمع الهوى بين قلبينا،
وهايمن [9] جمع بين يدينا.
برباطه الحلو المقدس.
ممثلة الملكة : ألا جعلتنا الشمس وكذا القمر
نعد عداً مماثلاً من دوران كليهما
قبل أن يقضي فينا حبنا.
ولكت، لهف قلبي! أراك مريضاً
متنائياً عن سابق عهدك والمرح،
فأقلقتني. ولكنّ ذا القلق،
مولاي، لاعرفته نفسك،
بل دعه لي ففي النساء الخوف والحب
إسرافاً وشحاً يتناسبان:
هواي خبرتَه مني بالتجارب،
وبقدر الهوى خوفي ولهفي.
ففي عظيم الحب ضئيل الشك خوف،
وحيثما ضئيل الخوف ينمو
نما هناك الحب العظيم.
ممثل الملك: راحل أنا، حبيبتي، عما قريب.

وهنت قواي وعن مهماتها قد عجزت .
وأنت في هذه الدنيا الجميلة سوف تبقين
عزيزة ، اثيرةً ، ولعلك
زوجاً كريماً مثلي يوماً ـ
ممثلة الملكة : قاتل الله البقية !
حب كذلك خيانة بين الضلوع .
فلتنزل اللعنات بي
إن أنا زُففت ثانية لرجل
لاتتزوج ثانياً إلاّ التي
بيديها زوجها الأول قتلت .
هاملت : علقم ، علقم !
ممثلة الملكة : ولا يدفع المرأة إلى الزواج ثانية
الا الطمع الدنيء ، لا الهيام .
قسماً سأقتل زوجي في المرة الثانية
إذ يقبلني زوجي الثاني في الفراش !
ممثل الملك : مؤمن أنا بأنك تعقلين الآن ما تقولين ،
لكننا كثيراً ما نقرر أمراً نحنث به :
ما العزم إلا عبد الذاكرة ،
عنيف المولد لكن ضئيل النفاذ ،
يعلق الآن بالغصن كفجّ الفاكهة ،
ليسقط عند النضج طوعاً دونها هزّ

لابد أن ننسى ما لأنفسنا
من دين حق تسديده،
وما نقطع على النفس من عهد في الحُميّا
بانقضاء الحميّا يفقد عزمه.
والمفرط من حزن أو فرح
يفسد التنفيذ على كليهما،
وحيثما الأفراح غالت
ناح الأسى نوحاً أشد،
فالحزن يفرح، والأفراح تأسى
لأوهى سبب.
ما هذه الدنيا بباقية، وما بغريب
أن يتبدل حتى حبنا بصروف الزمن.
هل الحب يقتاد الزمان، أم الزمان الحب؟
سؤال ذاك ما انفّك يبغي جوابنا
إن هوى الرجل العظيم حسبنا عليه
ما دنا منه حتى من ذباب،
والحقير إذا علا، انقلب العدو صديقاً له،
فالحب من خدم الزمان،
ومن لايعرف العوز لن يعوزه الصديق
ومن يختبر في الفاقة خلاًّ أجوف
في الحال يجد فيه عدوه.

ولكن علي بالختام منظماً حيث بدأت :
فينا الإرادة والمصير على نقيض ،
وكل حيلة تُغلب دوماً على أمرها ،
فإن تكن أفكارنا مُلْكاً لنا ،
غاياتها ليست طوعاً لنا .
ولذا أن تظني أنك ثانية لن تتزوجي
فظنك مائت حالما يموت بعلك الأول
ممثلة الملكة : لا وجدتُ في الأرض غداءً
ولا نوراً في السماء
وليحجب اللهوَ والراحةَ عني الليلُ وكذا النهار،
ولينقلب يأساً رجائي والأمل ،
وليكن أقصى مداي كفاف الناسك في سجنه
وليدمّر عدوٌّ اللذة والمرح
كلَّ ما طيباً قد أشتهيه ،
ولأبقَ طريدة النزاع المقيم هنا ، والى الابد ،
ان أنا بعد الترمل قبلت زوجاً ثانياً .
هاملت : وإذا حنثتْ بذلك الآن؟
ممثل الملك : غليظة أيمانك يا حلوتي ! دعيني هنا برهةً ـ
نفسي متعبة ، وبودي أن
أزجي نهاري المضني بالكرى

(ينام)

ممثلة الملكة : هدهد النوم قواك المتعبة ،
لا حلَّ مكروه بيننا !

(تخرج)

هاملت : أماه ، أتروق لك المسرحية؟
الملكة : إن السيدة تسرف في التأكيد فيما أرى .
هاملت : ولكنها ستقيم على عهدها .
الملك : أسمعتَ الخلاصة؟ أفيها ما يسيء؟
هاملت : ابداً ، . أبدا . كلامهما مزاح ، وسمهما مزاح ، لا اساءة فيها مطلقاً
الملك : ما عنوان المسرحية؟
هاملت : المصيدة ، وكيف ذلك؟ تصيداً وكنايةً . ان المسرحية صورة لجريمة وقعت في فينا . غونزاغو اسم الدوق ، وزوجته بابتِسْتا . سترى الآن . أنها فعلة لئيمة : لكن ما همنا؟ فجلالتكم أنتم ونحن الذين نتمتع بأنفس حرة ، لن تمسنا . لئن تجفل الفرس المحزورة القفاً ، فإن طليق المنكب بعيد عن الأذى .

(يدخل لوسيانوس ، وفي يده حُقّ ، ويتقدّم
من الملك النائم وهو يومىء إيماءات تهديد)

هذا اسمه لوسيانوس ، ابن أخي الملك .
أوفيليا : إنك معقب بارع يا مولاي

هاملت : لكنت استطيع التفسير [10] بينك وبين عشيقك لو رأيت الدُّمى تتغازل .

أوفيليا : إنك حاذق ، يا مولاي ، حاذق .

هاملت : ستتكبدين أنيناً إن أردت إزالة حدتي .

أوفيليا : أفضل وأسوأ ، بعد !

هاملت : ولذا تتخذن أزواجاً ! أبداً أيها القاتل . لُعنت ، عنك بغمزك ولمزك القبيحين ، وأبداً ! عليك بها ، أن الغراب الناعق ليزعق في طلب الثأر !

لوسيانوس : سواد نيتي ، وطيعة يدي ، والعقّار ناجع ،
والساعة مؤاتية
وما غير الزمان المتآمر من عين ترى .
يا مزيجاً خبيثاً ، عصارة أعشاب الليل البهيم ،
يالعينَ «هكاتي» [11] يا مثلث الأدوار والصعقات
أنزل طبيعيّ سحرك وفاتِكَ قوتك
في هذا الحي السليم ، حالاً ، على الفور !

(يصبّ السمّ في أذنيه)

هاملت : يسمه في حديقته من أجل ملكه . اسمه غونزاغو ، والقصة موجودة ، مدونة بلغة ايطالية جميلة .
وسترون الآن كيف ينال القاتل حب زوجة غونزاغو .

أوفيليا : لقد نهض الملك !

هاملت : ماذا ، أأفزعته نار كاذبة ؟

الملكة: كيف حال سيدي؟

بولونيوس: أوقفوا المسرحية!

الملك: أنيروا لي الطريق! هيّا!

الجميع: أنوار، أنوار، أنوار

(يخرج الجميع فيما عدا هاملت وهوراشيو)

هاملت(يغني): فدع الجريح من الظبا في دمعه
ودع اللعوب من الظبا متفرداً
هل أوقف الأكوان في دورانها
ذاك الذي عنها التهى أو سُهدّا

إذا إنقلب الزمان عليّ أن احصل بهذا، وبغابة من الريش، مع وردتين من ورود بروفانس على حذائي المخططين، على حصة شريك في إحدى فرق التمثيل؟

هوراشيو: بل نصف سهم (12).

هاملت: ليّ سهم كامل أنا. (يغني).
يا عزيز القلب تدري أننا
قد سُلبنا ربَّنا
وغدا يحكمنا في أرضنا
طاووس زنيم.

هوراشيو: ليتك قفّيت!

هاملت: عزيزي هوراشيو، ألف دينار لما قاله الطيف.. الاحظت؟

هوراشيو: جيداً جداً يا سيدي.

هاملت: عند الكلام عن السم؟

هوراشيو: رأيته بأشد وضوح.

(يدخل روزنكرانتز وغلدنسترن)

هاملت: آ، ها! علينا بموسيقى. علينا بالمزامير.

إن لم ترق للملك ملهاتنا

فلعلها إذن لم ترق له والله!

علينا بموسيقى!

غلدنسترن: مولاي الكريم، اتسمح لي بكلمة؟

هاملت: بل ياسيدي بتاريخ كامل.

غلدنسترن: الملك، يا سيدي ـ

هاملت: نعم، يا سيدي، ما به؟

غلدنسترن: آوى إلى حجرته شديد الإضطراب.

هاملت: سكراً، يا سيدي؟

غلدنسترن: لا يامولاي، بل حنقاً

هاملت :لكنتم أغرز حكمة لو اطلعتم طبيبه على ذلك لأنني إن قمت أنا بتطهيره، ربما انغمر في حنق أشد

غلدنسترن: أرجوك يا مولاي الكريم أن تصوغ كلامك في شكل ما، ولاتنأ بهذه الضراوة عن قصدي لديك.

هاملت: إني أليف يا سيدي. انطلق.

غلدنسترن: لقد أرسلتني الملكة أمك إليك، ونفسها في عذاب شديد.

هاملت: أهلاً وسهلاً.

غلدنسترن: ليس هذا اللطف يا مولاي من الضرب الصحيح. فإن كنت ستتكرم عليّ بجواب سليم، صدعت بأمر أمك، وإلاّ، فإن في عفوك وعودتي نهاية لمهمتي.

هاملت: سيدي، لا أستطيع.

غلدنسترن: ماذا يامولاي؟

هاملت: ان اقابلك بجواب سليم. عقلي ممروض. إلاّ أن الجواب الذي استطيعه، يا سيدي، لك أن تأمر به ـ أو بالأحرى، كما قلت، أمي أن تأمر به. فلا استطراد إذن عن الموضوع. تقول أن أمي ـ

روزنكرانتز: هذا إذن ما تقوله: أدهشها سلوكك وأذهلها.

هاملت: يا لك من ابن عجيب أذهلت أماً هكذا! ولكن أما من لاحق على عقب دهشة الأم هذه؟

روزنكرانتز: انها تود الحديث اليك في حجرتها، قبل أن تأوى الى فراشك.

هاملت: سنُطيع ولو كانت عشر مرات أمنا. ألديكما شأن آخر معنا؟

روزنكرانتز: مولاي، كنت فيما مضى تحبني.

هاملت: وما أزال، وحق هاتين الناشلتين السارقتين

(مشيراً إلى يديه).

روزنكرانتز: مولاي الكريم، ما السبب في اضطرابك؟ إنك ولا ريب توصد باب حريتك على نفسك إن كنت حجبت اشجانك عن صديقك.

هاملت: لقد حُرِمتُ الترقية يا سيدي.

روزنكرانتز: كيف يكون ذلك. وقد وعدك الملك بنفسه بأنك التالي لعرش الدانمرك؟

هاملت: أجل ولكن، إلى أن يطلع الحشيش ـ مثل قديم كاد يعفن.

(يدخل رجل بمزمار)

آ، المزمار! افتح الطريق. لماذا تلاحقني في اتجاه الريح كأنك تريد أن تدفع بي إلى الشَرَك؟

غلدنسترن: مولاي إن أكن قد تطاولت بواجبي، فإن حبي أعمق من كل أدب.

هاملت: لست أحسن فهم ذلك. أتود أن تعزف على هذا الناي؟

غلدنسترن: لا أستطيع ذلك يامولاي.

هاملت: أرجوك.

غلدنسترن: صدقني، لا أستطيع.

هاملت: إني أتوسل إليك.

غلدنسترن: لا أعرف كيف يُمسَك، يا مولاي.

هاملت: سهل عزفه كالكذب. تحكم بهذه الفتحات بأصبعك وابهامك، أنفخ فيه بفمك، تجده ينطق بأفصح الموسيقى. أنظر، هذه مفاتيح النغم.

غلدنسترن: ولكن لا أستطيع أن استنطقها، لأنني لا أعرف هذا الفن.

هاملت: أترى إذن كيف تهدر أنت الآن كرامتي؟ إنك تريد التظاهر بأنك تعرف مفاتيحي. إنك تريد اقتلاع القلب من غوامضي. إنك تريد استخراج مكنوني من اخفض نغمة فيّ إلى القمة من مداي. وفي هذه الآلة الصغيرة الكثيرة من الموسيقى والصوت الشجي، ومع ذلك لا تستطيع استنطاقها. لم أتحسب أن

العزف عليّ أسهل من العزف على هذا الناي؟ سمّني ما شئت من آلة، لن تستطيع العزف عليّ، مهما جَسَسْتَني وأثرتني.

(يدخل بولونيوس)

كان الله بعونك يا سيدي!

بولونيوس: مولاي، تريد الملكة الحديث اليك ـ وفي الحال.

هاملت: أترى تلك السحابة التي تكاد تشبه الجمل شكلاً؟

بولونيوس: والقربان، إنها حقاً كالجمل.

هاملت: أظن أنها كابن عرْس؟

بولونيوس: ظهرها كابن عرس.

هاملت: أو كالحوت؟

بولونيوس: كالحوت تماماً.

هاملت: إذن سأجيء إلى أمي، بعد قليل. يعبثون بي إلى أقصى منزعي! سأجيء بعد قليل.

بولونيوس: سأقول لها ذلك.

(يخرج)

هاملت: ما أسهل قول «بعد قليل»! دعوني وحدي أيها الصحب

(يخرجون كلهم، إلا هاملت)

هذا من الليل هزيع السحر،
ساعة تفغر المقابر أفواهها، وينفث الجحيم
في هذه الدنيا الوباء. لعمري بوسعي الآن
أن أشرب الدماء حارة وآتي من رهيب الفعل
ما يرتعد النهار لرؤيته!.. على رِسلك ـ إلى أمي الآن.

أيها القلب لاتتخل عن سويّ طَبيعتك . إياك أن
تفسح لروح نيرون[13] طريقاً إلىٰ صدري الصامد هذا .
فلأكن قاسياً، لا شاذّ الطبيعة .
سأكلمها خناجر، أما خنجراً فلن أمسّ .
ولينافق لساني وروحي بهذا ،
فمهما عنّفتها ألفاظاً بلساني ،
إياك يانفس تنفيذاً لها أن تُقِرّي !

المشهد الثالث
في إحدى حجرات القلعة

(يدخل الملك وروزنكرانتز وغلدنسترن)

الملك: إنه لايروق لي، وليس مأمون العواقب لدينا
إن نترك الحبل لجنونه على الغارب. ولذا تهيآ:
سأرسل أوراق تفويضكما في الحال،
وعليه أن يرافقكما إلى انكلترا.
إن ظروف ملكنا قد لاتتحمل
خطراً قريباً منا كالذي ينبثق عن
جنونياته كلَّ ساعة.
غلدنسترن: سنأخذ نحن العدة لذلك.
إنه لقلق ايماني مقدس
أن تبقي في أمن وطمأنينة هذه الكثرة الوفيرة
التي تحيا وتقتات على جلالتكم
روزنكرانتز: إن يتحتم على الحياة الذاتية الواحدة
إن تدفع عن نفسها الأذى بكل ما أوتي الذهن

من قوة وسلاح، فكم بالحريّ إذن
تلك النفس التي على سلامتها تعتمد
حياة الكثيرين. إذا ما جلالة المُلْك قضت
فإنها لاتموت وحدها، بل كالدوامة تجرف معها
كل ما حولها. مثلها مثل دولاب جسيم
رُكبّ في القمة من أعلى جبل،
وقد ارتبطت وثُبّتت بأشعته الضخام
صغار الأشياء بآلافها:
فإما هوى، هوى بسقطته القاصفة
كل ما أقترن به من خاملٍ وصغير.
ما تنهّد الملك يوماً، إلاّ وأنَّ الشعبُ بأجمعه.
الملك: استعدا، أرجوكما، لهذه السفرة المستعجلة،
لأن هذا القلق السائر الآن طليق القدمين
سنغله ونقيده.
كلاهما: ولسوف نسرع.

(يخرجان ويدخل بولونيوس)

بولونيوس: مولاي، إنه ذاهب إلى غرفة أمه.
سأقبع وراء الستارة
لأسمع مايجري. لاريب أنها ستشتد بزجره،
وكما قلتم، ونعم القول قولكم،
يُستحسن أن يكون هناك غير الأم

لاستراق السمع عن كثب ،
إذ من طبيعة الأمهات التحيز.
وداعاً يامولاي . سأعود اليكم قبل أن تناموا
لأروي لكم ما أعرفه .
الملك : شكراً يانبيلي العزيز.

(يخرج بولونيوس)

آه ما أنتن إثمي ! بلغت ريحه حتى السماء ،
وعليه حطت أولى اللعنات وأقدمها ـ
قتل أخ لأخيه . لقد عجزت عن الصلاة .
ومهما تهالكتُ وأردتها ،
فإن قويّ عزمي يُقهَر بجرمي الأقوى ،
وكالملتزم فعلين اثنين
أقف بينهما متردداً أيهما أشرع أولاً
فأهمل كليهما . لئن غدت هذه اليد اللعينة
أثخن من نفسها بدماء أخي ،
أفليس في عذب السماء ما يكفي من مطر
لغسلها بيضاء كالثلج؟ ما الرحمة إن لم
تقابل فعلة الآثم وجهاً لوجه؟
وهل في الصلاة إلا هذه القوة المزدوجة ،
لايقافنا حين نوشك على السقوط
أو عفونا إن سقطنا؟ إذن قِرّي يا نفس ،

زالت هفوتي. ولكن أي لون من الصلاة
يستطيع الوفاء بحاجتي؟ «إغفر لي جريمتي النكراء». .
مستحيل ذاك وفي حوزتي لما يزل
كلُّ ما اقترفت القتل من أجله:
تاجي، مطمحي أنا، والملكة.
أينال المرء مغفرةً والإثم طيّ إهابه؟
في هذه الدنيا ومجاريها الملوثة
قد تدفع يدُ الإثم المذهبة عنها حُكمَ العدالة،
وغالباً ما نرى جنيَ الجريمة نفسه
يشتري الشريعة والقانون. غير أن الأمر ليس
كذلك في السماء
لا تملّص هناك. هناك تبقى الفعلة بادية
على ما هي، ونُقسر نحن
إزاء العبوس من أخطائنا
على تقديم الإفادة. ماذا إذن؟ ما الذي تبقّى؟
أن نجرّب ما يسع الندم. ما الذي ليس بوسعه؟
بل ما الذي بوسعه والمرء عاجز عن الندم؟
ياللبؤس! أسود أنت ياصدرُ كالموت!
وأنت يا نفساً مصادة، كلما كافحت لتنطلقي
زاد الفخ إطباقاً عليك. عوناً أيتها الملائكة!
جرّب! خرّي ياركبتي العنيدة،

وأنت ياقلباً عروقه من حديد،
كن طرياً كالعضلات من طفل وليد.
لعلّه خير

(يركع ويصلي فيدخل هاملت)

هاملت: بإمكاني الآن أن أفعلها، كذا، وهو يصلي،
وسأفعلها الآن ـ ويذهب إلى السماء،
فأكون قد انتقمت؟ ـ فلأمحص الأمر.
نذل يقتل أبي غيلةً، ولذا فإنني،
أنا إبنه الوحيد، أرسل هذا النذل
إلى السماء
لكان ذلك خدمةً ومكافأة، لا إنتقاماً.
لقد أتى أبي غرةً، وهو مليء بخبزه،
وخطاياه مفتحة الأكمام كلها، محمرة كخد أيار،
ولا يعلم حسابه الأخير إلا الله.
ولكن ان نقِسْه على أحوالنا ومجرى ظنوننا،
فإنه حساب عسير ولا ريب. أفأكون انتقمت
إن أنا فاجأته وهو يطهر روحه،
وهو في خير أوانٍ للرحيل؟
كلا!
إلى غمدك ياسيف. ولتعرف مني قبضة أرهب هولاً
حين أراه ثملاً، أو نائماً، أو في سورة من غضبه،

أو لذة الفحشاء من فراشه،
أو منهمكاً في القمار أو الشم، أو أي فعل
لامذاق للخلاص فيه:
عندها أهوِ به أيضاً لترفس عقباه السماء
حين تكونَ الروح بين جنبيه سوداء لعينة
كجهنم مثواه الأخير. أمي تنتظر.
لايطيل هذا الدواء إلاّ الموبوء من أيامك!

(يخرج هاملت)

الملك: تنطلق الفاظي إلى العُلى، وفي الحضيض تظل أفكاري:
ما بلغتْ السماءَ قطّ الفاظٌ خلت من أفكارها.

المشهد الرابع
حجرة أخرى في القلعة

(تدخل الملكة وبولونيوس)

بولونيوس: إنه قادم في الحال. شدّدي عليه،
أخبريه بأن ألاعيبه أفضح من أن تطاق،
وأن جلالتك. سترت عليه ووقفت حائلة
دونه ودون غيظ كثير. سأمسك عن القول هنا
أرجو أن تصارحيه

هاملت(من الداخل): أماه، أماه، أماه!

الملكة: لاتَخَفْ عليّ. انسحب. اسمعه قادماً.

(يختبيء بولونيوس وراء الستارة يدخل هاملت)

هاملت: ها يا أماه، ما الأمر؟

الملكة: هاملت، لقد أسأت كثيراً إلى أبيك.

هاملت: أماه، لقد أسأت كثيراً إلى أبي.

الملكة: إنك تجيب بلسان الـهذر واللغو.

هاملت: إنك تسألين بلسان الـهذر واللغو.

الملكة: ما بك الآن يا هاملت؟

هاملت: وما القضية الآن؟

الملكة: أنسيتني؟

هاملت: لا والصليب لم أنسك!

أنت الملكة، زوجة أخي زوجك،

و ياليتك لم تكوني. أنت أمي.

الملكة: إذن خير لي أن اسلط عليك من يستطيع الكلام

(تهم بالخروج، فيوقفها هاملت عنوة)

هاملت: هدئي روعك، واجلسي. لاتتزحزحي.

لاتذهبي إلى أنْ أقيم لك مرآة.

ترين فيها أعمق أعماق نفسك.

الملكة: ما الذي تريد أن تفعل؟ أتقتلني؟

النجدة ياناس، النجدة!

بولونيوس(من وراء الستارة): ياناس النجدة، النجدة!

هاملت(شاهراً سيفه): ما هذا؟ أجرذ؟ ميت، ميت بدرهم!

(يضرب ضربة نافذة خلال الستارة)

بولونيوس (من وراء الستارة): آه قتلني!

(يقع أرضاً و يموت)

الملكة: ياويلتاه! ماذا صنعت؟

هاملت: لست أدرى. أهو الملك؟

الملكة: ياللفعلة الدموية الهوجاء!

هاملت: فعلة دموية تكاد يا أماه بسوئها
توازي قتل ملك وزواجاً من أخيه.
الملكة: قتل ملك؟
هاملت: أجل، سيدتي، تلك كلمتي. (يزيح الستارة)
(مخاطباً جثة بولونيوس) وأنت يامأفوناً شقياً
أقحم نفسه طيشاً ـ الوداع.
حسبتك سيدك: خذ نصيبك.
أرأيت الخطر في شغل نفسك بشؤون غيرك؟
(لأمه) كفاك عصراً ليديك! أهدأي، واجلسي.
دعيني أعصر قلبك، لأنني سأعصره
إن كان مصنوعاً من مادة تُخترق،
إن لم يكن كل لعين ألفتِهِ قد كساه نحاساً
يصونه عن الإحساس والمشاعر.
الملكة: ما الذي فعلتُ لتتجرأ باطلاق لسانك عليّ
بهذا القول الوقح؟
هاملت: فعلاً يفسد على الطُّهر الحشمة والحياء،
ويدعو الفضيلة نفاقاً، ويأخذ الحب البريء
لينزع الوردة من وضّاء جبينه
ويزرع فيه دملة من الصديد، ويجعل من عهود الزواج
أكاذيب كأيمان المقامرين. إنها فعلة
تجتث الروح من بدن القران

وتجعل العذب من شعائر الدين
ألفاظاً جوفاء لا غير. السماء تحمر وجنتاها
وهذه الكتلة المركبةالجامدة[14]
يطفح وجهها كمداً كمن شارف الدينونة ،
وتمرض فكراً لهذه الفعلة الشنعاء .
الملكة: ويحي ، أية فعلة هذه التي
تزأر هذا الزئير وترعد هذا الرعد من مطلعها؟
هاملت : أنظري إلى هذه الصورة [15]، وإلى هذه ،
حيث الوجود المموّه لأخوين اثنين .
أترين إلى البهاء المستقر على هذا الجبين ـ
خصلات شعر هايبيريون ، وجبهة جوبيتر نفسه ،
عين خُلقت للأمر والنذير كعين مارس ،
ووقفة كوقفة رسول الآلهة
وقد حطّ للتو على تل يقبّل السماء .
إنه مزيج لقوام بدا
كأن كل إله بخاتمة قد وسمه
ليؤكد للدنيا أن فيها من هو حقاً رجل .
هذا كان زوجك . أنظري الآن ما يلي .
هذا هو زوجك ، كسنبلة عفنة ،
يرزأ سليم أنفاسه . ألك عينان؟
أتمسكين عن الرعي في هذا الجبل الجميل

لتسمني على هذه القاع البوار؟ ها؟ ألك عينان؟
ليس لك أن تسمي ذلك حباً: ففي سنك هذه
عنفوان الدم خامل متضع
يأتمر بما تحكمين. وأي حكم ينصرف
عن هذا، إلى هذا؟ لابد أن لديك حساً
وإلاّ لما استطعت النزوة، ولكنه ولا ريب حسّ
مفلوج، لأن الجنون، أجل حتى الجنون لايشط
ولا الحس يستعبده الهَوَج المخبول
إلا ويُبقي على شيء من قدرة الخيار
يُعملها في مثل هذه الفوارق. أي شيطان
غَررّ بك معصوبة العينين؟
أي أمريء له عينان دون إحساس،
أو إحساس دون بصر،
أو أذنان دون يدين أو عينين، أو شمّ دون شيء
سوى درهم عليل من الحس السليم،
يأتي رعونةً خرقاء كهذه؟
ياللعار، أين حياؤك؟ ياجهنم المتمردة،
إن تستطيعي ثورة في عظام امرأةٍ نَصَف
فتؤججي فيها الشباب، إجعلي من الفضيلة شمعاً
يصهر في نارها. ولا تنادي بالعار والثبور
إذا ما الشبق الأهوج أطلق الشرر،

فهذا الجليد نفسه يحتدم اشتعالاً
وهذا العقل يقود للإرادة!
الملكة: كفى بربك ياهاملت!
إنك لتسدّد عينيّ إلى أعماق نفسي
فأرى هناك بقعا سوداء عميقة
لن تفارق لونها
هاملت: وتحيَيْن في العرق النتن من فراش غضين
في فورة من الفحش ـ تتعسلين وتضاجعين
في الزريبة القذرة ـ
الملكة: كفاك كفاك،
ألفاظك هذه كالخناجر تنفذ في أذنيّ ـ
كفاك ياحُلويَ هاملت.
هاملت: قاتلٌ. ووغد.
عبد ليس بعشر معشار
سيدك السابق. أضحوكة لا ملك،
لص من لصوص السؤدد والحكم
اختلس من الرفّ تاجاً غالياً
ودسّه في جيبه.
الملكة: كفى كفى.

(يدخل الطيف)

هاملت: ملكٌ من مِزَقٍ ورُقع.

خلاصاً ياحرس السماء! رفوا بأجنتكم عليّ!
ما الذي يبغيه شكلك الكريم؟
الملكة: مجنون، ياويلتاه!
هاملت: أما جئت تعنّف إبنك المتواني الذي
راح يضيّع الوقت وينشغل بالعواطف
عن اللج، في تنفيذ أمرك الرهيب؟
بربك قل لي.
الطيف: لاتنس! ما هذه الزيارة إلا
لشحذ عزمك الذي كاد يفلّ.
ولكن أنظر، أقتعد الذهولُ أمّك.
فاخطُ بينها وبين نفسها المنازعة ـ
فالوهـم قويّ الفعل في البدن الضعيف.
خاطبها يا هاملت.
هاملت: كيف حالك يا سيدتي؟
الملكة: وا أسفاه، كيف حالك أنت؟
تركز عينك في الفراغ
وتناقش الهواء الذي لاجسد له.
روحك تطل هوجاء من عينيك،
وكالجنود النّوم يفاجأون بانذار
شعرك الراقد يستفيق وينتصب.
بُنَيّ العزيز

رش برد الصبر على لهيب اضطرابك .
ما الذي تنظر إليه؟
هاملت : إليه ، إليه أنظري ما أشحب تحديقه !
لو خطب في الحجارة ، وقد جمع بين شكله وقضيته
لدبّت فيها المشاعر. لاتنظر إليَّ ،
لئلا بفعلك هذا الذي يفطر القلب
تبدل أفعالي الصارمة ، وإذا ما قررتُ صنعه
يُعوزه اللون الصحيح ، ويحل الدمع محل الدم .
الملكة: لمن تقول ذلك؟
هاملت : ألا ترين هناك شيئاً؟
الملكة: لا شيء مطلقاً ، وكل ما هناك أراه .
هاملت : ولم تسمعي شيئاً؟
الملكة: لاشيء ، سوانا .
هاملت : عجباً! أنظري هناك . أنظري كيف ينسلّ عنا .
أبي في حلته أيام الحياة .
أنظري حيث يخرج الآن من الباب .

(يخرج الطيف)

الملكة: ما هذا إلا اختلاق من ذهنك .
فالجنون جدّ بارع
في تجسيد ما لاجسد له .
هاملت : الجنون؟

نبضي كنبضك يحفظ إيقاعه المعتدل
ويصنع مثله موسيقى ملؤها العافية. ليس جنوناً
ما نطقت به. امتحنيني
أُعِدْ رصف كلمات الموضوع ثانية، أما الجنون
فيشط عنه. استحلفك بنعمة الله يا أمي
ألا تَطلي الروحِ منك بذلك البلسم المداهن
فتظني أن جُنتي، لا خطيئتك، هي التي تتكلم،
لئلا ينسغ غشاوةً على الموضع المقروح
بينما الفساد الخبيث يعبث في داخله
ويستفحل الداء غير مرئي. اعترافي أمام العليّ،
واندمي على ما فات، وتجنبي ما هو آت،
لاتنشري الزبل على الأعشاب
فيشتدّ خبثُ ريحها. أصفحي عن فضيلتي هذه
ففي سمنة الأيام الوارمة هذه
على الفضيلة نفسها أن تستميح الرذيلة عفواً ـ
أجل عليها أن تنحني وتتوسل كي تحسن الصنيع
إلى الرذيلة
الملكة: آه هاملت، شطرين شطرت قلبي.
هاملت: إقذفي بالشطر الأرذل
وبالنصف الآخر عيشي عيشةً أنقى.
ليلة سعيدة! ولكن لا تذهبي إلى فراش عمي.

تلبّسي الفضيلة ولو ظاهراً إن كنتِ عُدمتِها .
فالعُرف وحش يلتهم كل حساسية ،
وهو الشيطان من كل عادة ، لكنه أيضاً ملاك
في أنه يعير الفعل الجميل الحميد أيضاً
رداءً ولبوساً ملائماً . امتنعي الليلة ،
يُضِفْ ذاك شيئاً من اليُسر إلى الأحجام
في المرة المقبلة . ثم يسهل الأحجام التالي .
لأن العادة تكاد يكون بوسعها تبديل وسَمْ الطبيعة ،
فإما أن تحذق فعل الشيطان ، أو تلقي به خارجاً
بعزم عجيب . مرةً أخرى : ليلةٌ سعيدة !
وعندما ترومين بركة الله وتنشدينها ،
أطلب إليك أن تباركيني . أما بشأن هذا النبيل ،

(مشيراً إلى جثة بولونيوس)

فإنني نادم ، غير أن السماء شاءت
عقابي به وعقابه بي ،
وكان لا بد لي أن أكون وكيلها ووسيلة سخطها
سأنقله ، وأنا مسؤول
عن الميتة التي أذقته . فمرة أخرى : ليلة سعيدة !
يجب أن أقسو كي أكون رحيماً :
هكذا يبدأ السوء ويبقى الأسوأ في أعقابه .
كلمة أخرى ، سيدتي الكريمة .

الملكة: ماذا أفعل؟
هاملت: لا الذي أمرتك بفعله قط.
دعي الملك المتفخ يغريك ثانية بالفراش
ويقرص خدك ماجناً ويدعوك عصفورته،
ودعيه لقاء قبلتين سخماوين
أو دعابتين لعنقك من أصابعه الكريهة
يجعلك تُفْضين بأمري هذا كله
من أنني ما فقدت عقلي أصلاً،
بل إنني مجنون حيلة وخديعة. يحسن بك أن تُعلميه.
وإلا فمن يحجب عن هذه السلحفاة، هذا الخفاش، هذا الهِرّ
بواطن عزيزة كهذه، غير ملكة حسناء راجحة حكيمة؟
من يفعل شيئاً كهذا؟
لا. فرغماً عن العقل وضرورة الكتمان
أصعدي القفص إلى سطح المنزل
وأطلقي منه العصافير، وكالقرد المشهور [16].
لكيما تختبري النتيجة، أزحفي إلى داخل القفص
ودقي عنقك إذ تسقطين.
الملكة: إن تكن الألفاظ من النَفَس
والنفس من الحياة، ثق أن ليس فيّ حياة
لأتنفس ما قلته لي.
هاملت: عليّ أن أذهب إلى انكلترا، أتعلمين؟

الملكة: وا أسفاه، كنت نسيت. لقد تقرر ذلك.
هاملت: هناك رسائل قد خُتمت، ورفيقاي في المدرسة،
وهما اللذان أثق فيهما ثقتي في أفاعٍ ذات أنياب،
يحملان التفويض، وعليهما أن يكنسا الطريق أمامي
ويوجّهاني نحو النذالة. وليكن ذلك
فمن دعابة اليوم أن يطير
صانع اللغم مع لغمه، وسيؤسفني أنني
سأحفر عمق متر تحت ألغامهما
وأقذف بهما أوصالاً نحو القمر. ما أطيبها
أن تلتقي خديعتان في خط واحد رأساً لرأس!
هذا الرجل يدفعني إلى حزم أمري:
سأجرّ الجيفة إلى الغرفة المجاورة.
أماه، تصبحين على خير! حقاً أن هذا الزير الآن
شديد السكون، شديد التكتم، شديد الوقار،
وهو الذي كان في حياته مهذاراً غبياً
(إلى الجثة) تفضل يا سيدي، ولنجرّك إلى نهاية.
ليلة سعيدة يا أماه!

(يخرج هاملت وهو يجرّ بولونيوس)

هوامش :

(1) في عهد شكسبير كان «دير الراهبات» يعني أيضاً، تورية، المغنى، والتورية هنا ظاهرة.

(2) يعلق جي. بي. هاريسون على هذا بقوله: «إن هذا المشهد كله بين هاملت وأوفيليا مما يحير النقاد ويقلقهم. ولعل تأويله من البساطة بمكان عندما تصد أوفيليا، بأمر من أبيها عشيقها هاملت، من الطبيعي أن يخطر له أول ما يخطر أن رجلاً آخر يخطب ودها، ويبدو له أن شكه ذلك لم يتحقق عندما ترد عليه هداياه وإذ يحتدم في كلامه، يلاحظ حركة في الستارة فيدرك أن وراءها من يسترق السمع إليهما. فيقول: «أين أبوك؟» فتجيب أوفيليا كاذبة. «في البيت يا سيدي» إذن يعتقد هاملت، ليس وراء الستارة إلا العشيق ومن هنا تشتد مرارة خطابه: لقد أظهرت أوفيليا، كما أظهرت أمه من قبل، ما في طبيعة المرأة من فساد وانحلال.»

(3) نجد هنا رأي شكسبير في فن التمثيل وهو يمتدح طريقة فرقته في مسرح الـ «غلوب»، ويذم التنطع في القول والمبالغة في الإيماء اللذين عرف بهما ممثلو الفرق الأخرى.

(4) groundcings، وهم الذين يقفون متزاحمين في حوش المسرح، وقد دفعوا للدخول مبلغ بنس واحد.

(5) من شخصيات المسرحيات السائدة يومئذ، المعروفة بعنفها وناريتها وكان «الطرمغان» في معتقد العوام، من آلهة العرب!

(6) إلة الصواعق، وهو أعرج يصنع الصواعق في محددته.

(7) من أغنية معاصرة. إقتبس الأنكليز عن العرب في الأندلس رقصة يلبس فيها الراقص شكل حصان ويأتي بحركات فاحشة، وفي أيام شكسبير صدر أمر بمنع استعمال هذا «الحصان المستعار» في تلك الرقصة.

(8) يقصد أن يقول: «لقد مضى على زواجنا ثلاثون عاماً» شكسبير هنا يعارض معارضة ساخرة أسلوب المسرحيات الشائعة في أوائل عصر اليزابث. وهو أسلوب مليء بالتضخيم والتقعر، وقد قلد به الشعراء الأنكليز حينئذ مآسي الفيلسوف الروماني سنكا.

(9) رب الزواج.

(10) كان «المفسر» يجلس على خشبة المسرح في «عرض الدمى» «القراقوز» ليفسر للجمهور وينطق بالحوار.

(11) إلهة السحر والسحرة.

(12) كان الممثلون في عصر شكسبير ينالون حصصاً من الريع. ولا يتقاضون رواتب

(13) أمر نيرون بقتل أمه «أغريبينا» وكانت قد سممت زوجها.

(14) يقصد بها الأرض

(15) يحمل هاملت حول عنقه صورة أبيه، وتحمل الملكة حول عنقها صورة كلوديوس: هذا هو التقليد المسرحي بشأن هذه العبارة. ولكن من المحتمل أن تكون على الجدار صورة لكل من الأخوين.

(16) لاتعرف تفاصيل هذه الحكاية. ولكن يبدو أنها حول قرد أراد أن يطير فادخل نفسه في قفص ثم قفز منه.

الفصل الرابع

المشهد الأول
في احدى حجرات القلعة[1]

(يدخل الملك على الملكة)

الملك : لهذه التنهدات معان وهذه الأنفاس العميقة
يجب أن تفسريها . قمين بنا أن نفهمها .
أين ابنك؟
الملكة: مولاي. مولاي - يالما رأيت الليلة!
الملك : ماذا غرترود؟ كيف حال هاملت؟
الملكة: لقد جن جنون البحار والرياح إذ تصطرع
على أيهما أقوى وأعنف . وفي نوبته الظالمة تلك
إذ سمع شيئاً وراء الستارة يتحرك ،
امتشق حسامه وصاح «جُرذ، جُرذ!»
وباضطرابه ذلك العاتي طعن
الشيخ الطيب المختبيء هناك وصرعه .
الملك : يا للمنكر!
لكنا نحن الهدف لو كنا هناك . ؟

إن حريته ملأى بأخطار تهدد الجميع ـ
أنت، ونحن، وكل فرد هنا.
وهذه الفعلة الدموية، كيف نبررها؟
سيلقى اللوم على عاتقنا، اذ كان علينا
أن نحسب للأمور حسابها فنشد الزمام
على هذا الفتى المجذوب ونصده عن المجتمع.
ولكن حبنا له كان من العمق
بحيث عجزنا عن ادراك ما فيه خير الجميع،
وفعلنا كمن يصاب بداء خبيث
فيتركه، خشية افتضاح أمره، يتغذى
على اللب من الحياة. أين ولى؟
الملكة: راح يجر الجثة التي صرعها.
وجنونه باد عليه كتبر
يتلألأ نقاوة في منجم رخيص المعادن.
وهو يبكي على ما فعل.
الملك: هيا بنا يا غرترود.
حالما تمس الشمس رؤوس الجبال
سنبعث به في أحد المراكب، وهذه الفعلة الأثيمة
علينا بكل ما أوتينا من جلال ولباقة
أن نقبلها منه ونصفح عنها. (ينادي) يا غلدنسترن

(يدخل روزنكرانتز وغلدنسترن)

أيها الصديقان اذهبا معا في مهمة لنا .
لقد قتل هاملت بولونيوس في سورة من الجنون ،
وراح يجره من حجرة أمه .
ابحثا عنه ، ولاطفاه القول ، وأحضرا الجثمان
إلى الكنيسة . أرجوكما أن تسرعا . (يخرجان)
هيا ، غرترود ، ولندع العقلاء من صحبنا
ونعلمهم بما قد نوينا فعله
وبما قد حدث من فعل قبل أوانه .
فهمس الناس الذي يرمي بمسموم قذيفته
سدادا عبر المدى من العالم
كمدفع يرمى الهدف ،
قد يخطيء اسمنا ويصيب هواء لا ينجرح .
هيا بنا . نفسي مثقلة بالاضطراب والجزع .

المشهد الثاني
غرفة أخرى من القلعة

(يدخل هاملت)

هاملت : تخلصت منها بسلام!

روزنكرانتز وغلدنسترن (من الداخل) : هاملت، مولانا هاملت!

هاملت : ما هذا الصوت؟ من يدعو هاملت؟ آه، ها هما قادمان.

روزنكرانتز: ماذا فعلت يا مولاي بجثة الميت؟

هاملت : عجنتها مع التراب، فهو قريبها.

روزنكرانتز: أخبرنا أين هي لنأخذها ونحملها إلى الكنيسة.

هاملت : لا تصدقوا.

روزنكرانتز: لا نصدق ماذا؟

هاملت : انني سأعمل بنصحكم، لا بنصحي، وفضلاً عن ذلك إذا كان السائل اسفنجة، فما الذي على ابن الملك أن يجيب به؟

روزنكرانتز: أتحسبني اسفنجة يا مولاي؟

هاملت: نعم يا سيدي، اسفنجة تمتص نصرة الملك وعطاياه وسلطاته. غير أن هذا القبيل من الرجال أفضل الناس خدمة للملك في النهاية. فهو يبقيهم في ركن من شدقه كالقرد، جاعلاً أول ما يلتقم آخر ما يزدرد. حينما يحتاج الى ما امتصصته أنت إنما هو يعصرك، وعندها، أيها الاسفنجة، ستجف من جديد.

روزنكرانتز: لست أفهمك يا مولاي.

هاملت: أفرحتني بذلك!.. فالكلام الضاحك في الأذن البلهاء نائم.

روزنكرانتز: مولاي، يجب أن تخبرنا بمكان الجثة وتصحبنا إلى الملك.

هاملت: الجثة مع الملك، ولكن الملك ليس مع الجثة.

فالملك شيء!

غلدنسترن: شيء، يا مولاي؟

هاملت: من لاشيء. خذاني إليه. (يصيح) اختبىء يا ثعلب إختبىء، والحقوه! [1]

(يخرج راكضاً)

المشهد الثالث
غرفة أخرى من القلعة

(يدخل الملك)

الملك : لقد أرسلت من يبحث عنه وعن الجثة .
ما أخطر الوضع وهذا الرجل حر طليق!
ولكن رغم ذلك ، يجب ألا نفرض عليه شكيمة
القانون .
فهو محبوب الجماهير الحمقاء !
وهي التي في أحكامها لا تهوى إلاّ بأعينها .
وفي حالة كهذة تزن عقاب المسيء ،
أمّا الإساءة فلا . فلكي
تجرى الأمور سلسلة متناسقة
يجب أن يبدو اقصاؤه الفجائي هذا
نتيجة للوقفة والتروي . فالداء إذا استيأس
كان في الداء المستيئس علاجه ،
وإلاّ فلا . (يدخل روزنكرانتز)
والآن ما الذي صار؟

روزنكرانتز: لقد عجزنا يا مولاي أن نستخلص منه

أين وضع الجثة؟

الملك: ولكن أين هو؟

روزنكرانتز: في الخارج يا مولاي، محروساً بانتظار أمركم.

الملك: احضروه أمامنا.

روزنكرانتز: يا غلدنسترن! ادخل سيدي الأمير!

(يدخل هاملت وغلدنسترن)

الملك: والآن يا هاملت، أين بولونيوس؟

هاملت: في العشاء.

الملك: في العشاء؟ أين؟

هاملت: لا حيث يأكل، بل حيث يؤكل. لقد عقد عليه اجتماعاً عدد من الديدان السياسية. أن الدودة من حيث الغذاء هي السلطان الأوحد. فنحن نسمن المخلوقات الأخرى كلها لتسمننا، ونسمن أنفسنا للديدان. والملك البدين والمتسول الهزيل إنما هما طعام قليل التفاوت، اكلتان لمائدة واحدة. تلك هي الخاتمة

الملك: وا ضيعتاه!

هاملت: قد يصيد المرء سمكة بدودة اقتاتت على ملك، ثم يأكل السمكة التي تغذت على تلك الدودة.

الملك: وما الذي تعنيه بذلك؟

هاملت: لا شيء سوى أن أريك كيف أن الملك قد يقوم بجولة في أمعاء صعلوك!

الملك: أين بولونيوس؟

هاملت: في السماء. أرسل وراءه هناك. فإذا لم يجده
رسولك هناك، ابحث عنه بنفسك في المكان الآخر:
ولكن إذا لم تجده في بحر هذا الشهر، سيلقاه أنفك
حين تصعد الدرج إلى الردهة.

الملك (لبعض من حوله): اذهبوا وأبحثوا عنه هناك.

هاملت: سينتظر ريثما تصلون. (يخرجون).

الملك: هاملت، إننا في أشد الأسى لما فعلت،
ولكن هذه الفعلة، حفظاً لسلامتك التي
تهمنا، يجب أن تقصيك عنا
بسرعة النار، ولذا، عليك بالتهيىء.
فالمركب جاهز، والريح مؤاتية،
والرفاق ينتظرون، وكل شيء على أهبة الرحيل
إلى انجلترا.

هاملت: انجلترا؟

الملك: أجل يا هاملت.

هاملت: حسناً.

الملك: حسن قصدنا، لو كنت تعلمه.

هاملت: أرى ملاكاً يراه. ولكن، هيا بي الى انجلترا،

وداعاً، يا أمي العزيزة.

الملك: بل أباك المحب يا هاملت.

هاملت: بل أمي. فالأب والأم زوج وزوجة، والزوج والزوجة جسد واحد. اذن، أمي! هيا، إلى انجلترا. (يخرج هاملت)

الملك (لروزنكرانتز وغلدنسترن):

أبقيا على عقبه، أغرياه بركوب السفينة على عجل.
لا تتوانيا، أريده أن يغادر البلد الليلة.
اذهبا، فكل شيء يتصل بهذا الأمر
هو الآن منته مختوم. أرجوكما، السرعة! (يخرجان)
(وحده) وأنت يا سيد انجلترا، إن كنت تقدر محبتي ـ
ولعل قوتي الساحقة قد أعلمتك بها ـ
ولما كانت ندب جروحك بعد حمراء أليمة
من ضربات سيوفنا الدانمركية، وخوفك الحر
يدين لنا بالولاء، فعليك ألا تقلل
من شأن سلطتنا الآمرة، وهي التي تنص الآن،
بكتب توصيك بذلك،
على مقتل هاملت في الحال. اقتله!
لأنه في دمي يشتعل كالحمى،
وعليك بشفائي. وإلى أن يأتيني الخبر،
وكيفما تكن حالي، ما بدأت قط أفراحي!

المشهد الرابع
في إحدى بطاح الدانمرك

(يدخل فرتنبراس مع رهط من جيشه وأحد رؤسائه)

فرتنبراس : إذهب أيها الرئيس وحي باسمي ملك الدانمرك ،
وقل له أن فرتنبراس ، بإذن منه ،
يلتمس سماحه الموعود بمسير الجند
عبر مملكته . أنت تعلم الملتقى :
فإذا رام جلالته شيئاً منا
قمنا بواجبنا بين يديه .
أعلمه بذلك .

الرئيس : سأفعل يا مولاي .

فرتنبراس : على رسلك إذن .

(يخرج فرتنبراس وجيشه ويبقى الرئيس . ويدخل هاملت وروزنكرانتز وغلدنسترن وآخرون)

هاملت : سيدي الكريم ، قوات من هذه؟

الرئيس : قوات ملك النرويج ، سيدي .

هاملت: وما وجهتها ، أرجوك ، يا سيدي؟
الرئيس : بعض أجزاء بولند .
هاملت: ومن يقودها؟
الرئيس : ابن أخي ملك النرويج ، فرتنبراس .
هاملت: وهل تراها زاحفة على أرض بولنده ، يا سيدي ،
أم على بعض حدودها؟
الرئيس : إذا أردت الصدق دون ما اضافة ،
فإننا ذاهبون لكسب رقعة من الأرض ضيقة
لا نفع منها سوى اسمها .
واني لآنف أن أفلحها وأقصى ما تدر خمسة دنانير،
بل انها لن تدر على ملك النرويج أو بولنده
مبلغاً أجسم من ذلك حتى ولو بيعت نقداً وعداً .
هاملت : إذن لن يدافع عنها البولوني أبداً .
الرئيس : بل ، فإن فيها حامية .
هاملت: ألفا نسمة وعشرون ألف دينار
لحسم الخلاف حول هذه الهباءة!
ما هذ هذا إلا ورم السلم مع المال الكثير:
ورم ينفجر في الداخل ولا يبدي عرضاً
يعلل موت صاحبه. جزيل الشكر يا سيدي .
الرئيس : كان الله معك ، يا سيدي . (يخرج)
روزنكرانتز: ألا تتفضل بالسير يا مولاي؟
هاملت: سألحق بكم حالاً. أسبقوني قليلاً .

(يخرجون، ويبقى هاملت)

ما من حدث إلاّ وينبىء على
ويحفز ثأري البليد. ما الانسان
إن كان أفضل ما لديه وخير ما يشغله
النوم والأكل؟ حيوان لا غير.
بيد أن الذي صنعنا وجعل فينا نفساً كبيرة كهذه
ترسل البصر إلى الأمام وإلى الوراء، لم يهبنا
هذه المقدرة، هذا العقل الجدير بالآلهة،
ليعفن فينا مهملاً.
ليت شعري أهو نسيان مني وحشي، أم توجس

رعديد

إذ أحسب للمغبة ألف حساب!
وهو حساب لو قسم أرباعاً لما كان التبصر فيه إلا

جزءاً واحداً،

والجبن منه ثلاثة أرباع. لست أدري
لماذا أراني بعد حيا لأقول: «هذا الأمر يجب فعله»،
ولدى لفعله الحافز، والارادة، والقوة، والوسيلة.
وثمة أيضاً أمثلة تستحثني، كثيفة كثافة الأرض:
خذ مثلاً هذا الجيش اللجب
يقوده أمير رقيق حديث السن،
له نفس كبرت بطموح علوي

فراحت تسخر من العواقب المجهولة ،
وتدفع بالجسد القلق العرضة للمنية
إلى تحدي الخطر والموت وقسمة الحظ ،
ولو من أجل قشرة بيضة! فالعظمة الحقة
ليست في التحرك دونما سبب عظيم ،
بل في اثارة النزاع العظيم حول هباءة
إذا ما الشرف هدد بالأذى . فما موقفي إذن ،
أنا الذي قتل أبي ولوثت أمي ،
واستفز عقلي ودمي ،
ولا أحرك ساكناً ، في حين أرى ، وا خجلاه ،
عشرين ألف رجل على وشك الردى
يسعون من أجل شهرة موهومة
إلى قبورهم كأنها فراشهم ، ويقتتلون من أجل بقعة
لا تتسع لقتال عديدهم
ولا فسحة فيها لضريح يوارى فيه
صرعاهم . ألا من هذه الساعة فلتكن
دموية أفكاري كلها ، أو فلتعدم قدرها!

المشهد الخامس
ألسينور في إحدى حجرات القلعة .

(تدخل الملكة وهوراشيو.)

الملكة : لا أريد الحديث اليها .

هوراشيو: إنها شديدة الالحاح ، بل فقدت عقلها ، يجب أن يرأف بحالها .

الملكة : ما الذي تبغيه؟

هوراشيو: إنها كثيرة الكلام عن أبيها ، وتقول انه قد بلغها
أن في الدنيا أحابيل ، ثم تتنحنح وتقرع صدرها
وتضرب برجلها الهباء غضباً ، وتقول أشياء غير يقينية
لا تنطوي على أكثر من نصف معنى . كلامها لا شيء ،
بيد أن اللاتماسك فيه يحدو
بالسامعين إلى الاستنباط : فإذ يستهدفون المعنى
يرفعون الألفاظ لتتفق وأفكارهم ،
وألفاظها بغمزاتها وايماءاتها وهزات رأسها
تجعل المرء في الحق يعتقد بأنها تحمل فكراً

قد يخلو من التحديد ولكن يملؤه البؤس والأسى .
الملكة : من الأفضل إذن أن أتحدث اليها . لأنها قد تنثر
تخرصات خطرات في أذهان لا تنجب الا الشر.
أدخلها علي . (يخرج هوراشيو)
في كل طفيف ترى نفسي مقدمة
لنكبة ما مريعة . تلك مزية الخطيئة .
فالجرم جياش بعفوي الشكوك
يسكب نفسه بنفسه ، لشدة ما يخشى أن ينسكب !

(تدخل أوفيليا ، وقد جنت ، مع هوراشيو)

أوفيليا : أين ملكة الدانمرك البهية؟
الملكة : كيف أنت يا أوفيليا؟
أوفيليا : (تغني) (2) : حبيبك كيف لي تمييزه
بين الرجال الوافدين؟
بعصاه ومحارة في رأسه (3)
ونعل حجاج عائدين .
الملكة : ويحي عليك يا صبيتي ـ ما معنى هذا الغناء؟
أوفيليا : أقلت شيئاً؟ أرجوك اسمعي (تغني)
سافر الموت به ، يا طفلتي
ونما العشب على أجفانه
واستراحت ، في ثبات ، صخرة
عند رجليه ، وفي أحضانه

الملكة : ولكن يا أوفيليا . . .

أوفيليا : أرجوك اسمعي :

كفنوه برداء أبيض

فبدا كالثلج في أكفانه

(يدخل الملك)

الملكة : وا ألماه! أنظر اليها يا سيدي .

أوفيليا (تغني) : وتزيا النعش بالورد شذى

وسرى الموكب في أحزانه ،

وبدا القبر فمدت شوقها

أدمع حرى الى جثمانه .

الملك : كيف حالك ، يا جميلة؟

أوفيليا : بخير والحمد لله . يقولون أن البومة كانت ابنة خباز. اننا يا مولاي نعرف ما نحن ، ولكننا لا نعرف ما قد تؤول إليه . كان الله على مائدتك!

الملك : تفكيرها بأبيها .

أوفيليا : أرجوك ألا تفشي هذا . ولكن أن يسألوك عن معناه ، قل لهم هذا :

قالت : مار فلنتين غداً عيده(4):

سأبكر في الصبح لكي تراني

أول من ترى في الحي من عذارى

فتحبني من دون كل الحسان!

وفي صباح العيد جاءت ورآها
عذراء منت نفسها بالتلاقي
فأدخلها البيت عذراء ولكن
لم تبارح بيته بكراً بالفراق
الملك : أوفيليا الجميلة !
أوفيليا : بل أنظر، سأنهيها بلا قسم :
يا للعار، وا خجلتاه !
أما من رأفة بين البشر؟
يفعلها الشباب أن جاءوا اليها ،
من الملوم الا الشباب؟
قالت له : ألم تعدني
قبل افتراشي بالزواج؟
قال لها : وحق هذا الضياء لتزوجتك
لو لفراشي لم تسرعي .
الملك : كم مضى عليها وهي هكذا؟
أوفيليا : أرجو أن يتم كل شيء على خير. علينا بالصبر الجميل، ولكنني لا أستطيع الا البكاء كلما ذكرت أنهم سير قدونه في الأرض الباردة. سيعلم أخي بالأمر، ولذا أشكر لكم حسن نصيحتكم. هيا يا عربتي. تصبحن على خير يا سيداتي، تصبحن على خير يا سيداتي اللطيفات تصبحن على خير (تخرج)
الملك (فوراشيو) : أتبعها عن قرب ، وأحسن حراستها ، أرجوك .

(يخرج هوراشيو)

ما هذا الاسم الفجيعة، ينبع
كله من موت أبيها. آه يا غرترود، غرترود،
إذا ما أتت الأحزان، لم تأت فرادى
بل جحافل. أولا، يقتل أبوها،
ثم يرحل ابنك، وهو بعنف هوجائه السبب
في اقصائه العادل، وبعدها تتعكر أذهان الناس
بكل خاطر مسموم، وتتهامس الشفاه
بمقتل بولونيوس الكريم، ونسلك نحن درب الحماقة
بأن ندفنه سراً على عجل. مسكينة أوفيليا!
لقد شق بينها وبين نفسها والعقل الجميل.
وما نحن بدونه الا صور مرسومة أو وحوش.
وأخيراً هذا الأمر الخطير أيضا:
لقد جاء أخوها سراً من فرنسا،
وهو يغذو نفسه بالتساؤل، وينزوي بين السحب،
ولا يريد صقوراً تعدو أذنيه
بموبوء الكلام عن موت أبيه،
ولانعدام الحقائق في هذا الكلام
لن يتورعوا لحظة من اتهامنا
في هذه الأذن وتلك. ان هذا كله يا عزيزتي
لأشبه ببندقية شتيتة الطلقات
تصيب مني أكثر من مقتل واحد.

الملكة : ويحي ، ما هذه الضوضاء؟
الملك : أين حرسي الخاص؟ ليحرسوا الباب !

(يدخل رسول)

ما الأمر؟
الرسول : انج بنفسك يا مولاي !
ان البحر المتلاطم اذ يتجاوز حدوده
لا يلتهم الشطآن الخفيضة بالسرعة الجامحة التي
سيطر بها على ضباطك الفتى لرتيس
مع عصبته الثائرة. وهاهي الدهماء تنادي به سيدا ،
وكأنما الدنيا لم تبدأ الا هذه اللحظة ،
وكأنما القدم لم يوجد ولا العرف وجد ،
وهما مصداق كل قول ودعامة كل رأى ،
فراحوا يتصايحون : «فلننتخب! لرتيس هو الملك!»
والهتاف بالألسن والأيدي والقبعات يطاول
عنان السماء .
«لرتيس هو الملك! لرتيس الملك!»
الملكة : ما أمرح صيحاتهم وهم يقتفون أثر الضلال!
هذا عكس الهدى ، أيتها الكلاب الدانمركية الغادرة!

(ضوضاء في الداخل)

الملك : كسروا الأبواب!

(يدخل لرتيس مسلحاً، يتبعه كثيرون)

لرتيس : أين الملك ، أيها السادة؟ (لقومه) قفوا جميعاً

في الخارج !

الجميع : لا، دعنا ندخل!

لرتيس : أرجوكم أن تفسحوا لي المجال .

الجميع : حسناً ، حسناً ، سنخرج . (يخرجون)

لرتيس : شكرا لكم! احرسوا الباب . أيها الملك الحقير،

أعطني أبي!

الملكة : بهدوء ، أرجوك يا لرتيس!

لرتيس : إن تكن في نقطة دم هادئة ، فإنما هي تعلن أنني

ابن خنا ،

وتصيح بأن أبي خؤون الزوجة ، وتسم أمي الأمينة

هنا ، بين حاجبيها الناصعين الطاهرين ، بميسم الزنا!

الملك : ثورتك تبدو عملاقية يا لرتيس ،

ما السبب؟

دعيه يا غرترود ، لا تخشى علىٰ شخصنا . .

هناك ألوهة تسور الملك ،

وجل ما تستطيعه الخيانة هو التطلع إلى ما تبغيه

عاجزة ألا عن أقل التنفيذ . قل لي يا لرتيس ،

لم هذا الغضب؟ دعيه يا غرترود .

تكلم يا رجل .

لرتيس : أين أبي؟

الملك : مات .

الملكة : ولكن ليس على يده .

الملك : دعيه يسأل ما شاء له السؤال .

لرتيس : كيف مات؟ لن أقبل المداورة!

فليذهب الولاء إلى سقر، والعهود إلى ابليس الرجيم ،

والى الدرك الأسفل بالنعمة والضمير!

أني أتحدى نار القيامة! وهنا أضع قدمي

حيث لا أبالي بهذه الدنيا ولا الآخرة ،

وليكن ما يكون! فو الله لأنتقمن

لأبي شر انتقام .

الملك : ومن يوقفك؟

لرتيس : مشيئتي . . لا العالم بأجمعه .

أما وسائلي فلسوف أحسن تدبيرها

لتحقق الكثير بالقليل .

الملك : ولكن يا لرتيس ،

إن كنت تبغي التحقق

من موت والدك العزيز، هل خط في انتقامك

أن تغنم بضربتك الصديق والعدو

ربحت أم خسرت؟

لرتيس : أعداءه ، دون غيرهم .

الملك : أتريد أن تعرفهم اذن؟

لرتيس : لأصدقائه الطيبين ، سأفتح ذراعي واسعاً هكذا ،
وكالبجعة[5] الرءوم واهبة الحياة
أطعمهم من دمى .

الملك : الآن نطقت
نطق الابن البار والسيد النبيل .
أما أنني بريء من موت أبيك
وعميق الحزن والأسى عليه
فلسوف ينفذ إلى ادراكك جهاراً
كما تنفذ إلى العين رابعة النهار.

(ضوضاء من الداخل وصوت يقول .) «دعوها تدخل» .)

لرتيس : ما هذا؟ ما هذه الضوضاء؟

(تدخل أوفيليا وهي تحمل باقات من الزهر)

يا لهيباً جفف دماغي ، ويا دموعاً سبع مرات مريرة ،
أحرقي في عيني الحس والبصر!
والله لأستحصلن ثمن جنونك وزناً
أو ترجح كفتنا رجحاناً ثقيلاً! يا وردة أيار،
يا عذراء عزيزة وأختا وفية ، أوفيليا الحبيبة ،
يا للسماء! أيمكن للعقل في فتاة يانعة
أن يعرف الموت ، كالحياة في شيخ هرم؟
ما أرق الطبيعة في حبها! فهي إذ ترق

ترسل في أثر ما تحب
قطعة غالية من نفسها[6].

أوفيليا(تغني): سافر الوجه على نعش حملوه
يا ويلتاه
وعلى القبر غزير دمع أمطروه.
وداعاً يا حمامتي.

لرتيس: لو لم تفقدي العقل وحثثتني على الثأر
لما حفزتني كما تفعلين الآن.

أوفيليا (تغني): غنوا معي، غنوا معي،
يا ويلنا...
ما أجمل انسجام الغناء ودولاب الغزل! الخازن اللئيم هو الذي هرب بابنة سيده[7]

لرتيس: هذا اللغو أقوى من كل فحوى.

أوفيليا: هاك زهر الحصلبان، انه للذكرى. أرجوك يا حبيبي، أن تتذكر. وهاك هذه الباقة من زهرة الخواطر[8]

لرتيس: وثيقة من الجنون، تلتئم فيها الذكرى والخواطر.

أوفيليا: هاك أنت الحبة السوداء والأخيليا، وأنت اليك السذاب، انه زهر الشجن، وعلى أنا ببعضه. لنا أن نسميه أيضاً زهر الندم، فعليك أن تحملي سذابك مع فارق. هاك أيضا أقحوانه. وددت

لـو أعطيتـك بنفسجا، غير أنه ذبل كله ساعـة موت
أبي. يقولون أن نهايته كانت صالحة!
(تغني) لأن في الدوري المغنى فرحتي . . .
لرتيس: إنها تقلب الغم والعذاب، حتى الغضب والجحيم،
حسنا ورواء!
أوفيليا (تغني): أو لن يعود لنا ثانية
أو لن يعود لنا ثانية
أو لن يعود لنا؟
كيف يعود وقد قضى؟
إلى فراش موتك فاذهبي.
فهو لن يعود لنا.
لحية كالثلج بيضاء
من قنب أكفانه
في ذمة الغيب غداً
نبكيه دوماً عبثاً ـ
رحمة الله عليه
وعلى كل المؤمنين، اللهم! استودعكم الله. (تخرج أوفيليا)
لرتيس: رباه، أترى إلى ذلك؟
الملك: لرتيس، لا بد لي من أن أباحث حزنك
والا أنكرت على حقا. ما عليك الا أن تذهب
وتنتقي من أعقل صحبك من تشاء

فنحتكم أنا وأنت اليهم .
فإذا وجدوا لوثة في يد منا
سريرة أو جهيرة ، وهبناك ملكنا
وتاجنا وحياتنا وكل ما لدينا
دية لك . والا ،
فاقنع بالصبر علينا
نكدح سوية مع نفسك
لنرضيها كما ينبغي .
لرتيس : لا بأس .
وهناك أسئلة صارخة تريد من يسمعها
كأنها من السماء تلقى على الأرض :
بأي سبب مات ولماذا جرى دفنه سرا ،
دون سيف أو شارة نصر أو شعار نبل
حيث ثوت عظامه ،
محروماً من الشرف مراسيمه ومن الأبهة مظاهرها؟
ذلك ما علي أن أحقق فيه .
الملك : لك ذلك .
وحيثما الاثم ، فلتقع فأس العقاب !
هلم معي .

(يخرجون)

المشهد السادس
غرفة في القلعة

(يدخل هوراشيو. وخادم)

هوراشيو: من هم الذين يبغون الحديث إلي؟

الخادم: نفر من البحارة، سيدي. وهم يزعمون أنهم جاءوا برسائل اليك.

هوراشيو: أدخلهم.
لست أدري من أي قطر في العالم
قد تأتيني التحية، إذا لم تكن من الأمير هاملت.

(يدخل البحار)

البحار: السلام عليكم.

هوراشيو: وعليكم السلام.

البحار: هذه رسالة لكم، يا سيدي، وهي من السفير الذي كان ميمماً شطر انجلترا.. أن يكن اسمك هوراشيو، كما قيل لي.

هوراشيو (يفض الرسالة ويقرأ): «هوراشيو، عندما تطلع على هذه الرسالة، هيىء لهؤلاء الرجال سبيلا إلى الملك،

فإنهم يحملون اليه رسائل. ما كدنا نقضي يومين في البحر، حتى طلع علينا قرصان مزود بعدة الحرب وجد في أثرنا. فلما وجدنا أن مركبنا بطيء الشراع، أكرهنا على الظهور بمظهر البأس والشجاعة. وفي العراك، اقتحمت سفينتهم، وإذا هم على الفور يبتعدون عن مركبنا، فغدوت وحدي أسيرهم. ولقد عاملوني معاملة لصوص رحماء، غير أنهم كانوا واعين ما يفعلون. أود أن أصنع لهم جميلاً. فليتسلم الملك الكتب التي أرسلتها، وتعال أنت إليّ بسرعة من يفر من الموت. لدى كلمات أسرها في أذنك، ولكن ما أخفها بالنسبة إلى عيار ما أريد قوله! وهؤلاء الرجال الطيبون سيقتادونك إلى. أما روزنكرانتز وغلدنسترن فما زالا في طريقهما إلى انجلترا. وعن كليهما لدى الكثير أقصه عليك. وداعاً، وبقيت لمن يحبك... هاملت.»

تعال معي، سأمهد السبيل لرسائلك هذه. أسرع ما استطعت، لكي تقودني إلى الرجل الذي بعث بها معك.

المشهد السابع
في إحدى قاعات القلعة

(يدخل الملك ولرتيس)

الملك : والآن لا بد لضميرك أن يختم على براءتي
كما ينبغي عليك أن تجعلني في قلبك من الأصدقاء ،
بعد أن سمعت بأذنك العليمة
أن الذي أودى بحياة أبيك النبيل
كر في طلب حياتي .
لرتيس : لقد اتضح ذلك . ولكن قل لي ،
لم لم تتخذ اجراء ضد أفعال الشر هذه
وملؤها الجريمة وطابعها القتل ،
عندما أثارت فيك أشد السخط ،
كما تقتضي السلامة والحكمة وغير ذلك؟
الملك : لسببين خاصين ،
قد يبدوان لك واهيين بلا عضل ،
ولكنهما في نظري قويان . أن الملكة أمه

تكاد لا تحيا الا بمرآه. وأنا ـ
خيراً كان ذاك على أم وبالا ـ
قد ارتبطت بها حياتي وروحي
فصرت كالكوكب الذي لا يسبح الا في فلكه
لا أستطيع الحركة الا بها. والدافع الثاني
في عدم جعلي من الأمر قضية عامة،
هو ما تكنه له الدهماء من حب عظيم
فتغمس مساوئه كلها في ودها له،
وكالينبوع الذي يقلب الحطب الى حجر (9)
تحول أصفاده الى محاسن. واذا سهامي،
وعيدانها أهزل من أن تخرق ريحا صاخبة كهذه،
ترتد على قوسي ثانية
بدلاً من أن تبلغ الهدف الذي رميته.
لرتيس: وهكذا فقدت أبا نبيلا
وتطوحت أختي في اليائسات من المهاوي
وهي التي، لو أن للمدح أن يكال لشيء مضى،
كانت تتحدى الزمان من شاهق
بكمالها. ولكن انتقامي آت.
الملك: لا يضطربن نومك لذلك. ولا تظنن
إننا صنعنا من عنصر بليد خامل
فنسمح لأحد بأن يجر لحيتنا جر الخطر

ونعد ذلك لهواً وتسلية. لسوف تسمع المزيد عما

قريب.

لقد كنت أحب أباك، ونحن نحب نفسنا،

فآمل أن يحدو بك ذلك الى أن تتصور ـ

(يدخل رسول)

ما وراءك؟ ما الخبر؟

الرسول: رسالتان يا مولاي من هاملت

هذه لجلالتكم، وهذه للملكة.

الملك: من هاملت؟ من جاء بهما؟

الرسول: قالوا، جماعة من البحارة. ولكنني لم أرهم.

أعطاني الرسالتين كلوديو، وهو تسلمهما

من الذي جاء بهما.

الملك: نارتيس. سأسمعك الاثنتين.

(للرسول) اتركنا.

(يخرج الرسول)

(يقرأ): «يا صاحب العز والجبروت، اعلم أنني وطئت مملكتكم عارياً. وغدا سأستأذن منك أن أرى عينيك الملكيتين. وعندئذ، بعد أن أستميحك الصفح والغفران، سأسرد وقائع عودتي الفجائية العجيبة. هاملت.»

ما معنى هذا؟ هل عاد الآخرون أيضاً؟
أهي خدعة؟ أم ماذا؟
لرتيس: أتعرف خطه؟
الملك: انه خط هاملت «عاريا»!
وهنا حاشية يقول فيها: «لوحدي».
هل من نصيحة؟
لرتيس: إني في حيرة من أمره يا مولاي. ولكن، دعه يأتي.
حتى الداء الذي في قلبي ينتعش،
لأنني سأحيا لأقول له وجها لوجه:
«هكذا فعلت!»
الملك: إذا كان الأمر كذلك يا لرتيس ـ
وكيف يكون كذلك، بل كيف لا يكون؟
أفتنصاع لي؟
لرتيس: على ألا تدفعني إلى صلح معه.
الملك: بل إلى راحة نفسك. فإن يكن قد عاد الآن،
أي أن يكن قد انصرف عن رحلته عازما
على ألا يقوم بها، سأغريه
على فعلة أن أنضجتها الآن حيلتي.
لا مرد لسقوطه فيها.
ولموته عندئذ لن تتنفس ريح بلوم،

بل أن أمه نفسها ستبرىء المكيدة
وتعدها قضاء وقدرا .
لرتيس : سأكون أكثر انصياعاً لك
إذا دبرتها بحيث تجعلني أنا الوسيلة .
الملك : إن ذاك في محله .
فقد دار حولك منذ أن سافرت حديث كثير
على مسمع من هاملت ، بصدد مزية فيك
يقولون أنك برزت بها . خصالك كلها
مجموعة معا لم تنتزع منه غيرة
بقدر ما انتزعت تلك المزية ـ وهي في رأي غيرة
من أحط الدركات .
لرتيس : وما تلك المزية يا مولاي؟
الملك : مفخرة من مفاخر الشباب ،
وضرورة من ضروراته . فالشباب تليق به
ثيابه الممراحة الزاهية بقدر ما
تليق بالشيخوخة الوادعة العباءة والحلل ،
دليلة الوقار وحفظ العافية .
منذ زهاء الشهرين
جاءنا نبيل من نورمندي .
لقد رأيت الفرنسيين وقاتلتهم :
انهم فرسان بارعون . غير أن فروسية هذا الرجل

كانت السحر بعينه، فكنت تخاله ينمو من صهوة الجواد،
فيحفز حصانه لكل فعل عجيب
كأنه بعض من أوصال جواده الجميل
أو نصف من جسده: لقد فاق تصوري،
وجاء من الحركات والألاعيب
ما يعجز عنه خيالي.
لرتيس: أنورمندي؟
الملك: نورمندي.
لرتيس: لاموند ولا ريب!
الملك: هو بعينه!
لرتيس: أعرفه تمام المعرفة. انه في الحق درة قومه
وواسطة عقدهم.
الملك: لقد اعترف بك
وروى عن فائق قدرتك
في الضرب والطعان دفاعاً عن النفس،
وأشاد على الأخص بضربة سيفك
وهتف قائلاً: لو كان لامرىء أن يستطيع نزالك
لكان ذلك من أروع المشاهد. وأقسم أن المبارزين
من قومه أن أنت نازلتهم
عدموا الحركة والعين والحذر.
وصفه هذا يا سيدي

سم بدن هاملت غيرة
فما عاد يستطيع ألا ترديد أنه
يرجو ويتمنى عودتك المفاجئة لكيما تنازله .
فبناء على هذا ـ
لرتيس : بناء على هذا يا مولاي؟
الملك : لرتيس ، أكان أبوك عزيزاً عليك؟
أم أنك ، كصورة مرسومة للأسى ،
وجه بلا قلب؟
لرتيس : لم تسأل ذلك؟
الملك : لا لأنني أشك في حبك لأبيك
بل لأنني أعلم أن الحب يبدؤه الزمن ،
وأرى من الحوادث أدلة وبراهين على
أن الزمن ينال من شرر الحب وضرامه :
ففي القلب من لهيب الحب نفسه
ما يشبه الفتيلة للحد من وقده ،
وهل من شيء يظل دوما على حسنه؟
فحسن الشيء ، إذ يزيد حتى يفيض ،
يموت من فيضه . انما نبغي فعله
يجب فعله عندما نبغى ، لأن «نبغى» هذه تتبدل ،
ويعتورها من النقص والتسويف
بقدر ما هنالك من السن وأيد وصدف .

وعندها نرى أن «يجب» أشبه بزفرة مضنية [10]
تروح عن النفس ولكنهـا تـؤذي الجسـد. ولكن
لنعد إلى رأس العلة :

سيعود هاملت. ما الذي تتعهده
لتثبت أنك ابن أبيك حقا
بأكثر من الكلام؟
لرتيس : أن أذبحه من نحره في الكنيسة.
الملك : يقيناً ، يجب ألا يكون هناك مكان يحرم فيه القتل.
كما يجب ألا يجعل للإنتقام حدود. ولكن ،
عزيزي لرتيس ،

أرجوك أن تقبع في غرفتك ،
وحالما يعود هاملت سيعلم بمقدمك.
ثم نرسل اليه من يثني على تفوقك
ويضاعف المدح الذي كاله الفرنسي
لشهرتك ، ومجمل القول ، سنجمع بينكما
ونراهم على رأسيكما. ولما كان هاملت لا مباليا ،
كريم الطبع ، لا تعرف نفسه الخديعة ،
فإنه لن يدقق النظر في السيفين! . . وعندها بكثير
من اليسر

أو بشيء من الحيلة ، لك أن تختار
سيفاً غير مفلول ، وبطعنة غادرة

تجعل منه بديلاً لأبيك .
لرتيس : سأفعل ذلك .
وتحقيقاً لمأربي ، سأطلي نصف سيفي .
لقد ابتعت من طبيب مرهما
زعافا ، اذا غمست فيه مدية
فإن لا ضمادة في الدنيا (وأن يجتمع فيها
كل عقار احتوى دواءه في ضوء القمر[11])
تنجي من الموت من يجرح بها ،
وإن لم يكن الجرح الا خدشاً طفيفاً . سأصل

رأس سيفي

بهذا الوباء ، فإذا لم أصب منه الا خماشة
كان فيها حتفه المحقق .
الملك : لنعمل الفكر في ذلك ،
ونزن الملائم من الوقت والوسيلة
مما يمدنا بالعون في خطتنا . فإذا كنا سنخفق فيها
ويبين قصدنا خلال فعلتنا الخاسرة
فخير لنا ألا نحاول تنفيذها . علينا اذن
أن ندعم هذه الخطة بثانية تصيب الهدف
إذا تفرقعت الأولى دون طائل . مهلا ، لنر ـ
سنراهن مطمئنين على قدرتك . . .
آ ، هكذا :

عندما تحميان وتعطشان لشدة الحركة ـ
زد من عنف هجماتك لهذه الغاية ـ
ويطلب ماء ليشرب، سأكون قد هيأت له
كأسا خاصة بذلك: فإذا رشف منها ولو رشفة واحدة،
أن نجا صدفة من طعنتك المسمومة،
تحقق فيها الغرض.

(تدخل الملكة)

ما وراءك أيتها الملكة العزيزة؟
الملكة: ويل يقفو أثر ويل ـ
تتلاحق الويلات سراعاً! أختك غرقت يا لرتيس.
لرتيس: غرقت! أين، أين؟
الملكة: هناك صفصاف[12] مالت بفرعها فوق غدير
يعكس أوراقها البيض في سيله الزجاجي
هناك ذهبت أوفيليا بأكاليل غريبة
من البابنج واللحلاح والاقحوان والزنبق الارجواني
الذي يدعوه الرعاة بلا حياء باسم غليظ
وتسميه صبايانا الباردات «أنامل الموتى».
فلما راحت تتشبث بالشجرة لتعلق تيجان وودها
على الأغصان المتأرجحات، غدر بها فنن حسود
وانكسر،
وإذا هي تهوى مع شاراتها العشبية

إلى الغدير الباكي الحزين. فانتشرت ثيابها على الماء
وحملتها كعذراء البحر برهة من الزمن
جعلت فيها تغني مقاطع من ألحان قديمة،
كأنها لا تعي محنتها
أو كأنها من أهل الماء قد عودت عليه.
ولكن ما لبثت ثيابها، بعد أن ثقلت بشربها،
أن نزلت بالمسكينة البائسة من حنون انغامها
إلى حتفها في الطين.
لرتيس: وا ألماه، أغرقت إذن؟
الملكة: غرقت، غرقت.
لرتيس: ما أغزر ما أنت فيه من ماء يا أوفيليا،
فلأمنع دمعي أنا. ولكن ذلك
دأبنا، ولن تتنحى الطبيعة عن فطرتها،
مهما يقل العائبون. وحين تكف هذه،
ستبرز المرأة التي في[13]. وداعاً يا مولاي.
في فمي كلام من لهيب يود لو يضطرم
لولا أن ضعفي هذا يطفئه. (يخرج باكيا)
الملك: لنتبعه يا غرترود
بذلت الجهد لتسكين ثائرته،
وأخشى الآن أن يثيرها هذا من جديد.
فلنتبعه إذن.

(يخرجان)

هوامش :

(1) عبارة كان الأطفال يهتفون بها حين يلعبون «الغماية».

(2) في هذا المشهد تغني أوفيليا مقاطع من أغان شتى كانت معروفة لدى معاصري شكسبير.

(3) كان الذين يعودون من الحج إلى كنيسة مار يعقوب كومبوستلا يلبسون محارة في القبعة.

(4) كانت العادة أن يعتبر الرجل أول فتاة يراها صباح يوم مار فلنتين، 14 شباط، حبيبته.

(5) كان المعتقد أن البجعة تغذى صغارها بدم من صدرها

(6) أي أن الطبيعة ترسل في أثر بولونيوس الذي تحبه قطعة غالية من نفسها «عقل أوفيليا».

(7) قصة أخرى مجهولة لدينا، كقصة القرد والقفص. لعل فيها اشارة إلى كلوديوس

(8) هذه العبارة موجهة ، على الأرجح، إلى لرتيس إذ قد تظنه حبيبها. وما توزعه أوفيليا، له معناه الخاص في لغة الزهور. فلاخيها تعطي الذكرى والخواطر

"Rosemary, Pansies" وللملك النفاق (الحبة السوداء Fennel

والجحود (الاخيليا) Columbine وللملكة الشجن (الذاب "Rues" وطيش الهوى (الاقحوانة). أما الأخلاص (البنفسج) فلا تعطيه لأحد. من الواضح أن هذه المعاني قد لا تتفق كلها مع معاني الزهور عند العرب. فالحبة السوداء عندنا رمز للبركة، والذاب يعلق ضد «العين».

(9) كانت في وركشر، المقاطعة التي نشأ فيها شكسبير ينابيع قيل أنها تحول الحطب إلى حجر.

(10) كان القدماء يعتقدون أن كل زفرة تكلف المرء نقطة من الدم. ولعل في قولنا «ذهبت نفسه حسرات» شيئا من هذا الإعتقاد.

(11) كان المعتقد أن العقاقير إذا جمعت في ضوء القمر أشتد مفعولها

(12) الصفصافة من رموز الهوى البائس والحب الحزين.

(13) لكثرة ما سيبكي.

الفصل الخامس

المشهد الأول
ألسينور. في مقبرة في فناء الكنيسة

(يدخل مهرجان (حفارا قبور)، ومعهما عدة الحفر.)

المهرج الأول: إذا سعت امرأة إلى خلاصها بإرادتها، أتدفن دفنا مسيحيا؟

المهرج الثاني: أقول لك نعم، ولذلك هلم فاحفر قبرها. فقد نظر في أمرها المحقق وقرر لها دفنة مسيحية.

م أول: كيف يكون ذلك، ألا إذا كانت قد أغرقت نفسها دفاعاً عن نفسها؟

م ثان: هذا ما تقرر.

م أول: لا بد أنه دفاع عن النفس، لا غيره. لأن نقطة البحث هي هذه: إذا أغرقت نفسي عن قصد، كان ذلك فعلاً. وللفعل ثلاثة فروع، هي: الفعل والعمل والتنفيذ. إذن، فهي قد أغرقت نفسها عن قصد.

م ثان: ولكن اسمع يا أخانا الحفار ـ

م أول: أرجوك، لحظة. هنا الماء، تمام؟ وهنا يقف

الرجل، تمام؟ فإذا راح الرجل إلى هذا الماء وأغرق نفسه فيه، فهو رائح شاء أم لم يشأ. أترى؟ أما إذا راح الماء إليه وأغرقه، فهو لم يغرق نفسه، إذن، فالبريء من موته، لم يقصف عمر نفسه.

م ثان: وهل هذا قانون؟

م أول: بالطبع. إنه «قانون تحقيق الوفيات».

م ثان: أتريد الصدق؟ لو لم تكن هذه السيدة من النبيلات، لما سمح لها بدفنة مسيحية.

م أول: كلامك صحيح. من المؤسف أن لكبراء الناس في هذه الدنيا الحق في أن يغرقوا أو يشنقوا أنفسهم أكثر من أخوانهم في الدين. هلمي يا مسحاتي. ليس في الدنيا نبيل حسيب إلاّ البستاني وحفار الخنادق وباني القبور. انهم يحافظون على مهنة جدنا آدم.

م ثان: أكان آدم من النبلاء؟

م أول: كان أول من ملك الأرض[1].

م ثان: ولكنه لم يملك الأرض.

م أول: أكافر أنت؟ كيف تفهم الكتاب المقدس؟ يقول الكتاب المقدس أن آدم حفر. وهل يحفر من
لا يملك الأرض؟ سأسألك سؤالاً آخر، فإذا لم
تعطني الجواب الصحيح، عليك أن تعترف ـ

م ثان: طيب، طيب.

م أول : من هو الذي إذا بنى كان بناؤه أقوى من البناء والنجار وصانع السفينة؟

م ثان : باني المشنقة . لأن المشنقة يموت فيها ألف رجل ولا تنهدم .

م أول: يعجبني والله ذكاؤك . فالمشنقة تحسن الفعل . ولكنها تحسن الفعل لمن؟ تحسن الفعل لمن يسيءالفعل . وأنت تسيء الفعل بقولك أن المشنقة أقوى بناء من الكنسية . أذن فالمشنقة قد تحسن الفعل لك أيضاً! هيا ، اسألني أنت .

م ثان: من الذي يبني أقوى من البناء والنجار وصانع السفينة؟

م أول : قل لي أنت ، وحل عني .

م ثان : سأقول!

م أول : هيا .

م ثان : آ ، والله لا أعرف . (يدخل هاملت وهوراشيو من بعيد)

م أول: لا تكسر دماغك في البحث . فالحمار البليد لن يحسن السير مهما ضربته بالعصا . إذا سئلت هذا السؤال يوماً ، قل : باني القبور. فالبيوت التي يبنيها تدوم حتى القيامة . أذهب إلى «يوان» وجئني بزجاجة من الشراب .

(يخرج المهرج الثاني . يغني وهو يحفر)

يا غرامي في شبابي
آه ما أحلى غرامي
منيتي كانت وصالا
عله شاف سقامي

هاملت: أليس يشعر هذا الرجل بما تصنع يداه، فيغني وهو يحفر قبراً؟

هوراشيو: كلا. انما اليد القليلة العمل هي التي يرهف حسها.

المهرج الأول: (يغني وهو يحفر)

راح يومي يا إلهي
دب شيب في عظامي
اين وليت، زمامي،
بشبابي وهيامي؟

(يتناول جمجمة من التراب ويقذف بها)

هاملت: كان في تلك الجمجمة يوما لسان يستطيع الغناء.
أنظر كيف يلقى بها أرضاً هذا الوغد، كأنها فك
قابين[2]، أول من اقترف القتل. لعلها قحف أحد
الساسة الدهاة يعلوه الآن هذا الحمار ـ أحد الساسة
الذين يحاولون الكيد حتى لرب العباد!

هوراشيو: محتمل ذلك، يا مولاي.

هاملت: أو لعلها جمجمة أحد رجال البلاط التي بوسعها أن

تقول : «السلام عليكم يا سيدي الكريم ، كيف حالكم يا مولاي العزيز؟» وهذه لعلها مولاي فلان الذي أشاد بمدح حصان مولاي علتان عندما كان يستجديه حصانه . أليس كذلك؟

هوراشيو: بلى يا مولاي .

هاملت : وهنا الآن جمجمة سيدتي المصون دودة ، وقد سقط شدقها وضربت هامتها بمسحاة دفان . هذه احدى دورات الفلك الرائعة ، لو كان لنا في رؤيتها حيلة . ألم تكلف هذه العظام في نشأتها أكثر من أن نعبث بها بالقدم؟ أن عظامي لتتوجع في تأمل ذلك .

المهرج الأول : (يغني) :

هاتوا مسحاة وفأسا
كفنوا الآن حطامي
واحفروا لي في التّرابِ
حفرة فيها سلامي

(يقذف بجمجمة أخرى)

هاملت : وهاك أخرى . لم لا تكون تلك جمجمة محام؟ أين سفسطته الآن؟ وتورياته؟ وقضاياه؟ وعقوده؟ وألاعيبه؟ لِمَ يسمحُ الآن لهذا الجلف الفظ بضربه على يافوخه برفش قذر، ولا يهدده برفع دعوى تهجّم واعتداء؟ لعل صاحبنا هذا كان في زمانه ممن يشترون الأراضي الفسيحة، برهونه والتزاماته

واستقطاعاته وكفلائه وتحويلاته ـ أهذه قطيعة استقطاعاته وتحويلة تحويلاته ـ أن يمتلىء قحفه المحترم بتراب محترم؟ ألن يكفله كفلاؤه في مشترياته، وهم يكفلونه زوجاً زوجاً، بأكثر من طول وعرض عَقْدين أو ثلاثة؟ لا يكاد هذا التابوت يتسع لتسجيلات أراضيه. وهل يجوز ألا يحظى المالك بأكثر من ذلك؟ ها؟

هوراشيو: لا، حتى ولو شبراً واحداً يامولاي.

هاملت: أليس رق العقود [3] من جلد الخراف؟

هوراشيو: بلى يا مولاي، ومن جلد العجول أيضاً.

هاملت: كل من ينشد فيها ضماناً فهو من الخراف والعجول. أريد الحديث مع هذا الرجل.. قبر من هذا يا سيّد؟

المهرج الأول: قبري، يا سيدي:

واحفروا لي في الترابِ
حفرةً فيها سلامي.

هاملت: إنه قبرك ولا ريب. فأنت فيه.

م أول: أنت لست راقداً فيه ياسيدي، فهو لذلك ليس قبرك.

أما أنا فلا أرقد فيه، وهو رغم ذلك قبري.

هاملت: من هو الرجل الذي تحفره له؟

م أول: لا لرجل احفره يا سيدي.

هاملت: ولا من هي المرأة؟

م أول: إذن لأمرأة أيضاً.

هاملت: من سيدفن فيه؟

م أول: مخلوق كان يوماً امرأة. ولكنها ميتة، رحمها الله.

هاملت (لهوراشيو): ما أدق هذا الرجل! علينا أن نكلمه بأضبط الألفاظ وإلاّ قضى علينا اللبس والإبهام. والله ياهوراشيو لقد لاحظت في السنوات الثلاث الأخيرة أن العصر غدا من الفصاحة بحيث جعل أخمص الفلاح يداني عقب النبيل ويرضّ دمامله. (للمهرج) منذ متى صرتَ صانعاً للقبور؟

م أول: من أيام السنة كلها، جئت هذه المهنة يوم تغلب ملكنا المرحوم هاملت على فرتنبراس.

هاملت: وكم من الزمن مرّ على ذلك؟

م أول: ألا تعرف؟ ما من أبله إلا ويعرف. كان ذلك يوم وُلد الفتى هاملت ـ وهو الذي قد جُنّ وأرسل إلى أنكلترا.

هاملت: أي والله. و لمَ أُرسل إلى أنكلترا؟

م أول: لأنه مجنون. وهناك سيسترجع عقله. وإذا لم يسترجعه، فلا بأس عليه أيضاً.

هاملت: لماذا؟

م أول: لأنهم هناك لن يروا جنونه فيه، فكلهم مجانين مثله.

هاملت: وكيف جُنّ؟

م أول: يقولون، على نحو غريب.

هاملت: أي نحو غريب!

م أول: بأن فقد عقله.

هاملت: في أي ظروف؟

م أول: هنا في الدانمرك. فقد قضيت هنا كدفّان ثلاثين سنة، منذ أن كنت صبياً.

هاملت: كم من الزمن يمر على الإنسان وهو دفين قبل أن يفسد؟ والله إذا لم يكن فاسداً قبل أن يموت ـ ولدينا هذه الأيام جثث كثيرة تكاد لا تتحمل انزالها في التراب ـ فإنه يبقى ثماني أو تسع سنوات. فالدباغ مثلاً يبقى دون فساد تسع سنوات.

هاملت: لم الدباغ دون سواه؟

م أول: لأن جلده مدبوغ بحرفته دبغاً يمنع عنه الماء لمدة طويلة. وصاحبنا الماء مفسد لعين للجسد الميت ابن الزانية. هذه جمجمة. لقد قضت هذه الجمجمة في التراب ثلاثاً وعشرين سنة.

هاملت: ومن كان صاحبها؟

م أول: مخبّل ابن زانية! مَن تظن؟

هاملت: لست أدري.

م أول: قاتله الله من مخبّل ماكر! سكب مرةً ابريق خمر على رأسي! هذه الجمجمة بعينها يا سيدي، هذه الجمجمة بعينها كانت جمجمة «يوريك»، مضحك الملك.

هاملت: هذه؟

م أول: أي والله هذه.

هاملت: دعني أراها. (يتناول الجمجمة) لهفي عليك يا يوريك! كنت أعرفه ياهوراشيو، رجلاً لا حد لنكتته، ولا يُضاهى في براعته. لقد حملني على ظهره ألف مرة ومرة. أما الآن، حين اتخيل ذلك، فما ابغضه أمراً إلى نفسي! هنا كانت الشفتان اللتان قبلتهما لست أدري كم مرة. أين لواذعك الآن؟ وقفزاتك الفرحة؟ وأغانيك؟ ولمعات فكاهتك التي كان يستلقي لها الآكلون على ظهورهم من الضحك؟ أما من فكاهة واحدة تسخر الآن من تندُّرك؟ اهكذا سقطت فكك؟ بربك توجه الآن نحو غرفة سيدتي وقل لها: لئن نكثفي الصبغ أصبعين، فما نهاية وجهك الا هذه. فلتضحك هي من ذلك! أرجوك! ياهوراشيو، أخبرني.

هوراشيو: بماذا يامولاي؟

هاملت: اتعتقد أن الاسكندر آل إلى مثل هذا في التراب؟

هوراشيو: لا ريب.

هاملت: وخبثت رائحته كهذه. أف! (يضع الجمجمة من يده)

هوراشيو: لا ريب يا مولاي.

هاملت: ما احطَّ ما قد نؤول إليه ياهوراشيو! أفلا يجوز للخيال أن يتعقب أثر الاسكندر وترابه النبيل إلى أن يلقاه سداداً لِدنّ؟

هوراشيو: إنه لتأمل غريب تأملك على هذا الشكل.

هاملت: لا، أبداً! فبإمكاننا أن نتعقبه إلى غايته دون مبالغة قد تفسد الاحتمال، هكذا: الاسكندر مات، الاسكندر دفن، الاسكندر

عاد إلى تراب، ومن التراب نصنع الطين، فلماذا يستبعد أن يسد بعضهم بذلك الطين (الذي تحوّل الاسكندر إليه) دنا من دنان الخمر؟

إن يمت قيصر على رحب سلطانه ليغدو طينةً
ربما سدّ جُحراً لصدّ ريح باردة:
ليت التراب ذيّاك الذي أرهب الدنيا كلها
يلأم صِدْعاً في الجدار لدرء هبات الشتاء!

ولكن لنخفض الصوت وننزوِ جانباً. أرى الملك قادماً.

(يدخل جماعة يحملون نعشاً، والملك والملكة ولرتيس وبعض أفراد الحاشية، يتبعهم كاهن.)

الملكة، ورجال البلاط! ترى من ذا الذي يشيعونه وبهذه المراسيم المبتورة؟ ذاك دليل على أن صاحب الجثمان الذي يشيعونه قد مضى بيده اليائسة على حياته. وقد كان على شيء من سموّ المنزلة. لنختبيء هنا لحظتين ونراقب القوم (ينسحبان)

لرتيس (للكاهن): وماذا بعد من مراسيم؟

هاملت: ذاك لرتيس، وهو فتى عظيم النبل. أنظر.

لرتيس: وماذا بعد من مراسيم؟

الكاهن: لقد توسعنا بجنازتها
على قدر ما يسمح به. كان موتها موضع شك
ولولا أن أمر جلالته يطاول سنّة الكنيسة
لتحتم اثواؤها في أرض غير مقدسة

إلى أن ينفخ في الصور. وعوضاً عن الصلاة الرحمة
لوجب أن نهيل عليها الصوان والحصى والجرار المحطمة.
ومع ذلك فها هي قد أُذن لها بأكاليلها العذرية
ونثار زهور الصبايا، والمجيء بها
لمثواها ودفنها.
لرتيس: أما من مزيد من الطقوس؟
الكاهن: كلا. إن نرتّل لها ترتيلة الراحة الأبدية
التي تُرتَّل للراحلين في سلام
ندنّسْ صلاة الموتى.
لرتيس: أنزلوها إلى القبر،
ولينمُ البنفسج من جسدها الطاهر الجميل.
قسماً أيها الكاهن الغليظ أن أختي
ملاكاً في السماء ستمسي
يوم تُعْول أنت وتولول في الجحيم!
هاملت: ماذا؟ أأوفيليا الجميلة؟
الملكة (وهي تنثر الزهور على نعش أوفيليا): الشذا للشذي. وداعاً!
أملت أن تصبحي زوجة لإبني هاملت،
وظننت أنني فراش زفافك سأزين يا احلى العذارى
لا على قبرك انثر الزهور.
لرتيس: ألا حلت الويلات مثلثة
بل عشر مرات مثلثة على ذلك الرأس اللعين

الذي بفعلته النكراء ضيع منك
الرشاد والعقل! لا تهيلوا التراب لحظة
ريثما احتويها مرة أخرى بين ذراعي

(يقفز إلى القبر)

كوموا الآن التراب على الحيّ والميت معاً.
أو تجعلوامن السهل هذا جبلاً
يطاول قمة «بليون» أو هامَ الاولمب (4) الأزرق
الناطح سحاب السماء!
هاملت (متقدماً وصائحا): من ذا الذي استبدت به
آلامه استبداداً كهذا، وراحت أقوال حزنه
تستحلف الكواكب السيارة أن اسمعي، فتوقفت
كمصغيات مجرّحات بالعجب؟ ها أنذا
هاملت الدانمركي!

(يقفز هاملت إلى القبر وراء لرتيس)

لرتيس: أخذ الشيطان روحك!
هاملت: دعاؤك ليس بخير
ارجوك أن ترفع اصابعك عن حنجرتي
سيدي قد لا أكون غضوباً طائشاً
غير أن فيّ مكامن ملؤها الخطر
كن حكيماً واخشَها. ارفع يدك!
الملك: فرقوا بينهما.

الملكة: هاملت، هاملت.

الجميع: أيها السيدان ـ

هوراشيو: هدىء الروع، مولاي الكريم.

(يباعد الحاضرون بينهما، ثم يخرجان من القبر)

هاملت: والله لأصارعنه بهذا الشأن
حتى تعجز عن الرف مقلتاي؟

الملكة: واولداه! أي شأن تعني؟

هاملت: لقد أحببت أوفيليا أربعون ألف أخ
بمجموع حبهم لن يساووا
مقدار حبي أنا، ما الذي تريد فعله من أجلها؟

الملك: إنه مجنون يالرتيس!

الملكة: بربكم ابعدوه!

هاملت: هيا أرني ما الذي تريد فعله.
أبكاء تريد؟ أقتالاً؟ أصوماً؟ أتمزيقاً لنفسك؟
أخلاً ستجرع؟ اتمساحاً ستأكل؟
سأفعل ذلك! هل أتيت هنا لتئن وتتأوه؟
لتبزّني بالقفز إلى قبرها؟
لتدفن حيا معها؟ سأفعل ذلك أيضاً!
ولئن كنت تهذر عن الجبال، فليهيلوا
ملايين الفدادين علينا، حتى إذا ما اشتعلت
الهامة من أرضنا في مدار اللهيب

بأن «أُصا» [5] كالخال ازاءها . وإذا أردت التشدق
فإنني أتشدق مثلك!
الملكة : إنها ساعة جنون لا أكثر
تفعل النوبة مدة فيه فعلها ،
وسرعان ما يهدأ كالحمامة
حين تفقس فرختاها بلون الذهب
هاملت: ويستقر به صمته وسكونه .
إسمع يا سيدي .
ما السبب في موقفك هذا مني؟
كنت دوما أحبك . ولكن لابأس .
حتى هرقل ، مهما أتى من خوارق ،
ماءت القطة له ، وأصر الكلب على النباح طوال يومه

(يخرج هاملت)

الملك: أرجوك ياهوراشيو أن ترافقه .

(يخرج هوراشيو)

(إلى لرتيس) مزيداً من الصبر على حديثنا البارحة :
سندفع بالأمر إلى التنفيذ فوراً .
غرترود عزيزتي ، ضعي على ابنك بعض الحراسة .
سأجعل لهذا الضريح نصباً حياً خالداً .
قريباً سنرى ساعة من الطمأنينة .
فحتى ذلك الحين ليكن سيرنا صبراً وأناة . (يخرجون)

المشهد الثاني
في احدى ردهات القلعة

(يدخل هاملت وهوراشيو)

هاملت: حسبي ما قلت عن هذا يا سيدي أما القضية الأخرى
أتذكر الظروف كلها؟
هوراشيو: أذكر الظروف يامولاي؟
هاملت: نشب في قلبي صراع، ياسيدي،
لم يُتح لي أغماضة جفن.
لقد خيّل إليّ
إنني أسوأ حالاً من عُصاة مكبلين بالحديد.
وطيشاً مني -
نحمد الله على الطيش من أجل ذلك، ولنعلم
أن النزق احيانا يجزل لنا الفائدة
إذ تخفق خططنا العميقة، فندرك بذلك
أن ثمة الوهة تصنوغ لنا غاياتنا
مهما عشوّنا نحن في نحتها -

هوراشيو: لا ريب في ذلك.
هاملت: نهضت من قَمَرتي،
مدثراً بثوبي البحري في الظلام
وخبطت خبطاً في بحثي عنهما، فعثرت على بغيتي،
واختلست طردهما وأخيراً انسحبت إلى
غرفتي من جديد، واجترأتُ
(وقد نسِيَتْ مخاوفي الأدب) على فض
تفويضهما الجليل، وإذا بي أرى ياهوراشيو ـ
يا للنذالة الملكية! ـ أمراً صريحاً
حشوه أنواع شتى من الأسباب والعلل،
تدور حول صحة ملك الدانمراك، وملك انكلترا،
مع الوعيد بالمردة والغيلان أن أنا بقيت حياً
قائلاً الا أُمهل فور قراءة الرسالة
ولو ريثما تُحدُّ الفأس،
بل يضرب عنقي في الحال.
هوراشيو: أممكن ذلك؟
هاملت: هذا هو التفويض. اقرأه عندما يتسع لك الوقت.
ولكن أتريد أن تسمع ماذا فعلت؟
هوراشيو: أرجوك.
هاملت: حين وجدت الأنذال يحيطون بي احاطة الشبكة
وقبل أن أمهد لذهني بمقدمة،

كان قد شرع بمسرحيته فجلست
ولفقت تفويضاً جديداً وتأنقت بكتابته :
كنت أرى فيما مضى كأصحابنا رجال السياسة ،
ان من الحطة أن يتأنق المرء في الخط وابذل الجهد
لنسيان ما تعلمت ، غير أن خطي ، هذه المرة ،
اسعفني خير اسعاف . أتريد أن تعلم
خلاصة ما كتبت؟
هوراشيو: أجل يامولاي الكريم .
هاملت: رجاءٌ حارّ من الملك ،
حيث أن ملك انكلترا من مواليه المخلصين ،
وحيث أن الحب قائم بينهما وحيث أن غصن
الزيتون يجب ان يزدهر،
وحيث ان السلم يجب أن يتكلل دوماً بأكاليل
من السنابل
وتبقى صلة وصل بين مودتيهما ،
وغير ذلك من «الحيثيات» المشحونة بالمعاني الكبار،
فعليه عند الاطلاع على هذه المحتويات
دون أي مماطلة أو تأجيل
ان يعدمَ في الحال حاملي هذا الكتاب
ولا يسمح لهما بوقت للإعتراف .
هوراشيو: وكيف ختمته؟

هاملت: حتى في ذلك اعانتني مقادير السماء:
فقد كنت أحمل خاتم أبي في كيسي
وهو نسخة عن ذلك الختم الدانمركي.
فطويت الكتاب على نحو الكتاب الأول،
ووقعته وختمته، ووضعته في مكانه سالماً
ولم يكتشف أحد البديل. واتفق في اليوم التالي
إن وقعت الواقعة البحرية، وما جرى بعد ذلك
تعرفه أنت.
هوراشيو: إذن فإن غلدنسترن ورزنكرانتز قد اكلاها؟
هاملت: يا رجل، كانا والله يتعشقان هذه المهمة،
فليس بينهما وبين ضميري أيةُ قربى، وما عاقبتهما
الوخيمة هذه
الا لأنهما أقحما نفسيهما في الأمر اقحاماً.
من الخطر على ذي الطبيعة الرخيصة أن يضع نفسه
بين الطعنات من نصلين مغضبين عاتيين
في يدي غريمين جبارين.
هوراشيو: أي ملك هذا!
هاملت: أما تظن أن الأمر قد تحتم عليَّ؟
هذا الذي قتل مَلكي، ومَوْمَس أمي،
وانتصب حائلاً بين العرش وبين آمالي،
وألقى بصنارته يطلب حياتي نفسها ـ

وبأي مكر وخديعة !ـ أفلا يتفق ونقاء الضمير
أن أودي به بذراعي هذه؟ أو لا أكون لعيناً
إن أنا سمحت لهذه السوسة الناخرة في طبيعتنا
بتحقيق شر جديد؟

هوراشيو: لا ريب أن ملك انكلترا سيعلمه عما قريب
بنتيجة ما جرى هناك.

هاملت: لن يطول الأمر وهذه الفترة لي،
وما عمر الإنسان بأطول من أن نقول: «واحد».
بيد أنني شديد الأسف يا عزيزي هوراشيو،
على أنني مع لرتيس نسيت نفسي
لأنني في انعكاس قضيتي أرى
صورته سأخطب وده.
ولكن التفاخر بحزنه دفع بي
إلى نزوة عملاقية من الغضب.

هوراشيو: لحظة. من القادم هنا؟

(يدخل أوسرك [6])

أوسرك: أهلاً ومرحباً بسموكم وقد عدتم إلى الدانمرك.

هاملت: إنني بكل تواضع أشكر لك لطفك (جانبا لهوراشيو) أتعرف ذبابة الماء هذه؟

هوراشيو: كلا يامولاي.

هاملت: إذن فقد انعم الله عليك، لأن معرفة هذا الرجل رذيلة. إنه

صاحب أراض شاسعة، وكلها خصبة ممرعة. اينما وجد حيوان هو سيد الحيوانات رأيت معلفه. على مائدة الملك. إنه غراب، ولكنه كما قلت، يملك الشواسع من القذارة.

أوسرك: مولاي الكريم، إن كان في صداقتكم متسع، اطلعتكم على أمر أناطه بي صاحب الجلالة.

هاملت: وإني لأتقبله بكل جد وعزم. أعد قبعتك إلى ما صُنعت له. إنها للرأس (7).

أوسرك: شكراً يا صاحب السمو. ولكن الطقس حار.

هاملت: بل صدقني، انه بارد جداً فالريح شمالية.

أوسرك: يقيناً يا مولاي إنه بارد بعض الشيء.

هاملت: يخيل إليّ أنه لاهب جداً، أم أن حالتي البدنية ـ

أوسرك: جداً يا مولاي. انه لاهب جداً كأنه ـ لا استطيع وصفه! ولكن صاحب الجلالة يا مولاي قد أمرني أن أحيطكم علماً بأنه قد راهن على رأسكم رهاناً بالغاً. إليكم القضية ـ

هاملت: بربك تذكر ـ (يحاول أن يجعله يلبس قبعته).

أوسرك: لا، بالله عليكم، ولو من أجل راحتي. ـ سيدي، في الآونة الأخيرة جاءنا إلى البلاط لرتيس. انه والحق يقال سيد أصاب من الشهامة غايتها وما ديدنه الاّ أسمى المزايا. وهو عافاكم الله لطيف المعشر، فائق المظهر. بل انه، إذا قلنا فيه قولة الحس والأنصاف دفتر لآداب السادة وصفاتهم. وأنكم فيه لواجدون المحتوى الكامل لكل ما يود النبيل الاقتداء به.

هاملت : سيدي، أن نعتك إياه لايعاني فيك نقصاً أو ضياعاً، ولو أنني اعلم أننا لو أردنا تفصيله تعداداً لداخت الذكرة في حسابه وترنحت لسرعة اقلاعه. ولكنني مصداقاً لمدحه واكباره أقول انه امرؤ عظيم القدر، يموج بسجايا العز والندرة بحيث، إذا أردنا صحة الوصف لن نجد مثيله الا في مرآته، وكل من يبغي الاقتداء به ليس إلاَّ ظلاً باهتاً من ظلاله(8).

أوسرك: احسنتم الوصف يا صاحب السمو!

هاملت : وشاهد القول يا سيدي؟ لمَ نحيط صديقنا النبيل بأنفاسنا الفجة؟

أوسرك : سيدي؟ ـ

هوراشيو: اتعجز عن الفهم بلسان آخر؟ سيدي، لاشك أن ذلك لن يستعصي عليك.

هاملت : وما المقصود من ذكر هذا النبيل؟

أوسرك : أتعني لرتيس؟

هوراشيو: (جانباً لهاملت): لقد فرغ كيسه وانفق ألفاظه الذهبية كلها.

هاملت : أياه أعني ياسيدي.

أوسرك : أنا أعلم أنك لاتجهل ـ

هاملت : ليتك تعلم، يا سيدي. ولكن وان تكن تعلم، فلن يهمني ذلك والله في كثير أو قليل.

أوسرك : إنك لاتجهل تفوق لرتيس ـ

هاملت : لا أجرؤ على الإعتراف بذلك لئلا أقارن به تفوقاً. إذا أجاد المرء معرفة غيره فقد عرف نفسه.

أوسرك : أعني بالسلاح يا سيدي. وبما يعزى إليه، إنه لاصنو له في

تفوقه.

هاملت: وما سلاحه؟

أوسرك: السيف والخنجر.

هاملت: ذانك اثنان من اسلحته. ولكن، حسناً.

أوسرك: لقد راهنه الملك على ستة من خيل البربر، مقابل (على مافهمت) ستة سيوف وخناجر فرنسية مع ملحقاتها، كالنطاق والسير وغير ذلك. والحق ان ثلاثة من هذه الحمائل لطيفة الصورة سريعة الاستجابة للمقابض. إنها حمائل منمنمة، سخية التنميق والتطريز.

هاملت: وما هي هذه التي تسميها بالحمائل؟

هوراشيو (جانباً لهاملت): كنت أعرف ستستنير بالشرح قبل أن تنتهي.

أوسرك: الحمائل ياسيدي هي السيور.

هاملت: لكانت اللفظة أدنى صلة بمدلولها لو استطعنا حمل المدافع على جوانبنا فأرجو أن نقول «سيور» حتى ذلك الحين. وبعد؟ ستة خيول بربرية مقابل ستة سيوف فرنسية مع ملحقاتها وثلاث حمائل سخية التنميق: ذلك هو الرهان الفرنسي مقابل الرهان الدانمركي. وما الداعي إلى هذه المقامرة؟

أوسرك: لقد راهن الملك على أن لرتيس في اثنتي عشرة جولة بينك وبينه لن يفوقك بأكثر من ثلاث اصابات [9] فأشترط اثنتي عشرة اصابة مقابل تسع اصابات[10] وهو يأمل أن تقام المبارزة في

الحال، إذا تكرمتم سموكم بالجواب.

هاملت: وإذا كان جوابي «كلا»؟

أوسرك: اعني يامولاي نزولكم إلى المبارزة.

هاملت: سيدي، سأتمشى هنا في القاعة، أن يأذن لي جلالته، فهذه الفترة من النهار عندي فترة الرياضة. فليأتوا بالسيوف، فإذا كان السيد مستعداً والملك متمسكاً بما يريد، سأكسب له المبارزة إذا استطعت. وإذا خسرت، فلن اكسب إلاَّ العار، وعدداً من الإصابات.

أوسرك: أأقول ذلك عنك؟

هاملت: قل ما معناه ذلك، بالحذلقة التي يشاؤها طبعك.

أوسرك: أرفع ولائي لسموكم.

هاملت: ولكم. (يخرج أوسرك) انه يحسن فعلاً برفع ولائه بنفسه، اذ لن ينطق عنه لسان آخر.

هوراشيو: هذا الفرخ ينطلق راكضاً وقشرة البيضة ما زالت على رأسه!

هاملت: لا ريب أنه تمسك بالآداب إزاء ثدي أمه قبل أن يرضع منه! انه وأمثاله من هذا الفصيل، ممن يعشقهم زمن الحثالات هذا لم يكتسبوا الا نبرة العصر ومظاهر اللقاء والتحية، وهي أشبه بعادات يغشاها الزبد والفقاقيع، تقلع بهم خلال كل رأي ذرته الريح وسفهه العقل. ولكن ما أن تنفخ عليهم لتمتحنهم حتى ترى فقاقيعهم تطير وتتلاشى.

(يدخل نبيل)

النبيل: مولاي، لقد بعث جلالته اليكم برسالة مع الفتى أوسرك فعاد ليقول انكم تنتظرونه في القاعة. وهو يبعث الآن إليكم ليسأل اما زلتم تودون منازلة لرتيس أم تؤثرون التريث؟

هاملت: إنني مقيم على ما نويت. وما نويت يتفق ومشيئة الملك. فإن يكن على أهبة، فإني، لكذلك الآن أو في أي وقت آخر، شريطة أن أكون معافى كما أنا الآن.

النبيل: الملك، والملكة، وكلهم، نازلون في طريقهم اليكم.

هاملت: أهلاً وسهلاً.

النبيل: والملكة ترجوك أن تقول للرتيس قولاً لطيفاً قبل البدء باللعب.

هاملت: إنها تحسن النصح.

(يخرج النبيل).

هوراشيو: مولاي، ستخسر هذا الرهان.

هاملت: لا أظن ذلك. منذ أن ذهبت إلى فرنسا وأنا في ران مستمر. سأكسب بما سيُحسب لي مسبقاً. الا أنك لن تعرف مبلغ الألم الذي هنا، حول قلبي. ولكن لاعليك.

هوراشيو: مولاي العزيز!

هاملت: مزاح ليس إلاَّ. بيد أنه ضرب من التوجس قد يقلق امرأة.

هوراشيو: إذا أعرضتْ نفسُك عن أي شيء أطعها. سأوقف مجيئهم إلى هنا، وأقول لهم أنك متوعك الصحة

هاملت: لا، قطعاً. إننا نتحدى العِرافة. حتى في سقطة السنونو حكمة إلهية خاصة: فإن حدثت الآن، فهي ما كانت لتحدث في الغد، وإذا لم تكن لتحدث في الغد، فهي حادثة الآن، وإذا لم تكن

الآن، فهي حادثة في الغد. الأهبة هي الكل، وما من انسان يملك شيئاً مما يخلفه. وماذا لو رحنا مبكرين؟

(يدخل حملة أبواق وطبول، ورجل يحمل وسادة مخملية، والملك والملكة ورجال الدولة، وخدم يحملون سيوفاً وخناجر، ولرتيس واوسرك. تتهيأ مائدة توضع عليها أباريق خمر)

الملك: تعال يا هاملت تعال، وخذ هذه اليد مني.

(يضع الملك يد لرتيس في يد هاملت)

هاملت: صفحك ياسيدي! لقد اسأت إليك،
فاصفح انك الرجل النبيل.
هذا الحفل يعلم،
وأنت لاشك سمعت، كيف أنني ابتليت
بخلاصة في العقل اليمة فإن كنت فعلت
ماقد يستفز الطبيعة والشرف والاباء
فها أنا على رؤوس الاشهاد أعلن أنه كان الجنون
أهاملت هو الذي أساء إلى لرتيس؟ أبداً لم يكن
ذاك هاملت.
فإذا أُخرج هاملت عن نفسه
ثم أساء، وهو ليس نفسه، إلى لرتيس،
فليس بهاملت من يأتي الإساءة وها هاملت ينكرها.
من الذي يأتيها اذن؟ جنونه. واذا كان الأمر
كذلك
فإن هاملت هو الطرف المساء اليه،

وما عدو هاملت المسكين إلاّ جنونه .
سيدي ، أمام هذا الجمع ،
دع تبرؤي من أي شرٍّ مبيت مقصود
يُنصع صفحتي في الكريم من خواطرك ،
كأنني رميت سهمي عبر الدار
فجرحت أخي .
لرتيس: لقد رضيت ، مع أن حافز الطبيعة
في هذه القضية يدفعني إلى طلب الثأر
أعنف الدفع . غير أني بنصوص الشرف
أقف منك على بعد ، ولن اقبل صلحاً
حتى يؤكد لي شيوخ القوم ممن عرفوا بالشرف ،
وقياساً على سوابق معروفة في (الصلح) ،
أن اسمي سيبقى سليماً من كل تجريح .
ولكنني حتى ذلك الحين
اتقبل ما عرضت من حب كحب
ولن أسيء اليه .
هاملت : وأنا اعانق ذلك منك ،
وألعب هذا الرهان الأخوي بطيبة خاطر.
هلموا اعطونا السيوف .
لرتيس: هيا ، سيفاً لي .
هاملت : سأكون الضد لك يالرتيس ، وبجهلي

ستتوهج براعتك إزائي نارية كالكوكب في الليل
البهيم.
لرتيس: إنك تهزأ مني يا سيدي.
هاملت: لا وحق هذه اليد!
الملك: ناولهم السيوف يا اوسرك. يا ابن أخي هاملت،
عرفت الرهان؟
هاملت: خير معرفة يا مولاي
لقد راهنتم جلالتكم على أضعف الإثنين.
الملك: لست أخشى ذلك. فقد رأيت كليكما.
ولكنه إذ تحسن، حسبنا لك مقدماً.
لرتيس (يروز سيفاً): هذا ثقيل. أعطني آخر.
هاملت: هذا جيد. هل هذه السيوف كلها من طول واحد؟

(يستعدان للمبارزة)

أوسرك: نعم يامولاي.
الملك: اجعلوا كؤوس الخمر على تلك المائدة.
إذا أصاب هاملت الإصابة الأولى، أو الثانية،
أو تعادل في الرّد في الجولة الثانية [11].
فلتطلق الأبراج كلها نيران مدافعها،
ولسوف يشرب الملك نخب هاملت
ويسقط في الكأس جوهرةً
أثمن من تلك التي لبسها في تاج الدانمرك

أربعة ملوك متعاقبين. أعطني الكؤوس،
ولينطق الطبلُ للأبواق
والأبواق للمدفعيين في الخارج،
والمدافع للسماء، والسماءُ للأرض:
«هاهو الملك يشرب نخب هاملت!» هلمّا ابدأ،
وأنتم أيها المحكّمون، اعملوا عينَ اليَقَظة!

(أبواق)

هاملت: هيا، يا سيدي.
لرتيس: هيا، يامولاي.

(يتبارزان)

هاملت: واحدة!
لرتيس: كلا!
هاملت: رأي الحَكَم؟
أوسرك: إصابة؟ إصابة واضحة جداً!
لرتيس: طيّب، من جديد.
الملك: انتظر! أعطني خمراً. هاملت، هذه اللؤلؤة لك!

(يسقط لؤلؤة مسمومة في الكأس التي سيقدمها لهاملت)

لنشرب نخبك! أعطه الكأس.

(طبل، وأبواق، ودويّ مدفع)

هاملت: سألعب هذه الجولة أولاً. اليكم عنّي بالخمر لحظة.
هيّا(يتبارزان) إصابة أخرى! ماذا تقول؟

لرتيس: لمسة، لمسة، اني اعترف.
الملك: ابننا سيكسب.
الملكة: إنه بدين[12] قصير النفَس.
هاك منديلي ياهاملت، وأمسح جبينك.
وها هي الملكة تعبّ الخمر تيمّناً!

(تتناول كأساً)

هاملت: سيدتي الكريمة!
الملك: غرترود، لا تشربي!
الملكة: سأشرب يامولاي. أرجو عفوك. (تشرب)
الملك (جانباً) إنها الكأس المسمومة. فات الأوان!
هاملت: لا أجرؤ على الشرب الآن. بعد قليل.
الملكة: تعال دعني امسح وجهك.
لرتيس: مولاي سأصيبه الآن.
الملك: لا أظن.
لرتيس (جانباً): ولكن يكاد يكون ذلك رغماً عن ضميري.
هاملت: هيّا إلى الثالثة يالرتيس. إنك تعبث.
أرجوك أن تطعن بأمهر عنفك.
اخشى أنك إنما تداعبني.
لرتيس: أذلك، قولك؟ تفضل (يتبارزان)
أوسرك: لا شيء لكليكما.
لرتيس: خذها الآن!

(لرتيس يجرح هاملت، ثم يتعاركان ويتبادلان السيفين،
فيجرح هاملت لرتيس.)

الملك: فرقوا بينهما. لقد غضبا!
هاملت: لا بل هيّا مرة أخرى.

(يقع لرتيس، وتقع الملكة وهي تحتضر)

أوسرك: اعتنوا بالملكة ياقوم!
هوراشيو: انهما ينزفان من على الجانبين. كيف أنت يا مولاي؟
أوسرك: كيف أنت يالرتيس؟
لرتيس: كعصفورة وقعت في شَركي، ياأوسرك.
لقد قُتِلتُ عدلاً بِغَدْري.
هاملت: كيف الملكة؟
الملك: اغمي عليها لرؤية النزيف.
الملكة: لا، لا، الشراب، الشراب، أواه حبيبي هاملت ـ
الشراب، الشراب! سمّوني! (تموت الملكة)
هاملت: يا للنذالة! كيف، كيف؟ أوصدوا الباب!
غدر، غدر! ابحثوا عنه!
لرتيس: إنه هنا ياهاملت. في قبضة المنية أنت،
ولن يسعفك في الدنيا دواء.
لم يبق فيك نصف ساعة من الحياة.
وسلاح الغدر في قبضتك أنت،
مسمومٌ غيرُ مفلولٍ. عليّ دارت

الخديعة النكراء. أنظر، ههنا رقدتُ،
ولن أقوم ثانية، وأمُّك سُمَّت.
لا أستطيع أكثر. الملك.. الملك.. هو الملوم.
هاملت: والنصل مسموم أيضاً!
إذن عليك به يا سم! (يطعن الملك)
الجميع: خيانة، خيانة!
الملك: دفاعاً عني ياصَحْب، ما أنا إلاَّ جريح.
هاملت: هاك أيها الدانمركي السفَّاك، الزاني، اللعين،
أجرع هذه الكأس. أجوهرتك هنا؟
(يقحم بقايا الكأس في فم الملك) إلحق بأمي!

(يموت الملك)

لرتيس: عقاب عادل.
إنه سمٌ هيأه بنفسه.
بادِلني الصفح والمغفرة، يا نبيل القلب، ياهاملت.
لا كان دمي على رأسك ولا دم أبي،
ولا كان على رأسي دمك. (يموت)
هاملت: غفرته لك السماء! سأتبعك.
لقد متُّ ياهوراشيو. وداعاً أيتها الملكة الشقية.
وأنتم يا من شحبت وجوهكم ورجفتم لما حدث،
أنتم المشاهدون، الممثلون الصامتون في فصلنا هذا:
لو اتسع لي الوقت (فهذا الموت شُرطيّ قاس

دقيق التنفيذ في إلقاء قبضه) لرويت لكم ـ
وليكن! هوراشيو، لقد مُتُّ
وستحيا: حدّث بالحقّ عني وعن قضيتي
كلّ من شك ولم يقتنع.
هوراشيو: لا وربك!
إنني من قدامى الرومان [13] أكثر مني دانمركياً.
في هذه الكأس بقيةٌ بعد.
هاملت: يمينا برجولتك
أعطني الكأس. أفلتها! والله لأخذنّها.
آه ياهوراشيو الكريم، مجرَّحاً سيظل اسمي بعدي
إن بقيت الأمور هكذا مجهولة.
فإن كنتَ احتويتني يوماً في قلبك
غيِّب النفس عن هناءتها ردَحا
وفي عالم الجور هذا استلَّ أنفاسك ألماً
لتروي قصتي.

(صوت خطوات عن بُعد. ودوي قذيفة من الداخل)

ما ضوضاء الحرب هذه؟

(يدخل أوسرك)

أوسرك: هذا فرتنبراس الفتّيّ، وقد عاد مظفراً من بولندا،
يطلق القذائف الحربية تحية
لسفراء انكلترا.

هاملت: إني أموت ياهوراشيو.
والسم الزعاف يعلو على النَفْس مني بصياحه،
فلن أعيش لأسمع الأنباء من انكلترا.
غير أني اتنبأ أن خلافة العرش ستستقر
على فرتنبراس، وأنا أهبه صوتي المحتضر،
فارو له عما جرى، عن الكبيرة والصغيرة،
ليعرفَ دوافعي. . . والبقية صمت وسكون. (يموت)
هوراشيو: ها هو ذا قلب كبير قد تصدع! طاب مساؤك يا أميري الحبيب،
وحملتك إلى راحتك الأبدية أسراب من ملائكة يرتلون!
ما الذي يدنو بهذا الطبل منا؟ (خطوات في الداخل)

(يدخل فراتنبراس، وسفراء انكليز، ومعهم جند ومرافقون، وألوية واعلام)

فرتنبراس: أين هذا المشهد؟
هوراشيو: ما الذي تروم مشاهدته؟
أويلاً وعَجباً عُجابا؟ كُفَّ عن بحثك إذن.
فرتنبراس: انه الصيد يصرخ بالقتل والدمار!
أيها الموت المصعِّر الخدَّ كِبرا،
أي وليمة ستولم في حجرتك السرمدية
حتى أصبت برميةٍ واحدة، هذا العديد من الأمراء
وسفكت هذا الدم كله؟
السفير الأول: ما أفضع المشهد!

وأمورنا وصلت من انكلترا متأخرة ،
والأذن التي يجب أن تصغى إلينا فقدت حسها .
لقد جئنا لنخبره بأننا صدعنا لأمره
وإن روزنكرانتز وغلدنسترن هما الآن في عداد الموتى .
من يشكر لنا ما فعلنا؟
هوراشيو : لاشفتاه ،
لو أن فيهما قدرة الحياة على الشكر لكما .
فهو لم يصدر قط امراً بموتهما .
غير أنكم إذ قدمتم وهذه المقتلة الرهيبة بين أيدينا ـ
أنتم من حروبكم البولندية ، وأنتم من بلاد الأنكليز ـ
اصدروا الأمر بوضع هذه الأجساد
على منصة رفيعة أمام أعين الملأ
ودعوني أحدث العالم الذي ما زال في جهله
كيف وقعت الأحداث هذه . ولتسمعون عندئذ
عن أفعال ملؤها الفجور والقتل والشذوذ ،
عن أحكام هي وليدة الصُّدف ، ومجازر عفوية ،
وجرائم قتل بالحيلة ومفتعل الحجج ،
وفي العقبى أغراض أسيء فهمها ،
حَلت برؤوس مبتكريها . كل هذا بوسعي
أن أروي حقيقته .
فرتنبراس : فلنسرع إلى سماعه

وندعُ إشراف القوم للأصغاء إليه
أما أنا فإنني بحزن اتلقى هبة القدر.
أن لي في هذه المملكة حقوقاً تذكرونها
تحثني الآن على المطالبة بمكاني بينكم.
هوراشيو: ولديّ ما سوف يدعوني. إلى الكلام في ذلك
عن شفتيه اللتين لن يجرّ الصوت فيهما نفسا
ولكن افعلوا ماذكرتموه الآن
وخواطر الناس بعد في هوجائها، لئلا يقع المزيد
في الأذى أخطاءً ومكائد.
فرتنبراس: ليتقدم أربعة من رؤساء الجيش
ويحملوا هاملت إلى المنصة كجندي،
لأنه لو كان اتيح له ان يُمتحن
لأبلى ولا ريب بلاء الملوك. ولوَفاتِهِ
أفصحي عنه يا موسيقى الجند ومراسيم الحرب
جَهْورَيًّا!
ارفعوا الجثمان، مشهد كهذا
خليق بساح القتال، ولكنه هنا في غير موضعه.
إذهب، ومُر الجنود بإطلاق المدافع.

(مسيرة حنائزية. ثم دويّ قذائف من الداخل)

انتهت

هوامش :

(1)عند شكسبير توريات لا يمكن نقلها الى العربية، هنا واحدة منها استعضت عنها بهذا العبارة .

(2)قابيل

(3) كانت العقود في عصر شكسبير تدون على رقوق .

(4) بليون من جبال تساليا في اليونان، كان يعلوه في العصور القديمة هيكل لزفس وعلى سفوحه غابة مكرسة له والأولمب سلسلة من الجبال تفصل بين تساليا ومقدونيا لعلو الأولب كانت قمتها في أساطير الإغريق تعد مسكن الآلهة .

(5) جبل آخر في تساليا في أساطير الإغريق أن العمالقة عند محاربتهم الآلهة أرادوا التسلق إلى السماء بتركيب «أصا» على «بليون» .

(6) في شخص أوسرك يتهكم شكسبير على بعض رجال بلاط الملكة اليزابث . فأوسرك يتكلم بتكلف وتصنع عُرف بهما أفراد حاشية القصر، لاسيما السيدات منهم .

(7) كانت آداب البلاط تقتضي أن يقف الادنى منزلة حاسر الرأس أمام من يعلوه منزلة، ولذا يرتبك أوسرك .

(8) هاملت هنا، بالطبع يقلد أوسرك في تنطعه ويسخر من أسلوبه ويكاد يفحم أوسرك .

(9) يبدو أن المبارزة تتألف من اثنتي عشرة «جولة» والجولة تحددها «الإصابة» الأولى، ويراهن الملك على هاملت بأن لرتيس لن يغلبه بأكثر من ثلاث إصابات فتبدأ المبارزة وقد حسب لهاملت مسبقاً ثلاث إصابات ازاء غريمه . ولو كان أوسرك أقل سخفاً في كلامه لقال أن الرهان هو بنسبة 12 إصابة للرتيس مقابل 9 لهاملت .

(10) الذي «اشترط» هو لرتيس .

(11) أي إذا رد على لرتيس في الجولة الثالثة أية إصابة قد يكون أصابها غريمه في الجولتين الأوليين .

(12) يعتقد أن المراد بهذه الصفة هو الإشارة إلى ريتشارد بيربج، الممثل العظيم الذي مثل دور هاملت أيام شكسبير. أو هل يمكن لمن كان في مزاج هاملت أن يكون بديناً؟

(11) كان النبلاء الرومان إذا أوشكوا على الوقوع أسرى يؤثرون الإنتحار.

الفهرس

عـطـيـل

شخصيات المسرحية

عطيل، مغربي نبيل، في خدمة دولة البندقية

Othello, a noble Moor, in the service of the Vennetain State

برابانتيو، شيخ، والد دزديمونة

Brabantio, aSenator, father to Desdemona

كاسيو، ملازم عطيل — Cassio, Othello's Lieutenant

ياغو، حامل علم عطيل — Lago, Othellos's Ancient

ردريغو، سيد من البندقية — Roderigo, Venetian gentleman

دوق البندقية — Duke of Venice

شيوخ آخرون — Other Senators

مونتانو، حاكم قبرص قبل عطيل

Montano, Othello's predecessor in the Government of Cyprus

غراتيانو، أخو برابانتيو — Grantiano, brother to Brabantio

لودوفيكو، من أقارب برابانتي — Lodovico, kinsman of Brabantio

مهرج، من خدم عطيل — Clown, Servant to Othello

دزديمونة، ابنة برابانتيو وزوجة عطيل

Desdemona, Brabantio's daughter and Othello's wife

اميليا، زوجة ياغو Emilia, lago's wife

بيانكا، غانية Bianca, a courtesan

بحار رسول، مناد، ضباط ، سادة، موسيقيون، موافقون
Sailors Messenger, Herald, Officers, Gentlemen, Musicians, Attendants,

الفصل الأول

المشهد الأول
شارع في مدينة البندقية ليلا

(يدخل ياغو ورودريغو)

رودريغو : خسئت ، وما تخبرني أبدا ! إني جدّ مستاء
لأنك ، ياغو، أنت الذي جعلت كيسي
كأن خيوطه ملك يديك ، تدري بهذا .
ياغو : ولكنك، ودم المسيح ، ترفض الاصغاء إليّ !
انا حتى لو حلمت بشيء كذاك ،
لك ان تهجرني .
رودريغو : قلت لي انك تكرهه .
ياغو : احتقرني ان لم اكن اكرهه . ثلاثة من وجهاء المدينة
نزعوا قبعاتهم لديه في التماس شخصي بأن
يجعلني ملازمه ، وأنا ، وحق الايمان ،
اعرف قدر نفسي ، ولا استحق منزلة أقل ،
غير أنه ، كمن يعشق خيلاءه ومراميه ،
يراوغهم بطنّان الألفاظ ،
وقد حشاها بمصطلحات الحرب حشوا ،

وفي النهاية
يرد على وسطائي التماسهم ، قائلاً «لأنني والله
سبق أن اخترت الضابط الذي أريد» .
ومن هو هذا؟
إي والله ، رجل حسابات هائل
يدعى ميخائيل كاسيو، فلورنسي [1]
غلام تكاد الزوجة الحسناء تكون وبالا عليه ، لم يُنزل يوما
فصيلا في ميدان ،
ولا يعرف من تنظيم الفرق في المعركة
أكثر مما تعرف امرأة عانس ، فيما عدا حذلقة النظريات
التي بوسع المستشارين ان يتحدثوا فيها ، وهم في أرديتهم ،
ببراعةٍ مثله . ثرثرة محض ، دونما خبرة ،
هي كل عسكريته . ولكنه ، يا سيدي ، تم اختياره .
وأنا ، الذي رأى امتحاني بأم عينيه
في رودس ، وفي قبرص ، وفي مضامير أخرى
مسيحية ووثنية ، يجب أن أحجب وأهدّأ
بهذا الدائن والمدين ، هذا الحاسب بالعداد .
وهكذا (ما شاء الله!) يصبح هو ملازمه ،
وأصبح أنا (تخزى العين!) حامل علم سيادته المغربية .
رودريغو : والله لكنت أفضل أن أكون جلّاده .
ياغو : لا علاج للأمر: انها لعنة الخدمة

لا يجرى الترفيع إلا بالمحاباة وكتب الوسطاء،
لابتدرج القدم، حيث يكون كل ثانٍ
خلفاً للأول. فاحكم بنفسك الآن يا سيدي
ان كنت أنا ملزماً عن أي إنصاف
بأن أحب المغربي
رودريغو: اذن، ما كنت لأتبعه.
ياغو: آ، صبراً، سيدي.
أنا انما أتبعه لكي احقق فيه غايتي.
ليس لنا جميعاً ان نكون اسياداً، ولا الأسياد جميعاً
باخلاص يُتبعون. لا بد أنك لحظت
الكثيرين ممن يتفانون ويثنون الرُّكبَ
مولعين بتخضعهم وعبوديتهم،
فيقضون العمر، كحمير سيدهم،
لا لشيء الا العلف. وعندما يشيخون، يُرفتون.
بالنسبة إليّ، فليجلد هؤلاء الأوفياء: ثمة آخرون
يرتدون من الواجب أشكاله ووجوهه،
ويبقون قلوبهم في خدمة انفسهم.
واذ لا يبدون لأسيادهم إلا مظاهرَ الخدمةِ،
يفلحون بهم، وعندما يملأون جيوبهم
لا يكرمون إلا أنفسهم. هؤلاء فيهم شيء من روح،
وأنا أعد نفسي واحداً منهم. وذلك يا سيدي،

بقدر ما انت واثق من انك رودريغو،
فانني واثق لو كنت أنا المغربي، لرفضت أن اكون ياغو [2].
وفي اتباعه، انما أنا أتبع نفسي.
ولتشهد السماء عليّ، أنا لا اتبعه حباً وواجباً،
بل متظاهرا بهما لمأربي الخاص.
فاذا ما دلل فعلي الخارجي
على ما في قلبي من صميم الفعل والغاية
بمسلك ظاهر، فلن يطول الزمان بي
حتى ارتدى قلبي فوق ردني
لينبش فيه كل غراب . . . أنا لست ما أنا.
رودريغو : ما أغناه حظاً غليظ الشفتين [3] هذا
اذ استطاع تحقيق ما أراده هكذا.
ياغو : ناد أباها،
ايقظه ـــ لاحقه [4]، سمم هناءه،
افضحه في الطرقات. أوغر صدور اقربائها،
وإن يقم في أخصب أرض،
عذّبه بالذباب. ان يكن فرحه فرحاً،
سلّط عليه من متغيرات الازعاج
ما يفقده بعض لونه.
رودريغو : هنا بيت أبيها. سأناديه صائحاً.
ياغو : افعل، بنبرة راعبة وصراخ رهيب

كما يفعلون عندما يبصرون عن غفلة، ليلا،
نيرانا مندلعة في المدن المكتظة بالناس.
رودريغو : اسمع يابرابانتيو!، سينور برابانتيو بانتيو اسمع!
استيقيظ يا برايانتيو لصوص، لصوص لصوص!
انتبه لبيتك، لابنتك، لأكياسك!
لصوص، لصوص!

(برابانتيو يطلّ من نافذة)

برابانتيو : ما الداعي لهذا النداء المخيف؟
ما الأمر هناك؟
رودريغو : سيدي، هل عائلتك كلها في الداخل؟
ياغو : هل أبوابك مقفلة؟
برابانتيو : وفيم السؤال؟
ياغو: وجروح المسيح، سيدي، لقد نهبوك! عيب! البس ثوبك!
قلبك انفجر، وروحك فقدت منها نصفها!
الآن، في هذه اللحظة عينها، ثمة كبش اسود كبير
يطأ نعجتك البيضاء. انهض، انهض!
ايقظ بالناقوس المواطنين الغاطين في نومهم،
والا جعل الشيطان جداً منك.
اقول لك، انهض!
برابانتيو : ماذا، هل فقدت عقلك؟
رودريغو : سيدي المبجل، أتعرف صوتي؟

برابانتيو : كلا . من أنت ؟
رودريغو : اسمي رودريغو.
برابانتيو : لا أهلا ولا سهلا!
لقد نهيتك عن التسكع حول أبوابي
وسمعتني أقولها بصدق ووضوح :
ابنتي ليست لك . والآن تأتيني مجنوناً ،
وقد امتلأت عشاءً وشرابا مزعزعا ،
وتتحداني حاقداً لتقلق راحتي
رودريغو : سيدي ، سيدي ، سيدي ـــ
برابانتيو: : ولكن عليك أن تثق
أنني بارادتني ومكانتي قادر على
جعلك تتمرمر لما فعلت .
رودريغو : صبرا ، سيدي الفاضل
برابانتيو : ما الذي تتقول به عن السرقة؟ هذه مدينة البندقية!
أتظن بيتي مزرعة؟
رودريغو : سيدي المحترم برابانتيو،
إني أجيئك بروح صادقة ، مخلصة .
ياغو : وجروح المسيح يا سيدي ، انك من قوم يرفضون
خدمة الله اذا الشيطان أمرهم بذلك . ولأننا جئنا لخدمتك
وتحسبنا أجلافاً ، سترضى لابنتك أن يعلوها حصان بربري .
سترضى لأحفادك أن يصهلوا لك . سترضى لأن تكون الأفراس

والخيول أبناء عمك وأقربائك .
برابانتيو : ومن تكون انت أيها التعس البذيء؟
ياغو : أنا سيدي رجل جاء يخبرك ان ابنتك
والمغربي الآن يفعلان فعلة الوحش ذي الظهرين .
برابانتيو : انت نذل .
ياغو : انت ــ شيخ .
برابانتيو: لأجعلنك مسؤولاً عن هذا ، أعرفك يارودريغو.
رودريغو: اجعلني ، سيدي ، مسؤولاً عما شئت ولكني أتوسل اليك ،
إن كان يحظى بقبولك وحكيم رضاك
(وهذا بعض ما أراه) ان ابنتك الحسناء
في منتصف الليل ، في ساعة الكرى هذه ،
قد انتقلت ، لايحرسها إلا حارس لا يتعدى بسوئه أو فضله
كونه غلاماً يستأجره الجميع ، صاحب جندول ،
إلى الاحضان الفاحشة من مغربي فاسق ــ
ان كان هذا معلوماً مسموحاً به لديك ،
فلقد أسأنا اليك تجرؤا ووقاحة .
ولكن ان كنت لا تدري به ، فان علمي باللياقة ينبئني
انك تعنّفنا عن خطأ . لا تحسب
انني ، نقيضاً لكل كياسة ،
استخف وأعبث هكذا بسيادتك .
ان ابنتك (ان لم تكن قد أذنت لها

اقولها ثانيا) قد أتت عصيانا فاحشاً ،
اذ ربطت واجبها ، جمالها ، ذكاءها ، مقدراتها ،
بغريب جوّال هائم على وجهه
هنا وفي كل مكان . اطلّع بنفسك فوراً .
فان كانت في مخدعها ، أو في منزلك ،
أطلق عليّ عدالة الدولة ،
لأنني خدعتك هكذا .
برابانتيو : هيا ، اقدحوا النار!
اعطوني شمعة! ايقظوا قومي كلهم!
هذا الحادث يشبه ما حلمت به ،
وجعل تصديقه يثقل عليّ ،
ضياء، ياقوم، ضياء!

(ينسحب من النافذة)

ياغو : وداعاً ، لأن عليّ أن أغادرك .
ليس لائقاً بي ولا مناسباً لمركزي
أن أستدعى شاهداً ضد المغربي
وهذا ما سيحدث ان بقيت . لأنني أعرف ان الدولة ،
مهما أوجعته بكبح ما ،
لن تستطيع طرده وهي آمنة . فهو مُقلعٌ ،
لأسباب خاصة ، الى الحروب القبرصية
التي هي في هذه اللحظة جارية ، وليس لديهم

انقاذاً لأرواحهم رجل آخر له قامته
لقيادة مهمتهم. ولهذا الاعتبار،
رغم اني اكرهه كما اكره آلام الجحيم،
لا بد لي، لضرورة عيشي الراهن،
أن أرفع علماً للحب وإشارة له،
وما هما حقاً الا إشارة للتأكد من العثور عليه.
قُدْ المستنفرين للبحث عنه إلى حانة «القوس»، (5)
وهناك سأكون أنا بصحبته. أذن، وداعاً!

(يخرج)

(يدخل بربانتيو، وهو في رداء الليل،

ومعه خدم يحملون المشاعل.)

برابانتيو : انه لشر أصدق مما كنت أخشى. لقد ذهبت.
وما تبقى لي من عمر مقيت
لن يكون الا المرارة. والآن، رودريغو،
اين رأيتها؟ — يا فتاة تعسة! —
مع المغربي، تقول؟ — من يريد أن يكون أباً؟ —
كيف علمت أنها هي؟ — آه، انها تخدعني
اكثر مما ظننت! — ماذا قالت لك؟ — مزيداً من الشموع!
أنهضوا اقربائي كلّهم! — أتعتقد أنهما تزوجا؟
رودريغو : اني أجزم بذلك.
برابانتيو : يا للسماء! كيف خرجت؟ يا لخيانة الدم!

أيها الآباء، منذ الآن، لا تثقوا بعقول بناتكم،
بل بما ترونهن يفعلن. اليست هناك رقى
لتضليل طبيعة الشباب والعذارى؟
الم تقرأ يا رودريغو عن أمر كهذا؟
رودريغو : بلى، يا سيدي، حقاً قرأت.
برابانتيو : ناد أخي ــ آه، ليتك أخذتها أنت! ــ
البعض في هذا الطريق والبعض في ذاك. ــ اتعلم
أين عسانا نلقي القبض عليها وعلى المغربي؟
رودريغو : أظن أن بوسعي أن اكتشفه، اذا تفضلت
باستصحاب حرس قوي ورافقتني.
برابانتيو : أرجوك سر بنا وسأنادي عند كل باب.
لي أن آمر أناساً في معظم المنازل ــ يا قوم تسلحوا!
واستنفروا بعض عُسُس الليل ــ
هيا، يا رودريغو الطيب . سأكون اهلا لاتعابك.

(يخرجون)

المشهد الثاني

أمام حانة القوس

(يدخل عطيل، وياغو، ومرافقون يحملون المشاعل).

ياغو : لئن أكن في صناعة الحرب قد أرديت رجالا،
فإنني أعتبر من مبادىء الضمير
ألا آتي القتل المدبّر. إني أفتقد أحياناً
شيمة الظلم في خدمتي. لقد خطر ببالي
تسع مرات أو عشراً أن أطعنه هنا، تحت الضلوع.
عطيل : الأفضل أن يبقى الأمر على ما هو.
ياغو : ولكنه راح يلغو،
ويتقول بكلام مشين مستفزّ
طعنا بشرفك،
حتى وجدتني بما في من قليل التعفف
لا أكف يدي عنه الا بأشد المشقة ولكن، ارجوك سيدي،
هل تزوجت شرعاً؟ تأكد
ان الشيخ الأكبر [1] محبوب جداً،
وإن لصوته قدرة على تنفيذ مشيئته ــ

فصوته باثنين، كصوت الدوق. سيطلّقك،
أو يفرض عليك من العوائق والمنغصات
ما يسمح به القانون، بأشد ما
بوسعه أن يستغله.
عطيل : ليفعل ما شاء له حقده،
فالخدمات التي قمت بها للدولة
ستعلو لساناً على شكواه. انهم يجهلون
ما سوف أذيعه ساعة أوقن
أن في التباهي شرفاً، لي وهو أنني
استمد حياتي وكياني
من أسرة ملكية السدّة، وأن مزاياي
بامكانها أن تخاطب، والرأس عالٍ، هذه المصاهرة السامية
التي أدركتها. فاعلم يا ياغو،
انني لولا حبي دزديمونة الكريمة
لما اقحمت حريتي الطليقة
داخل طوق وحدود، ولو أعطيت
ثروات البحر كلها.
ولكن أنظر أي أنوار قادمة هناك.
ياغو : هؤلاء هم الأب وصحبه المستنفرون.
الأفضل لك أن تدخل
عطيل : أبداً. أريدهم أن يلقوني.

أفعالي، ولقبي، وروحي النقية
ستبررني عن حق. هل هؤلاء هم؟
ياغو : لا والله، لا أحسب انهم هم.

(يدخل كاسيو، وضباط يحملون المشاعل).

عطيل : أخدم الدوق؟ وملازمي؟
سلام الليل عليكم، أيها الصحب!
ما الخبر؟
كاسيو : ان الدوق يحييك
أيها القائد،
ويطلب اليك المثول بين يديه بأسرع السرعة،
على الفور.
عطيل : وما الأمر، فيما تظن؟
كاسيو : تخميني أنه أمر ما من قبرص،
له بعض الشأن. فقد أرسلت البوارج
عشرة رسل أو أكثر تباعاً
هذه الليلة، على أعقاب بعضهم البعض.
والعديد من المستشارين أوقظوا واجتمعوا،
وهم الآن عند الدوق، وقد أرسلوا في طلبك حالاً،
وحين لم يجدوك في منزلك،
أرسل مجلس الشيوخ ثلاث فرق مختلفة
تبحث عنك.

عطيل : من الخير أنكم وجدتموني
لي كلمة أقولها في هذا المنزل ،
ثم اذهب معكم .
كاسيو : يا حامل العلم ، ما الذي يفعله هنا؟
ياغو : والله لقد اقتحم هذه الليلة سفينة برية .
فاذا تبين انها غنيمة مشروعة ، فقد أثرى الى الأبد .
كاسيو : لا أفهم .
ياغو : تزوج .
كاسيو : ممن؟

(يدخل عطيل)

ياغو: ولله من ـ هلّم أيها القائد . أتذهب؟
عطيل : هيا .
كاسيو : هذه جماعة أخرى جاءت تبحث عنك .

(يدخل برابانتيو، ورودريغو، وضباط يحملون المشاعل والأسلحة)

ياغو : انه برابانتيو. حاذر أيها القائد
لقد جاء يقصد السوء .
عطيل : يا أنتم! قفوا مكانكم!
رودريغو : سيدي انه المغربي .
برابانتيو : فليسقط اللص!

(يشهر الفريقان السيوف)

ياغو : انت ، رودريغو! تعال يا سيدي ، انا لك (7)

عطيل : اغمدوا سيوفكم اللامعة ، والا أصدأها الندى .
يا سيدي الكريم ، سنك أوقع أمراً
من أسلحتك .
برابانتيو : أنت يا لصاً بذيئاً ، أين أخفيت ابنتي؟
أنت الملعون ، لقد سحرتها !
لأنني سأسأل كل من يملك رشده
لو أنك لم تقيدّ ابنتي بأغلال من السحر
هل يعقل أن صبيةً مثلها رقيقةً ، حسناء ، سعيدةً ،
تصد عن الزواج ، متحاشيةً
كل عزيز ثري مرسل الشعر من أمتنا ،
ومن ثم تطلب أن تغدو اهزوءة الجميع ،
فتهرب من حُماتها إلى أحضان مخلوق
أسخم مثلك ــ ليفزعها ، لا ليمتّعها؟
وليحكم العالم : أو ليس من المعقول الظاهر
انك كدت لها ببذيء الحروز والرّقى
واحتلت على شبابها الغض بعقاقير أو معدنيات
توهن الادراك؟ . إني أطرح الأمر للنقاش .
فهو محتمل ، بل محسوس لمن يفكر.
ولذا فانني القي القبض عليك واحترزك .
متهماً اياك بأنك تخدع العالم ، وتمارس
فنوناً محرمة ، خارجة على الشرع والقانون .

امسكو به. وإذا قاوم
أخضعوه ولو لقي الأذى.
عطيل: كفوا أيديكم،
كلا الطرفين، من هم معي ومن هم عليّ.
لو جاء دوري للقتال، لعرفته
دون ملقّن. أين تريدني أن أذهب
لأدفع عني تهمتك؟
برابانتيو: إلى السجن، إلى أن يحين الوقت الملائم
للقانون وجلسة المحاكمة
فتُدعى للجواب.
عطيل: وماذا لو أطعت؟
كيف سيرضى الدوق بذلك،
وهؤلاء رسله حولي
يطلبونني اليه في مهمة آنية للدولة؟
ضابط: هذا صحيح، سيدي المبجل.
فالدوق في الاجتماع، وأنا واثق من أنه
أرسل في استدعائك.
برابانتيو: ماذا؟ الدوق في الاجتماع؟
في هذا الهزيع من الليل، خذوه معنا!
قضيتي ليست غير ذات شأن. والدوق نفسه
أو أي من إخواني في الدولة

عطيل

سيشعر ولا ريب كأنها هذا الاثم اقترف بحقه .
فأفعال كهذه ان سمح لها بحرية العبور
فلن يصبح رجالات دولتنا الا الاقنان وعبدة الأوثان .

(يخرجون)

المشهد الثالث

قاعة مجلس الشيوخ

(يدخل الدوق والشيوخ، ويجلسون إلى منضدة، مع الأنوار والمرافقين والحشم).

الدوق : هذه الأنباء لا تماسك فيها
يجعلها صادقة.
شيخ أول : حقاً إنها تتباين بأرقامها.
رسائلي تقول: مئة وسبعة مراكب
الدوق : ورسالتي تقول: مئة وأربعون.
شيخ ثان : ورسالتي تقول: مئتان.
ولكن ان لم تتفق عند التدقيق
(إذ في هذه الحالات عندما تُبنى التقارير على التخمين
فان الفروق في الأغلب واقعة بينها) فانها كلها تؤيد
ان ثمة أسطولا تركيا، وإنه متوجه إلى قبرص.
الدوق : أجل ذلك جد ممكن، ادراكا.
فأنا لن أجعل من الخطأ ما يطمئنني.
بل إني أصدق المحتوى الأساسي
بمعنى يثير المخاوف

بحار : (من الداخل) يا قوم! يا قوم! يا قوم!

(يدخل بحار)

ضابط : رسول من المراكب

الدوق : ها ، ما الأمر؟

بحار : التهيؤات التركية متجهة نحو رودس :

هذا ما أمرني السينيور آنجيلو.

بابلاغ الدولة .

الدوق : ما قولكم بهذا التغيير؟

شيخ أول : أي إعمال للعقل يثبت

أن هذا غير صحيح . ليس هذا إلا عرضا

لابقائنا في تطلّع خاطىء . عندما ننظر في

أهمية قبرص للأتراك

ونُفهم أنفسنا ذلك ،

إذ أنها تهمّ الأتراك أكثر من رودس ،

ويستطيعون احتلالها بعنتٍ أقلّ

لأنها ليست مثلها في وضع عسكري متحفز

وتعوزها كلياً الوسائل التي

تتحلى بها رودس ــ إذا تأملنا في ذلك ،

وجب علينا ألا نحسب أن الأتراك من الغفلة

بحيث يتركون حتى النهاية ما هو أول همّهم

فيهملون محاولةً سهلةً رابحة ،

الدوق : ليجازفوا بخطر لا طائل تحته .
ضابط : أجل، إني واثق أنهم لا يبغون رودس .
هنا المزيد من الأنباء

رسول : (يدخل رسول)

أيها الكرام المبجّلون، ان العثمانيين
بعد أن أبحروا رأساً باتجاه جزيرة رودس ،
انضمّوا هناك الى أسطول ثانٍ .
شيخ أول : نعم، كما فكّرت . كم سفينةً، في تخمينك؟
رسول : ثلاثون سفينة . وهي الآن تبحر
باتجاه العودة، قاصدة بمظهر صريح
جزيرة قبرص . ان السينيور مونتانو،
خادمكم الأمين الباسل،
يؤكد اخلاصه لكم طائعاً،
ويرجوكم ان تصدقوه .
الدوق : تأكدنا إذن أنهم يقصدون قبرص .
ماركوس لوتشيكوس، أليس هو في المدينة؟
شيخ أول : إنه الآن في فلورنسا .
الدوق : اكتبوا اليه منّا، مع أسرع الرسل .

(يدخل برابانتيو، عطيل، كاسيو، ياغو، رودريغو، وضباط)

شيخ أول : ها قد جاء برابانتيو والمغربي الباسل .
الدوق : عطيل الباسل! علينا في الحال ان نستخدمك

ضدّ العدو العثماني ، عدو الجميع .
(لبرابنتيو) لم المحك ! مرحبا أيها السيد الكريم
لقد افتقدنا مشورتك وعونك الليلة .
برابانتيو: كما افتقدت أنا مشورتكم وعونكم. أرجو العفو من فخامتكم.
لا منزلتي ، ولا ما سمعت به من أمر،
هو الذي انهضني من فراشي . ولا هو همّ الجميع
يملك علي نفسي ، لأن حزني الخاص
قدْ فاض وطغى حتى
التهم الأحزان الأخرى كلها ،
وما زال على حاله .
الدوق : عجباً ، ما الأمر؟
برابانتيو : ابنتي! آه ، ابنتي!
الكـــل : ماتت؟
برابانتيو : أجل ، بالنسبة اليّ!
لقد غُرّر بها ، وسرقت منّي ، وأفسدت
بُرقيً وعقاقير يبيعها الدجالون .
فأن تركب الطبيعة الشطط على هذا النحو الفاضح ،
دون أن تكون ناقصة ، عمياء ، أو عرجاء الادراك
أمرٌ مستحيل بغير السحر.
الدوق : مهما يكن هذا الذي خدع ابنتك
عن نفسها بهذا النهج الذميم ،

وحرمك منها، فان كتاب القانون الدموي [8]
ستفسره أنت بالحرف المرّ الواحد
كما تفهمه أنت. نعم، حتى ولو كان ولدنا
هو المتهم في قضيتك.
برابانتيو : بكل تواضع أشكر فخامتكم.
هذا هو الرجل ــ هذا المغربي، الذي يبدو
انكم الآن استحضرتموه بأمر خاص،
في شؤون الدولة.
الكـــل : يؤسفنا ذلك جداً.
الدوق : (لعطيل) وما الذي تقوله انت عن نفسك؟
برابانتيو : لا شيء، سوى ان الأمر كذلك.
عطيل : أيها الشيوخ الأقوياء، العقلاء، الموقرون،
يا سادتي النبلاء الذين عرفت فيهم الطيبة دوما،
أما أنني قد أخذت ابنة هذا الشيخ،
فصحيح جداً. وصحيح أنني تزوجتها.
وأقصى إساءتي انها
يبلغ هذا المدى، لا أكثر. خَشِنٌ كلامي انا،
وما وهُبتُه من لغة السلم الناعمة جدُّ قليل.
فمنذ أن اجتمعت في ذراعيّ هذين خلاصةُ سبع سنوات
الى ما قبل انقضاء تسع دورات للقمر، لم يُعملا
جهدهما الاّ في الميدان المخيّم.

قليل ما استطيع قوله عن هذه الدنيا
بما تتعدى علاقته بانجازات القتال والمعركة .
ولذا فاني أكاد لا أحسن لقضيتي
إن أنا تحدثت دفاعاً عن نفسي . ولكن إذا منحتموني
جميل صبركم
فاني سأسرد حكاية كلّ ما أتيتُه
من أمور الحب ، ببساطة ودونها تنميق ـــ
حكاية العقاقير والرقى
والسحر الباطش والتعازيم التي
غنمت بها ابنته ـــ لأنني انما
بانتهاج هذا السبيل متهم .
برابانتيو : عذراء حيّية أبداً ،
ساكنة الروح ، وديعتها ، حتى لتحمرّ خجلاً
من عواطفها ـــ و إذا هي ، رغم الطبيعة ،
والسّن ، والتصديق ، رغم كل شيء ،
تقع في غرام من كانت تفرع من النظر اليه !
انه لحُكمٌ مبتور شديد النقص
في من يُقرُّ بأن الكمال قد يشط هكذا
ضد قواعد الطبيعة كلها ، فيضطرُّ المرء
الى البحث عن مكايد جهنمية المكر
في تأويل ذلك . ولذا فانني أؤكد ثانية

أنه سيطر عليها بمزيج ما ،
يتحكم بالدم والهوى ،
أو شراب ما مشحون بالتعازيم .
الدوق : ليس الإصرار على هذا ببرهان ،
دونها أدلة أشد وضوحاً وأكثر وثوقاً
من هذه الألبسة الرقيقة والاحتمالات الواهنة
التي تكسو الظواهر العادية ، والموجّهة ضده
شيخ أول : ولكن ، تكلم يا عطيل .
هل أخضعت وسمّمت عواطف هذه الصبيّة
بوسائل ملتوية قاهرة؟
أم أن الذي جرى قد تمّ بالرجاء وجميل السؤال
مما تيسّره الروح للروح؟
عطيل : ألتمس اليكم
ان ترسلوا في طلب السيدة من حانة «القوس»
ودعوها تتحدث عني أمام أبيها .
فاذا وجدتموني آثما في روايتها
فإنني أتوسّل اليكم لا أن تنزعوا عني
الأمانة والوظيفة فحسب ، بل ليقع حكمكم
حتى على حياتي .
الدوق : احضروا دزديمونة هنا
عطيل : يا حامل العلم ، كن دليلهم . أنت أدرى بالمكان .

(يخرج ياغو واثنان أو ثلاثة من المرافقين)

وريثما تأتي، فاني كما أصدق للسماء
بالاعتراف بنواقص طبيعتي،
هكذا سأسرد بدقة، لآذانكم الموقرة،
كيف أفلحت في حب هذه السيدة الحسناء
وكيف أفلحت هي في حبي.
الدوق : قل، يا عطيل.
عطيل : كان والدها يحبني، وكثيراً ما يستضيفني.
ويسألني دوما عن قصة حياتي
من سنة الى سنة ـــ وما رأيته
من معارك، وحصارات، وتقلبات.
فرويت له كل شيء، منذ أيام الصبى
حتى اللحظة التي طلب فيها إليّ الكلام.
فتحدثت عن نوازل جد رهيبة،
وأحداث مثيرة من فيضانات وحروب:
عن النجاة مراراً بقيد شعرةٍ من الثغرة المهدّدة بالتهلكة،
عن وقوعي أسيرا في يد العدو الوقح،
الذي باعني عبداً، وكيف افتُديت بعد ذلك،
وما فعلته في أيام تجوالي وترحالي،
فأتيح لي الحديث عن كهوف هائلة وصحارى خاوية،
عن مقالع وعرة وصخور،

وشواهق تلامس رؤوسها السماء ــ
هكذا كانت حكياتي.
وعن أكلة البشر الذين يلتهم بعضهم البعض،
والانثروبوفاجيين[9]، وأناس تطلُع
رؤوسهم من تحت اكتافهم. بسماع هذا كله
شُغفت دزديمونة،
غير أن شؤون المنزل كانت بين الحين والحين
تشْغلها عني،
فتفرغُ منها بأعجل ما تستطيع،
لتعود من جديد، وبأذن نهمة
تلتهم حديثي. وأنا عندما لحظت ذلك،
اغتنمت ساعة مواتية، تمكنت فيها
من أن استخرج منها رجاء من القلب
بأن أسرد عليها حكاية ترحالي كلّها بتفصيل،
بعد أن كانت قد سمعت منها نتفا
دونما تركيز. ووافقت أنا،
وكثيراً ما استدررت دمعها
وأنا أروي لها عن هذه النكبة أو تلك
مما حلّ بي في شبابي. وكلما انتهت حكايتي
كافأتني على أتعابي بوابل من التنهدات.
وراحت تقسم قائلة إنها غريبة، في منتهى الغرابة

إنها مؤسية ، في غاية الأسى ،
وتمنّتْ لو أنها لم تسمعها ، ولكنها تمنّت
لو أن السماء جعلتها رجلاً مثلي . لقد شكرتني ،
وطلبت إليّ ان كان لي صديق يحبّها
أن أعلّمه كيف يروي قصتي
فيكسب بذلك ودها . فاغتنمت تلك الفرصة ،
وتكلمت .
لقد أحبتني لما عرفتُ من مخاطر،
وأحببتها لأنها أشفقت عليّ منها .
هذا هو السحر الوحيد الذي استخدمته .
وها هي السيدة قادمة . فلتشهد على ذلك .

(تدخل دزديمونة ، وياغو، والمرافقون)

الدوق : لعمري ان هذه الحكاية لكانت تكسب ودّ ابنتي أنا أيضاً .
يا برابانتيو الكريم ،
خذ هذه القضية المضطربة بحلمك .
فالناس يؤثرون استعمال أسلحتهم المكسورة
على استعمال أيديهم الجرداء .
برابانتيو : أرجوكم ، اسمعوها .
فاذا اعترفت بأنها قامت بشقّ من الغزل ،
فلينزل بي الدمار لأنني أنزلت شكواي الظالمة
بهذا الرجل . تعالي هنا ، أيتها الفاضلة .

هل ترين من هو الذي ، بين هؤلاء الكرام جميعاً ،
تدينين له بأكثر الطاعة؟
دزديمونة : أبي الكريم ،
إني أرى هنا واجباً موزعاً .
لك أنت ، أنا مدينة بحياتي وتربيتي ،
وحياتي وتربيتي كلتاهما تلقّناني
كيف احترمك . إنك سيد الواجب ،
وإلى هنا أنا ابنتك . . ولكن هنا زوجي .
وبقدر ما أبدت لك أمي من واجب
إذ آثرتك على أبيها ،
فإني أعلن حقي بأن اعترف
بواجبي للمغربي سيدي .
برابانتيو : استودعكم الله ! لقد انتهيت .
تفضلوا فخامتكم بالانصراف الى شؤون الدولة !
ليتني تبنيت ولدا ، لا من صلبي استولدته !
يا مغربي ، تعال هنا .
أني أهبك من قرارة قلبي
ما كنت من قرارة قلبي سأمنعه عنك
لولا أنك حصلته وانتهيت . (لابنته) ومن أجلك ،
يا جوهرة ،
تفرح نفسي ، لأن ليس لي غيرك من ولد .

لكان هربك يعلّمني الطغيان
فأوثق أولادي بالقيود. سيدي، انتهيت.
الدوق: دعني أتكلم كما لو كنتُ أنا أنت، وانطق بحكمة
قد تتقدم بهذين العاشقين خطوة
نحو رضاك.
إذا ما فات الدواء، انتهت الأحزان
برؤية الأسوأ الذي كان من قبل موضع خوف أو رجاء
وما البكاء على بليّة إذا مرّت وانتهت
إلا أقرب السبل الى الجديد من البلاء.
إذا عجزنا عن حفظ ما يأخذه الدهر منا
بصبرنا نجعل هزءاً من اذاه.
المسلوب إذا ابتسم يسرق من السارق شيئاً،
ويسلب نفسه من ينفق حزنا دون جدوى.
برابانتيو: إذن فلندع الأتراك يسلبون قبرص منا
فنحن لن نفقدها ما دام بوسعنا أن نبتسم!
ما أجمل ما يتحمل الحِكَم من لم يحمّل بشيء سوى
عزاءٍ بغير همّ، يسمعه من الحكم!
أما الذي عليه أن يستدين من فقير الصبر ليدفع للشجن،
فانه يتحمل معاً الأحزان والحِكَم.
أقوال الحكمة هذه إذ تُحلّي أو تمرمر،
لقدرتها وجهان، وتحوي النقيضين.

ما الكلمات إلا كلمات. فأنا ما سمعت يوماً
أن جراح القلب التأمت عن طريق الأذن.
أرجوكم الآن، عليكم بشؤون الدولة.
الدوق : ان الأتراك يتجهون نحو قبرص بأعظم العدد.
وقوة الموقع، أنت يا عطيل، خير من يعرفها.
لئن يكن لنا هنا والمعترف له جدا بالكفاءة
فان الرأي العام، وهو السيد الذي يتحكم بالنتائج،
يصوّت بأنك أنت الآن في مكانه.
ولذلك عليك أن ترضى
بأن تنال هذه الحملة الهوجاء الضارية
من بريق ما استجدّ في حياتك.
عطيل : لقد جعلت العادة المستبدة، أيها الشيوخ المبجلون،
من سرير الحرب بفولاذه وصوّانه
فراشي الناعم الريش والزغب. واني لأتبيّن
أني أجد في المشاق حافزاً
فطرياً وعفوياً، وأتعهد بقيادة
هذه المعارك الراهنة ضد العثمانيين.
ولذلك فانني بكل تواضع وانصياع لسلطتكم
أرجو منكم ترتيباً ملائماً لزوجتي،
وتعيين مسكن ومخصصات
تهيىء لها الراحة اللائقة

على المستوى الذي نشأت عليه .
الدوق : إذا أردت ،
فليكن ذلك في دار أبيها .
برابانتيو : لن أوافق على ذلك .
عطيل : ولا أنا أوافق .
دزديمونة : ولا أنا . لن أقيم هناك ،
فأقلق أفكار أبي
لأنني أما عينيه ، أيها الدوق الكريم ،
أعر أذنا راضية لما سأقول ،
عسى أن القى في تأييدك دعما
يعينني في بساطتي .
الدوق : ما الذي تبغين ، يا دزديمونة؟
دزديمونة : أما انني قد أحببت المغربي لأعيش معه
فان عنفي الصريح واقتحامي لمصيري
سيصدحان به كالأبواق للعالم . لقد عنا قلبي
حتى لمزيّة سيدي .
إني رأيت محيّا عطيلٍ في فؤاده ،
فكرستُ روحي ومصيري
لجرىء أفعاله وكل ما يرفع من شرفه .
فإذا تُركت وحدي ، أيها السادة الأعزاء ،
فَراشةَ سلْمٍ وهو للحرب قد مضى ،

فانني أحرم الحقوق التي من أجلها أحبّه
ولسوف أعاني ردحاً من الهم والأسى
لغيابه العزيز عني . . . دعوني أذهب معه .
عطيل : امنحوها أصواتكم ، أرجوكم يا سادتي ،
ولتشهد السماء إني لا التمس هذا
ارضاءً لحق لذاذتي ،
أو انصياعاً لدواعي الشهوة وتمتيع نفسي —
فشبق الشباب في قد خبا —
بل سخاءً حرّا تجاه أمنيتها .
ووقى الله أرواحكم الكريمة من أن تظنوا
أنني سأقصّر في مهمتكم الخطيرة الكبرى
لأنها برفقتي . لا ! فان تُغمضْ خفافُ الريش
من ألاعيب كوبيد المجنّح عينَ بصيرتي
عن مهماّتها بوقر المجون ،
فيضيرُ لهوي عملي ويفسده ،
فلتجعل ربّات البيوت مقلاةً من خوذتي
ولتجتمع نوازل الشَّيْنِ والعارِ
جيشاً على سمعتي !
الدوق : وليكن كما ستقرر أنت بينك وبين نفسك ،
إما أن تبقى أو تذهب معك . القضية تصرخ بنا
مستعجلة ، وما الجواب عليها إلا السرعة .

عليك بالرحيل هذه الليلة .
دزديمونة : هذه الليلة ، سيدي؟
الدوق : هذه الليلة .
عطيل : من كل قلبي .
الدوق : في التاسعة صباحاً سنجتمع هنا ثانية .
عطيل ، أترك وراءك ضابطاً
يحمل اليك أمرنا بتعيينك ،
مع غيره مما يتعلق بمنزلتك وقدرك
وله أهميته لك .
عطيل : حامل علمي ، ان تفضلتم فخامتكم .
إنه رجل شريف وأمين ،
واجعل زوجتي في سفرها برفقته
مع أي ضروري آخر تفكرون فخامتكم
بإرساله بعدي .
الدوق : وليكن هكذا .
طابت ليلتكم جميعاً . (لبرابانتيو) أيها النبيل ،
إذا الفضيلة لم يعوزها من الجمال ممتعُهُ
فان صهرك جميلٌ أكثرُ منه أسودَ بكثير.
شيخ أول : وداعاً ، أيها المغربي الشجاع ، عامل دزديمونة بالحسنى .
برابانتيو : انتبه لها ، يا مغربي ، ان كانت لك عينان تبصران .
أبوها خدعته ، ولربما أنت أيضاً خدعتك !

(يخرج الدوق والشيوخ والضباط .. الخ)

عطيل : بحياتي أراهن على اخلاصها : ياغو الأمين ،
عليّ أن أدع دزديمونتي في عهدتك .
أرجوك أن تجعل زوجتك مرافقة لها
وجيء بهما عند أفضل فرصة مواتية .
تعالي ، دزديمونة . ما عندي إلا ساعة واحدة
للحب ، والتوجيهات ، وأمور دنيانا ،
أقضيها معك . علينا أن نطيع طارئة الزمن .

(يخرج عطيل ودزديمونة)

رودريغو : ياغو!
ياغو : ماذا تقول ، يا قلب النبل؟
رودريغو : ماذا أفعل ، في رأيك؟
ياغو : إذهب الى فراشك ونم .
رودريغو : بل أني سأغرق في الحال .
ياغو : والله ان فعلت ، فلن أحبك أبداً بعدها الا تكن سخيفاً!
رودريغو: السخف هو أن يعيش المرء والعيش عذاب . وعندها لنا الحق في الموت إذا كان الموت طبيبنا .
ياغو : يا للعيب القد نظرت الى الدنيا ثماني وعشرين سنة . ومنذ أن جعلت أميّز بين المغنم والأذى ، لم ألق يوماً أحداً يعرف كيف يحب نفسه . قبل أن أقول سأغرق نفسي من أجل فرخة حبشية لكنت أفضل أن استبدل إنسانيتي بقرد .

رودريغو : ماذا أفعل؟ اعترف أن من العار أن أجن حباً هكذا، ولكن ليس بوسعي أن أصلح ذلك.

ياغو: بوسعك؟ هراء! إنما نحن في أنفسنا نكون كذا أو كذا أجسامنا بساتيننا، والبستانيون فيها إرادتنا. فإذا أردنا أن نزرعها بالقرّاص أو نبذرها بالخس، نُبقي على الزّوفى ونجتث الزعتر، نقصرها على نوع واحد من النبات أو نوزعها على أنواع ــ نصيبها بالعقم كسلا أو نمرعها بالخصب كدّا ـ فان الطاقة والقدرة على التصحيح قائمتان في إرادتنا. فاذا لم يكن في ميزان حياتنا كفة واحدة للعقل توازن كفة الشهوة، فان حقارات الدم في طبيعتنا تؤدي بنا الى أشنع النتائج. غير أن لدينا العقل لتبريد نزواتنا اللاهبة، ونوازعنا الجسدية، وشهواتنا غير الملجمة ــ وهذا الذي تدعوه بالحب إنما أراه قلامة أو فسيلة من ذلك كله.

رودريغو : مستحيل!

ياغو : ان هو إلا إحدى شهوات الدم وإباحات الارادة. كن رجلا، يا هذا! أتغرق؟ اغرق القطط والجراء العمياء! لقد اعترفت بأنني صديقك، وأقرّ بأنني مشدود الى جدارتك بحبال متينة لا تنفصم. وما بوسعي ان أخدمك يوماً أفضل من الآن. ضع نقودا في محفظتك. الحق بهذه الحروب، امسخ وجهك بلحية مغتصبة[10]. أقول

لك: ضع نقودا في محفظتك. لا يمكن لدزديمونة أن تُديم حبها طويلا للمغربي ـ ضع نقودا في محفظتك ـ ولن يمكنه أن يُديم هو حبه لها. كانت بداية عنيفة، وسترى فراقاً بعنف يضاهيها. ولكن ضع نقودا في محفظتك. هؤلاء المغاربة متقلبون في أهوائهم. أملأ محفظتك نقودا. هذا الطعام الذي يستعذبه الآن كالجراد [11] سيغدو له عما قريب مرّا كالعلقم. لا بد أن تستبدله هي بالشباب... عندما تتخم بجسده، سترى الخطأ في اختيارها. لا بد لها أن تستبدله، لابد ولذلك، ضع نقوداً في محفظتك. وإذا أردت أن تودي بنفسك، فلعلها بطريقة الطف من الغرق، إجمع كل ما لديك من نقود. وإذا لم تكن القدّسية والعهد الواهي بين بربري رحال وامرأة بندقية عميقة الدهاء، ليشقّا على ذكائي وكل من في جهنم من عشيرة، فانك لسوف تتمتع بها. ولذلك، إجمع نقودك. دعك عن اغراق نفسك: الأمر غير وارد قطعا. بل لكان الأفضل لك لو تشنق تحقيقا للذتك، من أن تغرق وتروح بدونها...

رودريغو: وهل ستلتزم بآمالي، ان أنا اعتمدت على النتيجة؟

ياغو: أنت واثق مني. إذهب، وجمّع النقود. لقد قلتها لك مراراً، وأعيد قولها مرة بعد أخرى: انني أكره المغربي. قضيتي عميقة في قلبي وقضيتك لها أسباب لا

تقل عمقاً. فلنتآزر معاً في انتقامنا منه. فاذا استطعت أن تركّب له قرونا، أوجدت متعة لنفسك ولهواً لي، ان في رحم الزمان أحداثاً كثيرة لا بد لها من ولادة. الى الأمام، سر! إذهب! أحضر نقودك. والى المزيد من هذا غدا. وداعاً!

رودريغو : أين نلتقي في الصباح؟

ياغو : في مسكني.

رودريغو : سأبكّر اليك.

ياغو : هيا، استودعك ــ رودريغو أتسمع؟

رودريغو : ماذا تقول؟

ياغو : لا حديث عن الغرق بعد الآن، أتسمع؟

رودريغو : لقد تغيّرت. سأذهب وأبيع أراضيّ كلها.

ياغو: هيا، استودعتك! ضع ما يكفي من النقود في محفظتك.

(يخرج رودريغو)

هكذا أجعل بهلولي محفظتي!
لكنت أدنس ما كسبته من معرفة
لو أنني قضيت الوقت مع سخيف كهذا
إلا للهوي وفائدتي. إني أكره المغربي.
لقد دار بين الناس أنه بين شراشفي
أدى مهمتي. لست أدري أصحيح هذا،
ولكنني لمجرد الريبة في أمر مثله

سأتصرف كأنني موقن به . . . هو يحسن الظّن بي ،
مما يسهل غايتي فيه . .
كاسيو رجل وسيم فلأر الآن :
كيف أحصل على مكانه ، فأحقق مشيئتي وأزهوها
بنذالة مزدوجة . كيف؟ كيف؟ لنر.
بعد قليل ، سأخدع أذن عطيل
بأن الكلفة بين كاسيو وبين زوجته مرفوعة بأكثر مما
ينبغي .
فهو له من الشخصية ونعومة الخطاب
ما يثير الشكوك ــ ولقد صيغ لدفع النساء الى الخيانة
والمغربي سمح الطبع ، صريحه ،
يحسب الناس شرفاء لمجرد إنهم يبدون كذلك ،
هو ليّن الانقياد من أنفه ،
كالحمير.
وجدتها! لقد تمّ الحَبَل ، وعلى جهنم والليل
أن يستولدا هذا الوحش لرابعة النهار!

(يخرج)

هوامش :

(1) كون كاسيو من غير أهل البندقية، ورجلاً يتقن الحسابات (لأن أهل فلورنسا معروفون بالتجارة) لا فنون القتال، يضيف إلى غضب ياغو، العسكري المحترف.

(2) أي أن ياغو هو دائماً نفسه، ولن يخدم إلا مآربه هو. وفي كلامه، ضمنا، انه بإخلاصه لرودريغو، إنما هو يخدم مآرب نفسه، غير انه يعلم ان ليس لرودريغو من الذكاء ما يجعله يدرك ذلك.

(3) لم يكن الاليزابيثيون يفرقون كثيراً بين أهل شمال افريقيا وبقية القارة، وكتابات معاصري شكسبير ملأى باشارات من هذا النوع في وصف «المغاربة».

(4) الضمير هنا يعود إلى موضوع الحوار، أي عطيل.

(5) حانة لها لافتة رسم عليها «ساجيتاريوس» «النبال» وهو قنطور (نصفه الأعلى إنسان، والآخر حصان) يشد قوساً أمسك في وسطها بسهم. وهو يمثل أحد أبراج النجوم الذي يطلق عليه العرب إسم «القوس».

(6) يقصد برابانتيو.

(7) ينفرد ياغو برودريغو، في الواقع، لا ليقتله، بل حفاظاً عليه من الآخرين، لأن «كيس» رودريغو تحت تصرف ياغو: وعلى المخرج ان ينتبه إلى ذلك ــ ويبرزه عند التمثيل.

(8) كان عقاب السحرة الاعدام، شنقا أو حرقا، في معظم أنحاء أوروبا لقرون طويلة.

(9) كلمة يونانية الأصل تعني «أكلة لحوم البشر»، وتستعمل هنا كأن عطيل يقصد بها قوماً معنيين في منطقة معينة.

(10) كان معظم الجنود يربون لحاهم. فالمعنى هنا مجازي، يقصد به ياغو: صر جندياً ولو تظاهراً.

(11) أغلب الظن إن الاشارة هنا الى يوحنا الذي كان يقتات على «الجراد والعسل».

الفصل الثاني

المشهد الأول (1)

مرفأ في قبرص . مكان مكشوف قرب الرصيف

(يدخل مونتانو وسيدان)

مونتانو : ما الذي تستطيع تبينه في البحر من الرأس؟
سيد 1 : لا شيء مطلقاً . . . طوفان شديد الهيجان .
وبين السماء واليّم لا أستطيع
ان أبصر شراعاً .
مونتانو : أحسب أن الريح صاحت عالياً في البرّ:
زعزعٌ أشدّ منها لم تهزّ يوماً شرفات قلاعنا .
وإذا كانت قد عاثت في البحر هكذا ،
أي أضلاع من السنديان ، حينما الجبال تذوب عليها ،
بوسعها أن تتماسك؟ أي نبأ سنسمع عنها؟
سيد 2 : تفرّق الأسطول التركي .
مما عليك إلا أن تقف على الشاطىء المزبد ،
لترى كيف تبدو الموجة المعنّفة كأنها تضرب الغيوم
ويبدو العُرام الجائش بالريح ، بغرره الوحشية العالية
كأنه يقذف بالمياه الثريا اللاهبة ، (2).

ويطفىء الفرقدين، حارسي نجمة القطب الثابتة.
أنا ما أحببت قط مشهد اصطخاب
اليمّ وقد غضب.
مونتانو : إذا لم يكن الأسطول التركي
قد لجأ الى خليج ما، فقد غرق.
من المستحيل ان يتحمل هذا كله.

(يدخل سيد ثالث)

سيد 3 : أنباء، يا قوم! حروبنا انتهت!
ضربت العاصفة اليائسة الأتراك
فتعثرت خطتهم. ان سفينة فارهة من البندقية
أبصرت رهيب الحطام والدمار
في معظم قطع أسطولهم.
مونتانو : كيف؟ أصحيح هذا؟
سيد 3 : السفينة راسية هنا،
السفينة فيرونية [3] وقد نزل الى البر
ميكيل كاسيو، ملازم المغربي المحارب عطيل،
والمغربي نفسه في البحر،
في طريقه الى قبرص هنا، بكامل التخويل.
مونتانو : اني فرح بذلك. فهو حاكم جليل.
سيد 3 : ولكن كاسيو هذا، رغم حديثه المنشرح
على خسارة الأتراك، يبدو حزيناً.

ويرجو الله أن يكون المغربي قد سلم، لأنهما افترقا
بفعل عاصفة هوجاء رهيبة.
مونتانو : أرجو الله كذلك.
لأنني خدمته، وهو يأمر
إمرة جندي حقيقي. لنذهب الى الساحل يا قوم،
لنرى السفينة التي رست،
ونتطلع كذلك بأعيننا نحو عطيل الشجاع.
الى أن نعجز عن التميز مشهدا
بين البحر وأزرق الهواء.
سيد 3 : هيا، لنذهب.
فكل دقيقة حبلى
بوصول جديد.

(يدخل كاسيو)

كاسيو : شكرا لكم، يا شجعان هذه الجزيرة المقاتلة،
لاستحسانكم المغربي. الا وَقَتْه السماء
عناصر الطبيعة.
لأنني فقدته في بحر زاخر بالمخاطر!
مونتانو : هل هو حسن السفينة؟
كاسيو : مركبه متين الأخشاب، وملاّحه
مجرّب مشهود له بالدراية.
ولذا فان آمالي، إذ لم تبلغ الموت شدة

قد تشفى على الأرجح. [4]

(صراخ من الداخل)

« شراع! شراع! شراع! »

(يدخل رسول)

كاسيو : ما الخبر؟
رسول : المدينة خالية. وعلى جبين البحر.
وقف الناس صفوفاً يهتفون: «شراع!»
كاسيو : آمالي تحدثني انه الحاكم.

(اطلاقة مدفع)

سيد 2 : انهم يطلقون اطلاقة التحية.
فهم على الأقل، أصدقاء.
كاسيو : أرجوك، سيدي، إذهب.
وجئنا بالخبر اليقين عمّن وصل.
سيد 2 : سأفعل.

(يخرج)

مونتانو : ولكن، أيها الملازم الكريم، هل لقائدك زوجة؟
كاسيو : محظوظ بها. لقد كسب فتاة
لا الوصف يدركها، ولا أعجب ما يروون عنها،
فتاةً تفوق ما تتغنّى الأقلام به من مزايا،
ولما حباها الخالق به من جوهر
يحار لها المبدع ويكلّ.

(يدخل السيد الثاني)

وماذا الآن؟ من الذي رسا؟
سيد 2 : رجل يدعى ياغو، حامل علمٍ للقائد.
كاسيو : لقد حظي بأسعد السرعة.
فالعواصف نفسها، بل البحار المتلاطمة، والرياح العاوية
الصخور المتآكلة والرمال المتجمعة،
وكل ما في البحر من خائنات تغلّ المركب البريء
لحسّها بالجمال، تتخلى
عن طبائعها القاتلة، وتدع دزديمونة الإلهية
تمر بها بأمان.
مونتانو : ومن هي؟
كاسيو : هي التي تحدثت عنها، قائدة قائدنا العظيم،
تركها بعهدة ياغو الجريء،
وقد استبق وصوله أفكارنا.
بسرعة سبع ليال... أيها العظيم جوبيتر، إحرس عطيل،
واملأ قلوعه بأنفاسك القوية.
ليبارك هذا الخليج بسفينته الفارعة،
ويلهث لهثات الحبّ السّراع بين ذراعي دزديمونة
ويجدّد النار في أنفسنا الخابية
ويجيء لقبرص كلها بالطمأنينة.

(تدخل دزديمونة، وياغو، واميليا، ورودريغو، مع مرافقين)

آه، أنظروا!
لقد نزلت نفائس السفينة الى البرّ!
يا رجال قبرص، اركعوا لها!
مرحباً بك، سيدتي! ولتُحطْ بك
نعمة السماء، من أمام ومن وراء،
ومن كل صوب!
دزديمونة : أشكرك، كاسيو الشجاع.
هل من نبأ لديك عن سيدي؟
كاسيو : لم يصل بعد. ولا أعرف شيئاً
سوى أنه بخير وأنه بعد قليل سيكون هنا.
دزديمونة : آه، ولكنني خائفة. كيف افترقتما؟
(من الداخل) : «شراع ! شراع !»
كاسيو : صراع البحر والسماء فرّق صحبتنا. ولكن أسمعي!
شراع! . . .

(اطلاقة)

سيد 2 : إنهم يرسلون التحية الى القلعة.
فهؤلاء أيضاً أصدقاء.
كاسيو : استطلع الخبر.
يا حامل العلم الكريم، مرحبا بك (لأميليا) مرحبا
بك، سيدتي.
حلمك عليّ، أيها الطيب ياغو،

إذ أبدي حسن تصرفي . فنشأتي هي التي
علمتني هذه الجرأة في أداء المجاملة . [5]

(يقبّل اميليا)

ياغو : سيدي ، لو أنها تعطيك من شفتيها
بقدر ما تهبني من لسانها ،
لحصلت على الكفاية .
دزديمونة : وا أسفاه ، لا كلام لديها !
ياغو : بل والله لديها ، أكثر مما ينبغي .
وأجده دائماً عندما أجنح الى النوم .
ولكنها أمام سيادتك ، فيما أعتقد ،
تضع لسانها بعض الشيء في قلبها
وتلقلق بفكرها !
اميليا : ما أقل ما لديك من سبب لقول هذا .
ياغو : هيا ، هيا ! انكن خارج بيوتكن صور ،
أما داخل حجراتكن فأجراس [6]، وفي مطابخكن
قطط وحشية .
في أذاكنَّ أنتنَّ قدّسيات ، وإذا استأتنّ فشيطانات ،
في أشغالكن المنزلية عابثات ، أما في الفراش فسليطات !
دزديمونة : يا عيبك ، يا هجّاء ! [7]
ياغو : بل والله صحيح ما أقول .
تنهضن للعب ، وتذهبن للفراش للشغل .

اميليا : لن أطلب منك يوماً كتابة في مدحي .

ياغو : لا، إياك!

دزديمونة : لو أنك أردت مدحي ، ما الذي ستكتب عني ؟

ياغو : يا سيدتي اللطيفة ، لا تجبريني ،

لأنني لست شيئاً إن لم أكن ناقداً .

دزديمونة : هلّم ، حاول ــ هل ذهب أحد الى المرفأ؟

ياغو : نعم ، سيدتي .

دزديمونة : لست مرحة ، غير أني أخادع

ما أنا فيه ، بتظاهري بما أن لست فيه .

هيا ، كيف تمدحني ؟

ياغو : إني أفكر. غير ان إبداعي

ينجم عن يافوخي ، كدبق الصيد ينجم عن الصقيع ،

فينتف الراس مع الريش! ولكن ربة شعري في مخاض ،

وها هي تلد :

إن تكن حسناء وعاقلة ، كان لها الحُسن والعقل معاً :

الحسن هي تستعمله ، والعقل يستعمل الحسن .

دزديمونة : نعم المديح ! وان تكون سوداء وبارعة؟

ياغو : ان تكن سوداء وبارعة ،

وجدت فتى أبيض لها يلائم منها السواد .

دزديمونة : من سيىء الى أسوأ!

اميليا : وان تكن حسناء وبلهاء؟

ياغو : ما كانت بلهاء يوماً من كانت هي الحسناء ـ
حتى البلاهة ستعينها على انجاب طفل لها .

دزديمونة : هذه أضداد سخيفة قديمة تجعل المهابيل يتضاحكون في الحانة. أي مدح بائس ستقول إذن في من هي قبيحة وبلهاء؟

ياغو : ما من قبيحة وبلهاء معاً ،
إلا وتلعب الألاعيب التي تلعبها الحسان العاقلات .

دزديمونة : يا لغباوة الجهل! انك تقول أحسن المديح في أسوأ النساء. فأي مديح بوسعك أن تقوله في امرأة جديرة حقاً بالمديح؟ ـ امرأة لها من فضيلة الجدارة ما يجعل حتى الحاقد يشهد لها عن حق؟

ياغو : من كانت حسناء دوماً لكنها ترفض الخيلاء ،
لسانها طوع إرادتها لكنها لا ترفع صوتها
لا يعوزها الذهب يوماً لكنها لا تتبهرج ،
تحجم عن رغبتها لكنها تقول «بوسعي لو أردت» ،
تلك التي إذا غضبت ودنت من انتقامها ،
أبقت أذاها لنفسها وصرفت عنها سخطها ،
تلك التي ما وهن حكمها يوما
لتستبدل الذيل الطازج بالرأس العفن
تلك التي تستطيع التفكير ولا تكشف عما في ذهنها ،
ترى الخُطّاب في إثرها ولا تنظر خلفها ،

فإنها امرأة، ان كان ثمة امرأة مثلها ــ

دزديمونة : تفعل ماذا؟

ياغو : تنهمك بالتوافه ولا تُرضع الا البُلهاء!

دزديمونة : يا لها من نهاية عرجاء ركيكة! لا تتعلمي منه يا اميليا، وان يكن زوجك. ماذا تقول يا كاسيو؟ الا تراه ناصحاً مستهتراً ماجنا؟

كاسيو: انه يقول الحقائق، سيدتي. ولكن لعلك ستؤثرينه جندياً أكثر منه أديباً عالماً.

ياغو : (جانبياً) : ها هو يأخذ كفّها. أي والله، أحسنت! اهمس ! بنسيج ضئيل كهذا سأصطاد ذبابة كبيرة ككاسيو . نعم ، ابتسم لها ، ابتسم ! سأجعل من مجاملاتك أغلالك. صحيح ما قلت، حقاً نطقت! (8) إذا كانت خدع كهذه ستجرّد عنك رتبة الملازم، فلسوف تتمنى لو أنك لم تكثر من تقبيل أصابعك الثلاث (9)ــ الذي تستعد به الآن للعب دور السيد الكبير . حسناً جداً ! حسناً تقبّل! مجاملة رائعة! صحيح ما قلت. امرةً أخرى أصابعك على شفتيك؟ ليتها كانت أنابيب حقنة لك (نفير من الداخل) المغربي! اعرف نفيره.

كاسيو : هذا صحيح، حقاً.

دزديمونة : فلنقابله ونرحب به.

(يدخل عطيل مع مرافقين)

كاسيو : أنظروا ، ها هو آت !
عطيل : يا محاربتي الجميلة !
دزديمونة : عطيلي الغالي !
عطيل : يدهشني بقدر ما يسعدني
ان أراك هنا أمامي . يا فرحة الروح مني !
ان تُعقِب كلَّ عاصفة هجعة كهذه ،
فلتهبَّ الرياحُ حتى توقظ الموت !
وليرْقَ المركب المكافح جبالاً من الموج
شامخةً كالأولمب ، وليهبط بعدها
هبوط الجحيم عن السماء ! لو كان لي أن أموت الآن ،
لكان لي الآن أسعد الموت . فأنا أخشى
ان روحي قد عرفت من السعادة منتهاها
بحيث ان هناءة أخرى كهذه
لن تليها في مصيري المجهول .
دزديمونة : لا سمح الله إلاّ
بزيادة حبّنا وهناءاتنا
كلما تنامت الأيام بنا !
عطيل : رباه ، آمين
لن أكف حديثا عن هذه السعادة .
إنها توقفني هنا ، فرحاً هائلاً .
(يقبّلها) لتكن هذه ، وهذه ، أعظم النشاز

الذي يصنعه قلبانا!

ياغو : (جانبيا): آه، انكما متناغمان الآن!

غير أني سأرخي مفاتيح هذه الموسيقى(10)

هذا الأمين الذي هو أنا!

عطيل : هيا بنا الى القلعة.

أنباء، أيها الصحب! حروبنا انتهت. لقد غرق

الأتراك. كيف حال صديقي القديم في هذه الجزيرة؟

يا حلوتي، ستجدين ترحيباً حاراً في قبرص.

فقد وجدت حباً كبيراً فيهم يا سكّرتي،

اني أثرثر كما لا يليق بي، وأهذي

عن هناءتي. ياغو الكريم، أرجوك،

إذهب الى المرفأ وانزل حقائبي.

وأحضر الرّبان الى القلعة.

إنه ربّان طيب، وكفاءته

تستدعي الاحترام الكثير. هيا، دزديمونة،

مرة أخرى، مرحباً في قبرص.

(يخرجون جميعاً، فيما عدا ياغو ورودريغو)

ياغو: (لأحد المرافقين وهو يخرج): قابلني في المرفأ بعد

قليل. تعال هنا. ان كنت شجاعاً (إذ يقولون ان

الوضعاء حين يعشقون يتحقق في طبيعتهم من النبل أكثر

مما هم فطروا عليه) اصغ الي. سيقوم الملازم هذه الليلة

بالخفارة في مقر الحرس. أولاً، يجب أن أقول لك هذا:
دزديمونة نفسها غارقة في حبه.

رودريغو: في حبه؟ مستحيل.

ياغو: ضع أصبعك هكذا، ودع روحك تتعلم. لاحظ العنف الذي عشقت به المغربي لا لشيء إلا لتبجحه وروايته لها غرائب الأكاذيب. وهل ستعشقه عند الفراق الى الأبد؟ صن قلبك الفطين عن ظن كهذا. لا بد لعينها من أن تطعم: وأي متعة لها في النظر الى شيطان؟ عندما يتبّلد الدم بفعل المجون، لا بد له، لكيما يلتهب وتعطي التخمة شهية جديدة، من الجمال في التقاطيع، والتجانس في السن والعادات والمفاتن، وهذه كلها تعوز المغربي. وحين تفتقد هي هذه الانسجامات الضرورية، فانها ستجد برهافتها ورقتها، إنها قد خدعت، فتصاب بالغثيان، وتمج المغربي وتمقته.

الطبيعة نفسها ستلقّنها ذلك وتكرهها على اختيار آخر، والآن، سيدي، إذا سلمنا بهذا (لأنه فرضية جاهزة وبديهية جداً). من يقف عالياً على درجات هذا الاقبال كما يقف كاسيو؟ وغد ذرب اللسان، لا يتورع ضميره بأكثر من التظاهر بمظهر الدماثة والكياسة ليجيد تحقيق الخفي من أهوائه الماجنة الداعرة.

وغد ناعم. حيّال، يحسن انتهاز الفرص. له عين

تختلق المناسبات وتصطنعها حتى وان لم تواته المناسبات الحقيقية. وغد شيطاني! وفضلاً عن ذلك، فان هذا الوغد وسيم، فتي، تجتمع فيه المتطلبات كلها التي تتوق اليها الأنفس الغريرة العابثة. وغد كامل كالوباء! وصاحبتنا قد فهمته الآن.

رودريغو : لا أستطيع أن أصدق ذلك فيها. إنها ملأى بأقدس الصفات.

ياغو : أقدس الهواء! الخمر التي تشربها إنما صنعت من الأعناب. ولو كانت قدّست بشيء، لما أحبّت المغربي. أما رأيتها تجذف بكف يده؟

رودريغو : نعم، لاحظت. ولكن تلك كانت مجاملة.

ياغو : بل فجور، وحق هذه اليد! إنها المقدمة والتوطئة المكتومة لتاريخ الشهوة والخواطر الفاسقة. لقد اقتربا بشفاههما حتى تعانقت أنفاسهما. خواطر شريرة، يا رودريغو! عندما تقود السير هذه المتبادلات، سرعان ما تأتي العملية الرئيسية الأساسية: النهاية الجسدية. أف! ولكن، سيدي، إفعل ما أوصيك به. فأنا الذي احضرتك من البندقية. شارك في الحراسة الليلية ــ أما الأمر فسأدبره لك. كاسيو لا يعرفك. ولن أكون أنا بعيداً عنك. اخترق فرصة لاغضاب كاسيو، إما بالكلام صياحاً أو بالغض من إنضباطه، أو بأي نهج آخر يروق

لك مما قد تهيئه الساعة لصالحك .

رودريغو : طيـــب .

ياغو : مولانا ، إنه نزق وعنيف جداً إذا غضب ، ولربما ضربك بعصاه .

استفزّه لذلك . . . لأنني ، حتى اعتمادا على هذا سأجعل القوم في قبرص يتمرّدون . ولن يكفوا عن تمردهم إلا إذ فُصل كاسيو. وهكذا تختصر رحلتك الى أمانيك بالوسائل التي سأسهل عندئذ أمورها ، فتزول العقبة ، ولنا أكبر مغنم . وإلا فلا رجاء لنا في فلاحنا .

رودريغو : سأفعل ذلك إذا استطعت أن أتحيّن له الفرصة .

ياغو : أؤكد لك . قابلني بعد قليل في القلعة . عليّ أن أجلب امتعته الى البر.

وداعاً .

رودريغو : وداعاً . (يخرج)

ياغو : أما ان كاسيو يحبها ، فأني أصدق ذلك .

أما أنها تحبه . فأمر محتمل وقابل جداً لليقين .

والمغربي (مهما أكن لا أتحمله)

ذو طبع نبيل ، محب ، وفّي ،

ولا أحسب إلا أنه سيكون لدزديمونة

زوجاً جدّ عزيز. والآن فاني أنا أيضاً أحبها .

لا لشهوة مني مطلقة (ولو انني

قد أعدّ مسؤولاً عن اثم لا يقل عنها)
ولكن لبعض من سبب يحدوني الى تغذية انتقامي ،
لأنني أشتبه في أن المغربي الفحل
قد قفز الى مقعدي. وهذه الفكرة
كالمعدن السامّ تقرض عليّ أحشائي.
ولن يريح نفسي شيء
حتى أتعادل معه، زوجةً بزوجة.
وإذا أخفقتُ في ذلك، سأدفع المغربي
على الأقل الى غيرة عاتية.
لا يشفيه منها حُكم ولا عقل. وتحقيقا لذلك،
إذا كان هذا الحقير البندقيّ، الذي أكبحه الآن عن التسرّع في
صيده، سينجح ساعة أطلقه.[11]
فاني سأمسك بميكيل كاسيو من وركه،[12]
وأذمّه للمغربي بأشنع شكل،
(لأنني أخشى من كاسيو على منامتي أيضاً)،
فأجعل المغربي يشكرني، ويحبني، ويكافئني
على جعلي منه حمارا رقيعا
وتآمري على طمأنينته وراحته
حتى الجنون. انها هنا (مشيراً الى رأسه)، ولكنها مهزوزة.
فوجه النذالة لا يتضح إلا عند تنفيذها.

المشهد الثاني

شارع في قبرص

(يدخل منادي عطيل، وهو يقرأ بياناً، والناس من حوله)

المنادي: الآن وقد بلغتنا أنباء تتحدث عن هلاك الأسطول التركي بكامله، فانها مشيئة عطيل، قائدنا الباسل النبيل، ان يحتفل الجميع بالنصر، البعض بالرقص، والبعض باشعال الحرائق، وكل امرىء بما يشاء له هواه من قصف ولهو. فضلاً عن أنباء الخير هذه، فان الاحتفال هو أيضاً بزفافه. هذا ما أرادت له مشيئته أن يعلن عليكم. مرافق الطعام كلها مشرعة، وللجميع مطلق الحرية في الاحتفال من الساعة الخامسة هذه الى أن يدق الجرس إحدى عشرة ساعة. باركت السماء جزيرة قبرص. وقائدنا النبيل عطيل!

المشهد الثالث

قاعة في القلعة

(يدخل عطيل. دزديمونة)

عطيل : يا ميكيل الكريم ، أشرف على الحراسة الليلة .
لنعلّم أنفسنا ذلك التوقف الشريف
فلا نغّلب العبث على الفطنة .

كاسيو : لدى ياغو توجيه بما عليه أن يفعله .
ولكن رغم ذلك سأشرف على الأمر
بعيني أنا

عطيل : ياغو أمين جداً .
ميكيل ، تصبح على خير، بكّر جداً غداً
ودعني أتحدث اليك ــ هيا بنا ، حبيبتي العزيزة .
إذا ما البيع تمّ ، تلته الثمار،
وذاك الربح سنجنيه بيني وبينك بعد ــ
تصبح على خير.

(يخرج عطيل ودزديمونة ، يدخل ياغو)

كاسيو : مرحباً ، ياغو، علينا بالحراسة .

ياغو : لساعة أخرى، أيها الملازم. فالساعة لم تبلغ العاشرة بعد. وما صرفنا قائدنا مبكّرا إلا حبا بدزديمونته. ولذا، فلن نلومه. لم يماجن الليل معها بعد، وهي لعبة تليق حتى بجوبيتر.

كاسيو : إنها سيدة بديعة جداً.

ياغو : وأراهن أنها شغوف باللعب.

كاسيو : حقاً، إنها مخلوقة نضرة ومرهفة جداً.

ياغو : يا لعينها! يخيّل إليّ إنها تصدح دعوة للحوار بعد الاستفزاز.

كاسيو : عين مغرية، ولكن يخيّل إليّ أنها ملأى بالخفر.

ياغو : وحين تنطق، أليس نطقها استنفارا للحب؟ (13)

كاسيو : إنها الكمال حقاً.

ياغو : هنيئاً لفراشهما! تعال يا ملازم، لديّ ابريق خمر، وفي الخارج هنا نفر من فتية قبرص يطيب لهم أن يشربوا نخب صحة الأسود عطيل.

كاسيو: لا هذا المساء، يا ياغو الكريم. لي رأس ضعيف شقي تجاه الشرب. لكنت أتمنى لو أن المجاملة تبتكر عادة غير هذه للمؤانسة.

ياغو : أوه، إنهم أصدقاؤنا. كأس واحدة، لا غير، أنا سأشرب عنك.

كاسيو: شربت الليلة كأسا واحدة لا غير، وحتى تلك خفّفتها

خلسة. وانظر ما سببته هنا من تغير! اني سيىء الحظ في هذا الضعف ولا اجرؤ على تحميل وهني هذا بالمزيد.

ياغو : ماذا يا رجل! إنها ليلة احتفال. والفتية يريدونها.

كاسيو : أين هم؟

ياغو : هنا، بالباب، أرجوك أن تدعوهم.

كاسيو : سأدعوهم، ولكن ضد رغبتي.

(يخرج)

ياغو : إذا استطعت أن ألصق به ولو كأسا واحدة،
إضافة الى ما سبق أن احتساه هذه الليلة،
فلسوف ينزع الى الشجار والمهانة
ككلب أية فتاة. وهذا الأحمق المدنّف رودريغو،
الذي كاد الحب يقلبه بطنا لوجه،
لقد شرب الليلة نخب دزديمونة
أقداحاً من الابريق حتى قرارته. وعليه أن يقوم
بالخفارة.
لديّ ثلاثة شباب من قبرص، ذوي نبل وكبرياء،
يعزّ عليهم شرفهم ولو من بعيدٍ حذر —
إنهم من معدن هذه الجزيرة المحاربة —
وقد شوّشتُ عليهم أمرهم الليلة بكؤوس تدور،
وهم أيضاً في الخفارة. بين هذا القطيع من السكارى
سأدفع كاسيو الى فعلة ما

تستاء لها الجزيرة .

(يدخل مونتانو وكاسيو، وآخرون)

ها هم قادمون .
إذا العقبى حققت لي حلمي ،
أبحر زورقي حرا ، ريحا ومجرى .
كاسيو : والله لقد سقوني كثيراً هذه الليلة
مونتانو : بحياتك ، واحدة صغيرة . كأسا لا أكثر،
قسماً بجنديتي .
ياغو : هاتوا خمرا ، يا قوم :

(يغني)

ودعني بالاقداح أدق القدح
بالاقداح دعني أدق القدح ،
الجندي إنسان ،
وحياة الانسان شبرٌ طولها
فليشرب الجندي ويمرح !
هاتوا خمراً ، يا قوم !
كاسيو : أغنية ممتازة ، والله !
ياغو : تعلمتها في انكلترا ، وهم هناك أقوياء
في معاقرة الابريق . فالدانمركي ، والألماني ،
والهولندي المكوّم الكرش ـــ خمرا ، يا قوم ! ـــ
ليسوا شيئاً بالنسبة الى الانكليزي .

كاسيو : هل الانكليزي بارع هكذا في الشرب؟

ياغو : بإمكانه بيسر أن يساقي الدانمركي حتى موته سكرا، ولا يعرق جهدا في التغلب على الألماني ويجعل الهولندي بقيء قبل ملء الابريق التالي.

كاسيو : نخب قائدنا!

مونتانو : أنا معك، يا ملازم، وسأعطي النخب حقه.

ياغو : أيتها الحلوة انكلترا!

(يغني)

كان الملك اسطيفان نبيلا ثرياً
كلفه سرواله ديناراً فقط
فاعتبره أغلى بدرهم مما يجب
وصاح بالخياط قائلاً: «آه يا نذل!»
وهو كان رجلا رفيع القدر والسمعة
وأنت من أخفض الطبقات ــ
وهل خراب البلد الا بالاسراف والعنجهية؟
قم إذن و البس عباءتك القديمة ــ(14)
خمرا يا قوم!

كاسيو : هذه والله أغنية أبدع من السابقة.

ياغو : أتوّد سماعها ثانية؟

كاسيو : لا، فأنا أعتبر من يفعل أمورا كهذه غير أهل لمكانته.

على كل، فالله فوق الجميع، وهناك أنفس يجب
انقاذها، وأنفس يجب ألا تنقذ.

ياغو : صحيح، يا ملازم.

كاسيو: أما أنا ــ ولا أقصد الإساءة الى القائد أو أي شخصية بارزة ــ فآمل أن أنقذ.

ياغو : وأنا أيضاً يا ملازم.

كاسيو: نعم، ولكن ــ إذا أذنت ــ ليس قبلي، فالملازم يجب انقاذه قبل حامل العلم. لنكفّ عن هذا، وعلينا بشؤوننا. ليغفر الله لنا خطايانا! يا سادة، لننصرف الى شؤوننا. لا تظنوا يا سادة انني سكران. هذا حامل علمي. هذه يدي اليمنى، وهذه اليسرى. أنا لست بسكران الآن. بإمكاني أن أقف حسناً، وأتكلم حسناً، بما فيه الكفاية.

حسنا جداً.

الكـــلّ : إذن، حسناً جداً، لا تظنوا انني سكران.

كاسيو: (يخرج)

الى الشرفة، أيها السادة. هلمّوا نبدأ الحراسة.

مونتانو : أترون هذا الغلام الذي خرج قبلكم؟

ياغو : إنه جندي سيتحق الوقوف الى جانب قيصر
لإصدار الأوامر. ولكن أنظروا الى رذيلته.
إنها تعادل بالضبط فضيلته.

فالواحدة بقدر الأخرى . مما يؤسف له فيه .
وأخشى ان الثقة التي يضعها عطيل فيه .
في ساعة مفاجئة من ضعفه ،
ستهز هذه الجزيرة .
ولكن ، هل يسكر هذا كثيراً؟
مونتانو : هذه دوما هي المقدمة لنومه .
ياغو : وإذا لم يهزّ الشراب سريره
فانه يسهر ساعات الليل والنهار معاً .
يستحسن
مونتابنو : أن نلفت انتباه القائد لذلك .
لعله لا يلحظه فيه ، أو أن طبعه السمح
يقدّر الفضيلة الظاهرة في كاسيو
ويغض عن نواقصه . أليس هذا صحيحاً؟

(يدخل رودريغو)

ياغو: (جانبياً لرودريغو)
ماذا الآن ، رودريغو؟
أرجوك ، في إثر الملازم ، إذهب !

(يخرج رودريغو)

مونتانو : ومن المؤسف أن المغربي النبيل
يجازف بمرتبة هي التالية لمرتبته
فيجعلها بأمرة رجلٍ ركّب فيه هذا الضعف .

إنه لفعل شريف
إبلاغ المغربي بهذا .
ياغو : أنا لن أبلغه ، ولو أعطيت هذه الجزيرة ا
الجميلة !
إني عميق الحب لكاسيو، وبودّي لو أفعل الكثير
لشفائه من البلية .
(من الداخل) : «النجدة! النجدة!»
ولكن، اسمع : ما هذا الصياح!

(يدخل كاسيو، وهو يدفع أمامه رودريغو)

كاسيو : يا نذل! يا لئيم!
مونتانو : ما الأمر، يا ملازم؟
كاسيو : أوغد يعلمني واجبي؟
سأضربه حتى يلجأ الى الخابية .
رودريغو : تضربني؟
كاسيو : أتلقلق، يا نذل (يضربه)
مونتانو : أيها الملازم الطيب أرجوك ، سيدي ، كفَّ يدك .
كاسيو : دعني يا سيد، وإلا خبطتك على رأسك .
مونتانو : مهلا، مهلا . أنت سكران!
كاسيو : سكران؟

(يتعاركان)

ياغو : (جانبيا لرودريغو)، انصرف ، حالا، أخرج .

جانباً

وصح «عصيان!»

(يخرج رودريغو).

لا، أيها الملازم الكريم. من أجل الله، يا سادة!

النجدة، يا ناس! ــ يا ملازم ــ سيدي ــ مونتانو ــ

سيدي ــ

النجدة يا سادة! ــ خفارة هائلة حقاً!

(يقرع جرس)

من الذي يقرع الجرس؟ يا للشيطان!

ستنهض المدينة بأسرها. من أجل الله، يا ملازم

كفى!

سيلحقك عار أبدي.

(يدخل عطيل مع رجال يحملون السلاح)

عطيل: ما الذي يجري هنا؟

مونتانو: ما زلت أنزف، وجروح المسيح

إصابتي إصابة الموت.

عطيل: كفى، وإلا فحياتكما!

ياغو: كفى، كفى!

أيها الملازم ــ سيدي ــ مونتانو ــ يا سادة ــ

هل ضيعتما كل شعور بالمنزلة والواجب؟

كفى. ان القائد يتكلم معكما. كفى، كفى، عيب

والله!

عطيل : ما هذا؟ ما هذا؟ ما منشأ هذا؟
هل انقلبنا أتراكا، فرحنا نفعل بأنفسنا
ما منعت السماءُ العثمانيين عن فعله؟
ترفّعوا كالمسيحيين وتخلّوا عن هذا عن هذا الشجار البربري!
من يتحرك ثانية ليرضى بالطعن غضبه،
يستهدر دمه، ويمتُ بأول حركته.
أسكتوا ذلك الجرس الرهيب! إنه يرعب الجزيرة
عن نفسها. ما الأمر يا سادة؟
ياغو الأمين، يكاد الأسى يقضي عليك.
تكلم. من بدأ هذا؟ استحلفك بحبك.

ياغو : لست أدري. كانا في وئام قبل لحظات.
وفي ودّ. يتحدثان كأنهما عروس وعريس
ينزعان الثياب طلبا للفراش. وإذا، قبل لحظات
(كأن نجماً طيّر رشدهم)
يشهر كلاهما سيفه، ويصوّب الواحد نحو صدر الآخر،
في مجابهة دموية. لا أعرف
من البادىء بهذا العراك الصبياني،
وأتمنى لو أنني في قتال مجيد فقدت
ساقيّ هاتين، اللتين جاءتا بي الى شيء منه!

عطيل : كيف جرى، يا ميكيل، إنك نسيت نفسك هكذا؟

كاسيو : أرجو عفوك . لا أستطيع الكلام .
عطيل : وأنت يا مونتانو النبيل ، شيمتك الطيبة .
لقد لحظ الناس كلُّهم رصانة شبابك
واتزانه ، واسمك عظيمٌ
في أفواه المدركين العقلاء . ما الذي
جعلك تسيء الى سمعتك هكذا
وتضيّع ذكرك الحميد ليقال عنك
«معربد الليل»؟ أجنبي .
مونتانو : عطيل النبيل ، جرحى خطير.
ضابطك ياغو بوسعه ان يعلمك بكل ما أعرف ،
فاختصر الكلام ، لأنه يؤلمني بعض الشيء ،
كما أني لا أعلم أنني
قلت أو فعلت شيئاً خطأ هذه الليلة ،
إلا إذا كانت العناية بالذات أحياناً رذيلة ،
والدفاع عن أنفسنا إثما ،
عندما يهاجمنا العنف .
عطيل : وحق السماء ،
لقد جعل دمي يستبد برشادي الأسلم ،
وأخذ غضبي يعتم عليّ حُسن إدراكي
ويحاول أن يقود طريقي . فاذا تزحزحتُ ،
أو رفعت ذراعي هذه ، فان أفضلكم والله

سيسقط بتعنيفي. أعلموني
كيف بدأ هذا العراك القبيح، ومن حرّض عليه.
والذي يثبت عليه الذنب،
حتى لو كان توأمي يوم ولدت،
سيفقدني. ماذا، أفي مدينة حرب،
وهي بعد هائجة، وقلوب الناس طافحة بالخوف،
تنخرطون في شجار شخصي خاص؟
وفي الليل، وفي شرفة حراسة الأمن والخفارة؟
فظيع! ياغو، من البادىء؟
مونتانو: إن تتحيز لعلاقة أو مشاركة في الوظيفة،
وتسرد ما هو أكثر أو أقلّ من الحقيقة،
فانك لست بجندي.
ياغو: أرجوك ألا تذكّرني بواجبي.
وإني لأوثر أن يقتلع لساني هذا من فمي
على أن يُسيء بشيء الى ميكيل كاسيو.
ولكنني أقنع نفسي بأنني في ذكر الحقيقة
لن أصيبه بأيّ أذى. هذا ما جرى، أيها القائد:
فيما أنا ومونتانو نتحدث،
جاءنا غلام صارخا يطلب النجدة،
وكاسيو يتبعه بسيف حازم
يريد تنفيذ مأربه. فتدخّل

هذا السيد وتوسل الى كاسيو بأن يتوقف
أما أنا فلحقت بالغلام الصارخ
لئلا يفزع المدينة بصراخه
(وهذا فعلا ما حدث). ولسرعة ركضه،
عجزت عن إدراكه، فرجعت، ولا سيما
أنني سمعت قعقعة السيوف ووقعها،
وكاسيو يصيح بشتائم لم أكن
حتى الليلة أعرف نطقها. وحينما عدت
بأوجز الوقت وجدتهما متلاحمين
ضربا وطعنا، كما كانا ثانية
عندما أنت فرّقت بينهما.
ولا أعرف المزيد عن هذه القضيّة.
ولكن الرجال رجال. وخير الرجال أحيانا ينسى:
ولئن يكن كاسيو قد الحق به بعض الأذى —
فالرجال في سخطهم قد يضربون من هم أعزاء عليهم،
الا أن كاسيو ولا ريب، فيما أرى لحقه
من ذاك الذي هرب اهانة ما غريبة،
ما كان الصبر ليتحمّلها.
عطيل: أنا أعرف، يا ياغو،
انك بأمانتك وحبّك تلطّف من الأمر
وتخفّف عن كاسيو. كاسيو إني أحبك،

ولكن لن تكون بعد هذه اللحظة من ضباطي .

(تدخل دزديمونة ، مع آخرين)

أنظر، كيف أنهضت حبيبتي الرقيقة من فراشها !
سأجعل منك قدوة .
دزديمونة : مما الأمر؟
عطيل : كل شيء بخير الآن يا حلوتي . هيا بنا الى الفراش .
سيدي ، لجروحك سأكون أنا طبيبك .
انقلوه من هنا

(ينقلون مونتانو)

ياغو، تفقد المدينة
وأسكت كل من اضطرب لهذه العركة الذميمة .
تعالي ، دزديمونة . لقد كتب على الجنود
أن يقلق النزاع نومهم البلسمي !

(يخرجون جميعاً ، فيما عدا ياغو وكاسيو)

ياغو : ماذا ، هل أوذيت ، يا ملازم؟
كاسيو : نعم ، حيث لا طبيب ينفعني .
ياغو : لا سمح الله !
كاسيو : السمعة ، السمعة ، آه ، لقد فقدت سمعتي ! فقدت الجزء الخالد مني ، وما الباقي إلا حيواني . سمعتي ،
ياغو، سمعتي .
ياغو: وحق أمانتي ، حسبت أنك أصبت بجرح في جسمك .

ففي ذلك حسّ أكثر مما في السمعة. ما السمعة الا شيء فارغ خادع يفرض على المرء، فهي كثيراً ما تكتسب دونها جدارة، وتفقد دونها استحقاق. أنت ما فقدت السمعة قط إلا إذا اعتبرت نفسك فاقدها. إسمع يا رجل: ثمة طرق لاستعادة القائد من جديد. وما ألقى بك عنه إلا حنقا ــ إنه عقاب تقتضيه السياسة أكثر مما يحفزه الحقد، كمن يضرب كلبه المسكين ليرعب الأسد المصور. التمس اليه ثانية، تجده يقبل عليك.

كاسيو: خير لي أن التمس الاحتقار من أن أخدع قائدا طيباً كهذا ضابطه تافه، سكّير غير مكتوم مثلي. أسُكر، وكلام ببغاوي، وخصام، وتبختر، وشتائم، وأسخف الحديث مع ظلي؟ يا روح الخمر الخفية، إذا لم يكن لك إسم تُعرفين به، فلنسمّك الشيطان!

ياغو: من كان ذاك الذي لحقت به بسيفك؟ما الذي فعل ذلك؟

كاسيو: لا أدري.

ياغو: أممكن ذلك؟

كاسيو: أذكر كتلة من الأشياء، ولا شيء، بوضوح. أذكر شجارا، ولكن لا أذكر شيئاً عن السبب. يا إلهي كيف يضع الانسان عدوا في فمه ليختلس منه عقله! كيف بالفرح، والمتعة، والانس، والانبساط، نحوّل أنفسنا الى وحوش!

ياغو : ولكنك معافى الآن، كيف استعدت صحوك هكذا؟

كاسيو : طاب لشيطان السكر أن يتخلّى عن مكانه لشيطان الغضب. فالنقيصة الواحدة تكشف لي عن نقيصة أخرى، لأحتقر نفسي بملء قواي.

ياغو : لا، لا. إنك تقسو في حكمك على نفسك. بالنسبة الى الزمان والمكان، وظروف هذا البلد، كنت أتمنى من قلبي لو أن الذي وقع لم يقع. ولكن بما أنه قد وقع، رقّعه بما هو في صالحك.

كاسيو: سأطلب اليه أن يعيد اليّ رتبتي. فيقول لي: أنت سكير! ولو كان لي أفواه بقدر ماهيدرة (15) من أفواه لأفحمها جميعاً جواب كهذا. إن يكون الإنسان عاقلاً، وبعدها بقليلٍ أحمق، ثم وحشا! يا للغرابة! كل كأس إذا تجاوزت الحد فقدت البركة، وكان محتواها الشيطان.

ياغو : لا، لا، ان الخمر الطيّبة مخلوق طيّع طيّب إذا أحسن استعماله. كفاك تهجماً عليها، أيها الملازم الطيب. أعتقد أنك تعتقد أنني أحبك؟

كاسيو : عرفت ذلك بالتجربة، يا سيدي. هل أنا سكير؟

ياغو : أنت أو أي كائن حي قد يسكر مرة. يا رجل سأخبرك بما عليك أن تفعل. زوجة قائدنا هي الآن القائد. ولي أن أقول ذلك بهذا الصدد لأنه قد كرّس نفسه للتأمل والتبحّر والتمعن في محاسنها ومفاتنها. اعترف أنت لها

بحرية. الحّ في طلب مساعدتها لإعادتك الى مرتبتك. إنّ لها طبعاً كريماً، لطيفاً، خيّراً، منفتحاً، حتى لتعتبر إن في طيبتها نقصاً إذا هي لم تفعل أكثر مما يطلب اليها. هذا المفصل المكسور بينك وبين زوجها، التمس اليها ان تجبّره. وإني لأراهن بكل ما لدّي لقاء أي رهان يستحق التسمية بأن هذا الكسر في حبك إذا ما انجبر، نما الحب أقوى مما كان عليه(16).

كاسيو: أنت تحسن النصح.

ياغو: أرجوك. ما ذلك إلا لأنني أمحضك الحب والأمانة والاخلاص.

كاسيو: هذا ما أعتقد، حقاً. في الغد الباكر سأرجو دزديمونة الفاضلة أن تتوسط لي.. أن مصيري بائس ان أنا أوقفت عند هذا الحد.

ياغو: الحق معك. تصبح على خير، أيها الملازم.
عليّ بالخفارة.

كاسيو: طابت ليلتك، أيها الأمين ياغو.

(يخرج)

ياغو: من هو القائل إذن بأنني ألعب دور الشرير
حين اسدي خالص النصح الأمين،
نصحاً يقرّه التفكير، وهو السبيل حقاً
الى كسب ودّ المغربي من جديد؟ إذ من السهل جداً.

أن تغرى دزديمونة العطوف
بأي التماس شريف. لقد خُلقت سخية
سخاء العناصر الأربعة. وإذا أرادت
أن تكسب المغربي ــ حتى لو أرادته أن يكفر بمعموديته
وبكل أختام ورموز الخطيئة المفتداة (17)
فان روحه مكبّلة بهواها
حتى لتستطيع أن تبرم، وتنقض، وتصنع ما
يطيب لها،
إذ يلعب مشتهاها دور الإله
بفعله المنصاع. كيف أكون أنا شريراً إذن
حين أشير على كاسيو بهذا السبيل الموازي
مباشرة لخيره؟ إنه لاهوت الجحيم(18)!
فالشياطين إذ تدفع المرء الى أشنع الخطايا،
إنما تغريه أولاً بمظاهر سماوية،
كما فعل الآن. ففيما يستحث هذا الأبله الشريف
دزديمونة لكي تصلح أحواله
وهي من أجله تترجّى المغربي بحرارة
سأصب هذا الوباء في أذنه ــ
من أنها تستعيده للشبق الذي في جسدها،
وكلما زادت من محاولتها فعل شيء لصالحه
نقَضَت الثقة التي يوليها إياها المغربي.

وهكذا سأقلب فضيلتها قارا أسود ،
ومن طيبتها سأحوك الشبكة التي ستصطادهم جميعاً .

(يدخل رودريغو)

ها ، رودريغو!

رودريغو: إني ألاحق في الطراد ، لا ككلب يصيد بل ككلب يكمل عدد القطيع . نقودي كدت أنفقها كلها . وهذه الليلة أكلت ضرباً ممتازاً ، وأغلب ظني أن النتيجة ستكون ـ أنني لقاء جهودي كسبت خبرة كبيرة ، وهكذا سأعود ثانية الى البندقية وقد خسرت نقودي ، وما ربحت إلا قليلاً من العقل .

ياغو : ما أفقر الذين لا يصبرون!
هل من جرح يلتئم إلا على درجات؟
أنت تدري أننا نعمل بالدهاء ، لا بالسحر.
والدهاء يعتمد الوقت الوني‌ء .
ألا تجري الأمور على ما يرام؟ كاسيو ضربك ،
وأنت ، لقاء ذاك الأذى الضئيل ، سبّبت فصل
كاسيو.
لئن تنم أشياء أخرى جميلةً في الشمس ،
فان الفواكه التي تُزهر أولاً هي التي تنضج قبل غيرها .
إقنع لفترة قصيرة . . . والقدّاس ، طلع الصبح!
بالمتعة والعمل تبدو الساعات أقصر .

إنسحب ، إذهب الى مسكنك ،
هيا ، هيا ! ستعلم المزيد فيما بعد .
لا ، انصرف ، هيا !

(يخرج رودريغو)

ثمة شيئان يجب فعلهما :
على زوجتي أن تمتدح كاسيو لسيدتها ،
وسأحثها على ذلك
وفي الأثناء هذه عليّ أن أنتحي بالمغربي
وآتى به في اللحظة التي قد يجد فيها كاسيو
يراود زوجته عن نفسها . أجل ، هذا هو السبيل ،
ولن أفسد الخطّة بالبرود والتسويف !

(يخرج)

هـوامـش :

(1) وقعت أحداث الفصل الأول كلها في ليلة واحدة. يبحر عطيل وكاسيو كل في مركب على حدة، قبيل الفجر. ويصل كاسيو قبرص بعد استهلال الفصل الثاني بقليل، غير أن عاصفة هبت ففرقت بين مركبه ومركب عطيل، فيصل عطيل متأخراً. وبين وصول الاثنين، يصل مركب ياغو وبصحبته دزديمونة. ومع أنه كان قد أبحر بعد إبحار عطيل بعدة أيام، إلا أنه لم تعترضه العاصفة التي أخرت وصول عطيل.

(2) في الأصل الانكليزي «الدب» والمقصود به «مجموعة الدب الأكبر». والفرقدان في الأصل الانكليزي هما «الحارسان»، وهما نجمان في «الدب الأكبر».

(3) نسبةً الى مدينة «فيرونا» في إيطالية

(4) الآمال حين لا تتحقق، فتدرك اليأس ثم تموت. آماله لم تبلغ تلـك الشـدة غير أنها مرضت (لكثرتها)، وعساها الآن تشفى حين تتحقق. الصـورة الشعرية مفتعلة، غير أن كاسيو يتحدث بلغة «الجنتلمان الأليزابيثي» المصطنعة

(5) في كلام كاسيو شيء من الدعابة. لأنه بتقبيله اميليا لا يأتي أمراً ذا جرأة خاصة، إذ كان ذلك عرفاً شائعاً بين الاليزابيثيين.

(6) يقصد ان النساء في الخارج مصوغات كالصور، دونها كلام، أما في البيوت فهن كالأجراس لا ينقطعن عن الثرثرة.

(7) لم تكن النساء في عصر شكسبير يجدن حرجاً في حرية الكلام مع الرجال ما دام كلامهم يقال دعابة. وهنا لا تحمل دزديمونة كلام ياغو على محمل الجد، وتشجعه على الاسترسال به، تفكها.

(8) كاسيو ودزديمونة في تهامس مستمر، وياغو يراقبهما ويعلق، دون أن يسمع ما الذي يقولانه.

(9) كان من عادات رجال البلاط أن يفعلوا ذلك كلما استحسنوا أمراً

(10) يستمر ياغو بالكناية الموسيقية التي تحدث بها عطيل. حين يرخي مفاتيح الأوتار تتشوش بالطبع أنغامها.

(11) كناية ياغو، في الحديث عن رودريغو، مستقاة من كبح كلب الصيد، وإطلاقه في اللحظة المواتية. كنايات الصيد في شكسبير كثيرة ومتنوعة.

(12) الكناية هنا مستقاة من المصارعة.

(13) يستعمل ياغو لغة الحرب في وصف دزديمونة.

(14) مقطع من أغنية كانت شائعة في أيام شكسبير، عنوانها «زوجتي بل» وفيها تنصح بل زوجها بالحرص والاقتصاد.

(15) أفعى أسطورية مشهورة ذات تسعة رؤوس، كان قتلها من الأعمال الخارقة التي قام بها هرقل.

(16) كان المعتقد أن العظم إذا انكسر ثم جبر، نما وقوي أكثر من قبل.

(17) المعمودية المسيحية هي الختم على افتداء الانسان من الخطيئة، فهي بذلك رمز التطهر والعودة الى البراءة.

(18) اللاهوت هنا هو الجدل الديني حول الخير والشر. ياغو يتباهى بأنه بارع في منطقه اللاهوتي الذي يجعله في خدمة الشيطان، إذ يشير بما هو (في الظاهر) خير، ولكن لغاية شريرة.

الفصل الثالث

المشهد الأول
قبرص أمام القلعة

(يدخل كاسيو، مع موسيقيين والمهرج)

كاسيو : اعزفوا، يا سادة، هنا. سأكافئكم على أتعابكم.
شيئاً مختصراً. وقولوا : «صباح الخير، أيها القائد».

(يعزفون: يدخل المهرج)

مهرّج : يا سادة، هل ذهبت آلاتكم يوماً الى نابولي
فجعلت تنطق هكذا من الأنف؟

موسيقي : ماذا تقصد يا سيد؟

مهرّج : رجاء، هل تسمّى هذه آلات هوائية؟

موسيقي : أي نعم، سيدي.

مهرّج : آ، لذيلها حكاية.

موسيقي : لذيل من حكاية يا سيدي؟

مهرج : والله يا سيدي، لكثير من الآلات الهوائية
التي أعرفها[1]
ولكن، أيها السادة، هاكم نقودا. ان القائد يحب
موسيقاكم جدا حتى إنه ليرجوكم، لوجه الله، أن تكفّوا

عن التصويت بها.

موسيقي: حسنا، سنكف.

مهرّج: أما إذا كانت لديكم موسيقى لا يمكن سماعها فعليكم بها. فالقائد، كما يقولون، لا يهمه سماع الموسيقى كثيراً.

موسيقي: لا موسيقى لدينا كهذه، يا سيدي.

مهرّج: إذن ضعوا مزاميركم في قربتكم، لأنني منصرف. هيا، إذهبوا! تلاشوا!

(يخرج الموسيقيون)

كاسيو: أتسمع، صديقي الكريم؟

مهرّج: لا، لا أسمع صديقك الكريم. أسمعك أنت

كاسيو: أرجوك، احتفظ بتورياتك لنفسك. هاك قطعة ذهبية صغيرة. إذا كانت السيدة وصيفة عقيلة القائد قد نهضت من النوم، فقل لها أن هناك رجلاً يدعى كاسيو يرجوها أن تتكرم عليه بحديث. هل تتفضل بذلك؟

مهرّج: لقد نهضت، يا سيدي، وإذا أتت هنا سأبدو لها بالقول.

(يدخل ياغو)

كاسيو: أرجوك، يا صديقي الطيب

(يخرج المهرج)

جئت في اللحظة المناسبة، ياغو!

ياغو : ألم تأو الى فراشك إذن؟
كاسيو : لا والله . كان النهار قد طلع قبل أن نفترق .
وقد تجرأت ، يا ياغو،
فأرسلت كلمة الى زوجتك .
والتماسي اليها هو أن تهيّىء لي اتصالا ما
بدزديمونة الفاضلة .
ياغو : سأرسلها اليك في الحال
وسأفتعل وسيلة لاخراج المغربي
عن الطريق ، لكي يتاح المزيد من الحرية
لحديثك وشأنك معها .
كاسيو : أشكر لك فضلك . (يخرج ياغو) ما عرفت قط
فلورنسيا أكثر لطفا و إخلاصا منك .

(تدخل اميليا)

اميليا : صباح الخير، أيها الملازم الكريم . يؤسفني
أنك في ضائقة . ولكن كل شيء سيكون على ما يرام ،
تأكد
القائد وزوجته يتحدثان في الموضوع
وهي تدافع عنك بقوة . ويجيب المغربي
بأن الرجل الذي آذيته عريض الشهرة في قبرص
وعلى صلة قربى بكبار القوم ، وأن من سداد الرأي
أن يرفضك . غير أنه يؤكد أنه يحبك ،

وأنه في غنى عن وسطاء غير عواطفه هو
لاغتنام أسلم فرصة من الناصية
ليعيدك من جديد .
كاسيو : ومع هذا فاني أتوسل اليك ،
ان كنت تنسبين ذلك أو تحسبينه ممكناً ،
أن تيسّري لي حديثاً موجزاً
مع دزديمونة على انفراد .
اميليا : تفضّل وادخل .
سأضعك في مكان ييسّر لك مجالاً
تفرغ فيه ما بصدرك بملء حريتك
كاسيو : إني عميق الامتنان لك .

(يخرجان)

المشهد الثاني
غرفة في القلعة

(يدخل عطيل، وياغو، وسادة آخرون)

عطيل : هذه الرسائل ، يا ياغو، إعطها للمرشد
وعن طريقه قم بواجباتي تجاه الدولة .
وحال فراغك ، ستجدني أتفقّد التحصينات :
تعال إليّ هناك .

ياغو : حسناً يا مولاي ، سأفعل ذلك .

عطيل : هذه التحصينات ، أيها السادة ، هل نذهب لنراها؟

سادة : لسوف نرافق سيادتك .

(يخرجون)

المشهد الثالث

حديقة القلعة

(تدخل دزديمونة ، وكاسيو، واميليا)

دزديمونة : ثق يا كاسيو أنني سأفعل
كل ما بوسعي من أجلك .

اميليا : أفعلي ، سيدتي الكريمة . صدّقي أن زوجي حزين لهذا ، كأنما القضية قضيته .

دزديمونة : آه ، إنه فتى شريف . تأكد ، كاسيو،
سأجعل الصداقة بينك وبين سيدي
تعود الى ما كانت عليه من قبل .

كاسيو : يا سيدة العطاء والكرم ،
مهما يحدث لميكيل كاسيو
فانه لن يكون أبداً إلا خادمك الوفي .

دزديمونة : أعرف ذلك . شكراً. أنك تحب سيدي ،
فقد عرفته طويلاً . وأؤكد لك
أن جفاءه لن يدوم أكثر مما
تقتضيه السياسة .

كاسيو : نعم ، سيدتي ، ولكن

هذه السياسية إمّا أن تدوم طويلاً
أو تدام على غذاء مائي رقيق[2]،
أو تستديم نفسها بما يستجد من ظروف
بحيث أن قائدي، بغيابي، وفي مكاني بديل،
سينسى حبي وخدمتي.
دزديمونة : لا تشكّ في ذلك. ولتشهد اميليا هنا
على أنني سأضمن لك مكانك. وثق انني
إذا تعهدت بصداقة، وفيت بعهدي
حتى الحرف الأخير. لن يرتاح سيدي مطلقاً:
سأروضه بالسهر، واستنفد صبره بالكلام،
حتى ليبدو أن فراشه مدرسة، ومائدته كرسي اعتراف[3]
وسأمزج كل شيء يفعله
بالتماس كاسيو. فاصرف عنك همك يا كاسيو،
لأن محاميتك ستؤثر الموت
على خسران قضيتك.

(يدخل عطيل وياغو)

اميليا : سيدتي، زوجك قادم.
كاسيو : سيدتي، استأذن بالانصراف.
دزديمونة : بل تريث، واسمعني أتكلم.
كاسيو : ليس الآن، سيدتي، إني شديد الاضطراب،
وغير مهيأ حتى لمآربي.

دزديمونة : إذن إفعل ما يحلو لك .

(يخرج كاسيو)

ياغو : ها! لا يروق لي ذلك!
عطيل : ماذا تقول؟
ياغو : لا شيء يا مولاي . أو إذا ــ لا أعرف ماذا .
عطيل : ألم يكن ذاك كاسيو الذي فارق زوجتي؟
ياغو: كاسيو، يا مولاي؟ لا، قطعاً، لا أستطيع تصور ذلك .
أيخرج متسللا كمجرم
حالما يراك قادماً؟
عطيل : أعتقد أنه كان كاسيو.
دزديمونة : مرحبا بسيدي .
كنت هنا أتحدث الى صاحب التماس ــ
رجل يتعذب لسخطك عليه
عطيل : من تقصدين؟
دزديمونة : ملازمك ، كاسيو. مولاي الكريم .
إن تكنْ لي دالّة عليك أو قوة للتأثير فيك ،
تقبّل خضوعه الحاليّ لمصالحته .
فإن لم يكن رجلاً يخلص لك الحب
فيخطىء عن جهل، لا عن كيد ،
فانني عُدمتُ الحكم على أمانة انسان من وجهه .
أرجوك ، ارسل في طلبه .

عطيل : هل ذهب من هنا الآن؟
دزديمونة : نعم ، كسير الخاطر،
حتى أنه ترك معي بعضاً من أساه ،
لأكابده معه . حبيبي الكريم ، أرسل في طلبه .
عطيل : ليس الآن ، يا حلوتي دزديمونة . في حين آخر.
دزديمونة : ولكن عمّا قريب؟
عطيل : بأقرب حين يا حلوتي ، من أجلك .
دزديمونة : أهذا المساء عند العشاء؟
عطيل : لا، لا هذا المساء .
دزديمونة : غدا إذن ، عند الغداء .
عطيل : لن أتغدّى في البيت .
لي لقاء مع رؤساء الجيش في القلعة .
دزديمونة : إذن ، غدا مساء ، أو الثلاثاء صباحاً ،
أو الثلاثاء ظهراً، أو مساء ، أو صباح الأربعاء .
أرجوك عيّن الموعد، ولكن لا تدعه
يتجاوز ثلاثة أيام . إنه والله نادم .
ومع هذا فان ذنبه ، فيما نراه نحن عامةً
(لو لا أن الحروب ، كما يقال ، يجب أن تجعل قدوةً
من أفضل رجالها) لا يكاد يكون خطأً
يستوجب الردع الفردي . متى تستدعيه؟
قل لي ، يا عطيل . إني لأتساءل في قرارة نفسي :

ما الذي قد تطلبه أنت مني فأرفضه ،
أو أتردد هكذا فيه؟ ماذا؟ ميكيل كاسيو،
هذا الذي رافقك خاطباً ، وكان في المرات العديدة
التي تحدثت فيها عنك بغير مديح
يدافع عنك ــ أعليه أن يلقى هذا العناء كله
لكي تستدعيه؟ ثق بي ، فبوسعي عمل الكثير ــ
عطيل : كفى ، أرجوك! فليأت عندما يشاء :
لن أرفض لك أمراً.
دزديمونة : ليس هذا جميلاً تصنعه لي .
فهو كأنما أرجوك أن تلبس قفازيك
أو تأكل أكلات مغذّية ، أو تحافظ على دفئك ،
أو كأنما التمس اليك أن تأتي نفعاً خاصاً
لشخصك أنت . لا ، ولكن عندما يكون لي التماس
أنوي أن أجرّب به حبك فعلاً ،
فلسوف يكون كبير الوزن ، عسير الشأن ،
رهيب التحقيق .
عطيل : لن أرفض لك أمرا :
ولذا أتوسل اليك أن تتكّرمي عليّ
بأن تتركيني ولو قليلاً لوحدي .
دزديمونة : وهل أرفضك؟ أبداً . وداعاً ، مولاي
عطيل : وداعاً ، دزديمونتي . سآتيك مباشرة .

دزديمونة : اميليا، تعالي. كن على هواك
ومهما تكن، فانني مطيعتك.

(تخرج دزديمونة واميليا)

عطيل : مسكينتي الرائعة! ألا فلتهلك نفسي!
كم أحبك! ويوم لا أحبك
سيكون الكون قد عاد للفوضى من جديد.
ياغو : مولاي النبيل.
عطيل : ماذا تقول، ياغو؟
ياغو : عندما كنت تخطب سيدتي، هل كان ميكيل كاسيو
يعلم بحبك؟
عطيل : نعم، من البداية حتى النهاية، فيم سؤالك؟
ياغو : لأطمئن فكري،
لا أكثر.
عطيل : لماذا فكرك، يا ياغو؟
ياغو : ما ظننت انه كان يعرفها.
عطيل : آه، بلى، ولطالما كان الوسيط بيننا.
ياغو : صحيح؟
عطيل: صحيح؟ طبعاً صحيح! هل تستشف شيئاً من ذلك؟
أليس أمينا؟
ياغو : أمينا، مولاي؟
عطيل : أمينا؟ نعم، أمينا.

ياغو : مولاي، حسبما أعلم.
عطيل : ما الذي تظن؟
ياغو : أظن، مولاي؟
عطيل : أظن، مولاي؟ وحق السماء، إنه يرجّع لي الصدى
كأن في فكر وحشا
أرهب من أن يُظهره. انك تقصد أمرا.
سمعتك قبل لحظات تقول : «لا يروق لي ذلك»
عندما غادر كاسيو زوجتي. ما الذي لم يرق لك؟
وعندما أخبرتك بأنني كنت أستشيره
طوال فترة خطبتي، هتفت قائلاً : «صحيح؟»
فقطّبت جبينك وزممت به
كأنك عندئذ أغلقت في دماغك
على فكرة مريعة. إن كنت تحبني
أكشف فكرك لي.
ياغو : مولاي، أنت تعلم إنني أحبك.
عطيل : أظن أنك تحبني.
ولأنني أعلم أن ملئك الحبُّ والأمانة
وانك تزن كلماتك قبل أن تهبها نفسك،
لهذا السبب، فان وقفاتك هذه تفزعني أكثر.
لأن أمورا كهذه من وغد خائن غدار،
حيلٌ معتادة. أما من الرجل المستقيم

فإنها جَيَشان خفي يعتمل به القلب
حين تعجز العاطفة عن التحكم به .
ياغو : من حيث ميكيل كاسيو،
أقسم إنني أظنه أميناً .
عطيل : وهذا ما أظنه أنا أيضاً .
ياغو : على الانسان أن يكون ما يبدوه .
أما من ليس كذلك ، فلا بدا إنساناً قط !
عطيل : مؤكد : على الانسان ان يكون ما يبدوه .
ياغو : ولذا فاني أظن كاسيو إنسانا أميناً .
عطيل : لا، ثمة المزيد في هذا الأمر.
أرجوك ، حدثني كما تحدث أفكارك ،
كما تغرق في تأملاتك ، واعط أسوأ أفكارك
أسوأ الكلمات .
ياغو : مولاي الكريم ، عفوك .
لئن أكن ملزماً بكل فعل واجب ،
فاني لست ملزما بما هو مباح لكل عبد .
أأنطق أفكاري؟ هب أنها حقيرة وكاذبة ،
أين ذاك القصر الذي لا تتسلل القاذورات
اليه أحياناً؟ من له ذلك الصدر النقي الذي
لا تقعد فيه خواطر بذيئة
في جلسات كالمحكمة ، وتتناقش

حول تأملات مشروعة؟
عطيل : انك تتآمر على صديقك ، يا ياغو،
ان كنت تحسبه قد أسيء اليه وتصدّ أفكارك
عن أذنه .
ياغو : أتوسل اليك ــ
ولو أنني ربما كنت مخطئاً في تكهني
(إذ أعترف أن الداء الذي في طبعي
هو أن أتمعّن في الاساءات ، وكثيراً ما تجسّد
ريبتي أخطاءً ليست هناك) ــ ألاّ تأبه
بحكمتك لقول رجل مبهم الأفكار مثلي ،
وألاّ تبتني لك انزعاجاً
من ملاحظاته الشتيتة التي يعوزها اليقين،
فما إطلاعك على أفكاري
من رجولتي أو أمانتي أو حكمتي في شيء ،
ولا يخدم خيرك وهدوء بالك .
عطيل : ما الذي تقصد؟
ياغو : ان حسن السمعة في الرجل والمرأة ، يا مولاي العزيز،
هو جوهرة الروح المباشرة .
من يسرق محفظتي يسرق نفايةً مني . إنها شيء ،
لا شيء .
كانت لي ، وهي له ، وكانت عبداً للألوف .

أما الذي يختلس مني حسن سمعتي،
فإنه ينهب منّي ما لن يغنيه،
ولكنه حقاً يفقرني.
عطيل : والله لأعرفنّ أفكارك!
ياغو : لن تستطيع، ولو كان قلبي في يدك.
ولن تعرفها ما دام قلبي في حوزتي.
آه، أحذر الغيرة!
إنها الوحش الأخضر العينين الذي يهزأ
من الطعام الذي يفترسه[4]. سعيداً يعيش الزوج المخدوع
إذا تحقق من حاله، ولم يحب ظالمته.
ولكن ما ألعن الدقائق التي يعدها عدّا
ذلك الذي يعشق ولكنه يشك ــ يرتاب، ولكنه دنف موّله.
عطيل : يا للبؤس!
ياغو : الفقر مع القناعة غنىً، غنىً كاف.
أما الغنى الطائل ففقر مدقع كالشتاء
لمن كان دوما يخشى مجيء الفقر.
أيتها السماء الخيّرة إدفعي الغيرة
عن أرواح عشيرتي!
عطيل : فيم، فيم، هذا؟
أتحسب أنني سأجعل من الغيرة حياة لي،
فأتابع دوما تغيّرات القمر

بشبهات جديدة؟ كلا: الارتياب مرة واحدة
هو الحسم مرة واحدة. استبدلني بتيس
ان كنتُ سأشغل روحي
بالتكهنات المنفوثة الكريهة التي
تتفق وما قلت. لن يجعلني أغار
أن يقال عن زوجتي إنها جميلة، تأكل طيّباً، تحبُ العِشْرة،
طليقة الكلام، تحسن الغناء والعزف والرقص.
حيثما الفضيلة، فان في هذا فضلا من الروعة.
ولن أستمدّ من محاسني الضعيفة
أقل ريبة أو خشية من خيانتها،
فقد كان لها عينان، وتخيرتني. لا، يا ياغو.
أريد أن أرى قبل أن أشك، وأتثبت إن شككت.
وعند التثبتّ فليسَ ثمة إلاّ —
الإطاحة حالاً بالحب أو بالغيرة!
ياغو: يسرني ذلك. لأن لي العذر الآن
في أن أبدي لك ما أضمر من حب وواجب،
بروح من الصراحة أكبر. ولذلك، لالتزامي إياك،
تقبّلها مني. أنا بعد لا أتحدث عن البرهان.
انتبه الى زوجتك، لاحظها جيداً مع كاسيو.
واجعل عينيك هكذا: لا غيورا ولا واثقاً،
لن أرضى لك، بطبعك النبيل السمح،

أن تُخدع ، لطيبة ذاتك . انتبه .
إني أعرف طرائق بلدنا حق معرفة :
فالنساء في البندقية يسمحن للسماء أن ترى الألاعيب
التي لا يجسرن على أن يرينها أزواجهن .
خير الضمير عندهن
لا أن يحجمن عن فعل الشيء ، بل أن يبقينه مجهولاً .
عطيل : أهكذا تقول؟
ياغو : لقد خدعت أباها ، بالزواج منك .
وحين بدت أنها ترتجف وتخشى نظراتك ،
كانت شديدة التعلق بها .
عطيل : بالضبط . .
ياغو : تأمل إذن :
تلك التي ، رغم صغرها ، استطاعت ان تتظاهر حتى سدّت عيني أبيها كما ثمرة البلوط مسدودة ــ وظن هو أن الأمر سحر منك ــ ولكنني أستحق اللوم ،
إني بكل تواضع التمس غفرانك
لحبي لك أكثر مما ينبغي .
عطيل : إنني ممتن لك الى الأبد .
ياغو : أرى أن هذا قد نال من بهجتك .
عطيل : ولا ذرّة ، ولا ذرّة .
ياغو : لا والله ، أخشى أنه قد نال منها .

آمل أن تعتبر ما قلته
صادرا عن حبي . ولكن أرى أنك تأثرت .
يجب أن أرجوك ألا تحمّل كلامي
نتائج أوخم أو نطاقاً أوسع
من مجرد الشك .
عطيل : لن أفعل
ياغو : ان فعلت ، يا مولاي
فان كلامي سيسقط الى نهاية حقيرة
لا تستهدفها أفكاري . فكاسيو صديقي النبيل .
مولاي ، أرى انك تأثرت .
عطيل : لا ، لم أتأثر كثيراً .
فأنا لا أحسب دزديمونة إلاّ عفيفة .
ياغو : ألا عاشت عفيفة ، وعشت أنت لتحسب ذلك !
عطيل : ولكن ، حين تضلّ الطبيعة عن نفسها ـــ
ياغو : أجل هنا النقطة ! لأجسر فأقول
إذا لم تحفل بالعديد من الخطّاب
من بلدها ، ومزاجها ، وطبقتها ،
وهذه سنّة الطبيعة في مخلوقاتها كلها ـــ
أف ! في نساء كهذه يشتمُّ المرء شهوة خبيثة ،
شذوذا ذميما ، أفكاراً غير سوية ـــ
ولكن ، عفوك ـــ إنني في ما أطرح

لا أتكلم عنها بوجه خاص، ولو أنني أخشى
ان شهوتها، إذ تثوب الى حسن إدراكها،
ربّما راحت تقارنك باشكال قومها،
وإذا هي تندم.
عطيل: وداعاً. إذا لحظت المزيد، أعلمني بالمزيد.
ضع زوجتك في مراقبتها. أتركني، ياغو.
ياغو (ذاهباً) مولاي، أستأذنك.
عطيل: لماذا تزوجت؟ هذا المخلوق الأمين لا شك
يرى ويعرف أكثر، أكثر بكثير، مما يكشف
ياغو (عائداً): مولاي، أرجو أن تسمح لي بالتوسل الى سيادتك
بأن تكفّ عن التمعّن في هذا الأمر. أتركه للزمن.
ولئن يكن ملائماً أن يعاد كاسيو إلى منصبه،
لأنه يملأه ولا ريب بمقدرة كبيرة،
فإنك إذا تفضلت بصدّه بعض الوقت
تمكنت بذلك من أن ترقبه هو ووسائله.
لاحظ ان كانت عقيلتك تجهد في إعادته
بقويّ الالحاح أو لجوجه:
سيُرى الكثيرُ في ذلك. وفي غضون ذلك
عُدّني متطفلاً بمخاوف
(لأن لي ما يحدو بي الى الظن بتطفلي)
واعتبرها بريئة، أرجو سيادتك.

عطيل : لا تخشَ على رباطة جأشي.
مرةً أخرى ، أستأذنك.

(يخرج)

عطيل : هذا الفتى عظيم الشرف والأمانة
ويعرف الطبائع كلها ، وقد تمرّس ذهنه
بضروب التعامل الإنساني.
إذا ثبت لي أنها صقر برّي[5]،
فحتى لو كانت سيورها أعزّ نياط قلبي
فانني سأصفر لها أن اغربي عني ، وفي مهب الريح
فلتبحث عن مصيرها. ربما لأنني أسود
وتعوزني نواعم الماجنين في التصرف
والحديث ، أو لأنني هبطت
في وادي السنين (ولكن ليس كثيراً) ،
فانصرفتْ عني. لقد خُدعت ، وما شقائي
إلا بكرهها. يا للعنة الزواج ،
حين نستطيع القول ان هذه المخلوقات الرقيقة
ملكنا ولكن دون شهواتها :
إني لأوثر أن أكون سلحفاة ،
وأقتات على بخار السراديب
على أن أبقي ركنا من الشيء الذي أحبّ
لاستعمال الآخرين. ولكنها آفة عليّة القوم

فهم أقل امتيازاً من صغار الناس[6].
إنه مصير لا محيد عنه، كالموت. . .
لقد كتب علينا داء القرون هذا
حال دخولنا الحياة. هذه دزديمونة قادمة.
ان تكن تخونني، فالسماء تهزأ من نفسها!
لن أصدق.

(تدخل دزديمونة واميليا)

دزديمونة : أهلا، عزيزي عطيل.
غداؤك، وأهل الجزيرة الكرام
الذين دعوتهم، بانتظار حضورك.
عطيل : الذنب ذنبي.
دزديمونة : لماذا تتكلم بصوت خافت هكذا؟ أمتوعك أنت؟
عطيل : في جبيني ألم، هنا [7].
دزديمونة : سببه السهر. سيزول ثانية.
فالأعصبه لك، وبأقل من ساعة
سيشفى.

(تخرج منديلا)

عطيل : منديلك صغير.

(يبعد عنه منديلها، فيسقط)

دعي جبيني، هيا، سأذهب معك.
دزديمونة : يؤسفني جداً توعكك.

(يخرج عطيل ودرديمونة)

اميليا : يفرحني انني وجدت هذا المنديل.
لقد كان أول هدية لها من المغربي.
مئة مرة حثني زوجي العنيد
على اختلاسه. غير أنها تحب هذا الدليل
الذي استحلفها على الاحتفاظ به الى الأبد.
فراحت تبقيه معها دائما وأبداً
تقبّله وتحدثه. سأنسخ تطريزه
وأعطيه لياغو (8). اما ما الذي سيفعله به،
فعلمه عند ربي،
وأنا انما أرضي له نزوته.

(يدخل ياغو)

ياغو : ها، ما الذي تفعلينه هنا؟
اميليا : لا تبدأ بقارس الكلام. عندي شيء لك.
ياغو : شيء لي؟ شيء شائع —
اميليا : ها؟
ياغو : ان يكون للمرء زوجة طائشة.
اميليا : أهذا كل ما هناك! ما الذي تعطيني الآن
لقاء ذلك المنديل اياه؟
ياغو : أي منديل؟
اميليا : أي منديل؟

ذاك الذي أهداه المغربي أولاً لدزديمونة .
ذاك الذي كثيراً ما أمرتني بسرقته .
ياغو : هل سرقته منها؟
اميليا : لا والله . سقط منها سهوا ،
فاغتنمت الفرصة ، إذ كنت هنا ، والتقطته .
أنظر. ها هو
ياغو : عفاك يا حبيبة ! اعطيني اياه .
اميليا : ما الذي ستفعل به ، حتى رحت
تلح عليّ باختلاسه؟
ياغو : (يختطفه منها) وما الذي يهمك من ذلك؟
اميليا : إذا لم يكن لغرض مهمّ ،
أعده اليّ . مسكينة سيدتي . ستجنّ
حين تفتقده
ياغو : لا تقولي إنك تعلمين شيئاً عنه . بي حاجة اليه .
إذهبي ، واتركيني .

(تخرج اميليا)

هذا المنديل سأضيّعه في مسكن كاسيو
واجعله يجده . فللغيران تكون الطفائف
الخفيفة خفة الهواء أدلةً دامغة ،
كبراهين الكتب المقدسة ، وهذا قد يحقق شيئاً
لقد جعل المغربي ينفعل بسُميّ .

فالأفكار الخطرة بحد ذاتها سموم
يكاد لا يدرك المرء أولاً سوء مذاقها،
ولكنها بعد أن تفعل قليلاً في الدم
تشتعل كمناجم الكبريت، كما قلت[9].

(يدخل عطيل)

أنظر اليه قادماً! لا الخشخاش ولا اللُّفَّاح،
لا ولا كلُّ ما في الدنيا من شراب منوّم،
سيشفيك عودة الى ذلك السبات الهنّي
الذي كان بالأمس سباتك!
عطيل : ها! ها، أتخونني؟
ياغو : ما هذا، سيدي القائد؟ كفى! كفى!
عطيل : انصرف! أغرب عن وجهي! رَكّبتني على المِخلَعة[10].
اقسم أنه خير للمرء أن يخان كثيرا
من أن لا يعرف عن ذلك إلاّ القليل.
مولاي، مولاي. .
ياغو : هل أحسستُ قطُّ بساعات شهوتها المختلسة؟
عطيل : لا أنا رأيتها، ولا فكرت بها، فلم تؤذني.
نمتُ قربها عميقاً، مرحاً لا أعرف الهمّ.
وما وجدت قبلات كاسيو على شفتيها.
إذا سُلب المرء، ولم يفتقد ما سُلب منه،

دعه في جهله، وإذا هو لم يُسلب قط.
يؤسفني أن أسمع هذا.
عطيل : لكنتُ سعيداً لو أن عموم معسكري
بكل جنوده ومراتبه، ذاق جسدها العذب،
ما دمت أنا في جهل من الأمر. أما الآن،
فوداعاً الى الأبد أيتها النفس الوادعة!
وداعاً أيتها الطمأنينة!
وداعاً أيتها الفصائل المريّشة، والحروب الكبيرة
التي تجعل من الطموح [11]فضيلة! آه، وداعاً!
وداعاً للجواد الصاهل، والبوق الصادح،
للطبل المثير للنفس، والمزمار الشاقّ للأذن،
وداعاً للراية الملكّية، وكلّ ما تتحلى به
الحرب المجيدة من كبرياء، وفخامة، وجلال!
وأنتِ أيتها الآلات الماحقة التي تحاكي
حناجرها الشرساتُ رواعب رعود الخالد جوبيتر
وداعاً! ان مهنة عطيل قد انتهت!
ياغو : أممكن هذا يا مولاي؟
عطيل : يا وغد! تأكد من البرهان على أن حبيبتي بغيّ!
تأكد من ذلك. أعطني الدليل المرئي.
وإلاّ، فقسما بشرف روح الانسان الخالدة،
لخيرٌ لك لو وُلدتَ كلباً

من أن تواجه غضبي المستشيط!
ياغو : هل بلغت المسألة هذا الحد؟
عطيل : دعني أرى الدليل! أو على الأقل برهن على الأمر
بحيث لا يبقى في البرهان نتوء واحد
يُعلق عليه شك واحد. وإلاّ فالويل لحياتك!
ياغو : مولاي النبيل ـ
عطيل : ان كنت تطعن فيها وتعذبني،
كفّ عن الصلاة أبداً، تخلَّ عن كل تقريع ضمير،
وعلى رأس الرعب أقم الرعب أكداساً.
إفعل ما يُبكي السماءَ ويفزعُ الأرض،
لأنك لن تقدر أن تضيف الى لعنة الهلاك
ما هو أدهى مما فعلت.
ياغو : أيتها النعمة، أيتها السماء، سامحيني!
أبشرأنت؟ هل لك روح أو إحساس؟
وداعاً لك! اطردني من وظيفتي. أيها الأحمق التعس،
ما عشت إلاّ لتجعل من أمانتك رذيلة!
أيتها الدنيا المتوحشة: انتبهي، انتبهي، أيتها الدنيا،
كل من كان أميناً مستقيماً، فهو غير آمن.
أشكر لك هذا الدرس المفيد. من الآن فصاعداً،
لن أحب صديقاً، وفي الحب إساءة كهذه..

(يهمّ بالخروج)

عطيل : بل تريثْ . أنت أمين، ولا ريب .
ياغو : ولكن عليّ بالحكمة . لأن الأمانة حماقة
تفقد من تخدمه .
عطيل : وحق هذه الدنيا،
أظن زوجتي شريفة، وأظنها غير شريفة،
أظنك منصفاً وأظنك غير منصف .
أريد برهاناً ما . ان اسمها الذي كان نقياً
كوجه ديانا[12]، ملوّث أسود الآن
كوجهي أنا . ان تكن ثمة حبال، أو سكاكين،
أو سم، أو نيران، أو سيول خانقة ـــ
لا أستطيع التحمّل! ليت لي شيئاً من يقين!
ياغو : أرى، سيدي، أن الغيظ يلتهمك .
ليتني لم أسببه لك .
أتريد يقيناً؟
عطيل : أريد؟ بل أصر!
ياغو : وستحصل عليه . ولكن كيف؟ كيف تريد اليقين يا مولاي
أتريد أن تحدّق تحديقاً بذيئاً، كشاهد عيان؟
أتبصرها معلوّة؟
عطيل : يا للموت، يا للعنة!
ياغو : أظن أن البلوغ بهما ذلك المشهد
صعب ووبيء، قاتلهما الله ـــ

وهل ستراهما عين إنسان يوما يتواسدان
على غير ما يتوسد كلاهما بمفرده؟ ماذا إذن؟
كيف إذن؟
ماذا أقول؟ أين اليقين؟
من المستحيل أن تجده عياناً
حتى ولو كانا في شهوة التيوس، وحرارة القرود،
وشبق الذئاب في السفاد، ودعارة الحمقى
حين يسكر ذوو الجهل. ومع ذلك، أقول
ان كنت تقتنع بالاستدلال بالشواهد الظرفية القوية
مما يؤدي الى عتبة الحقيقة رأسا،
فلك ذلك.
عطيل: أعطيني دليلا حيّاً على خيانتها.
ياغو: هذه مهمة لا تروق لي.
ولكن بما أنني أقحمت لهذا المدى في القضية،
تستحثني الأمانة الحمقاء والحب،
فسأستمر. كنتُ راقداً مع كاسيو مؤخراً،
ونغّص علي وجعٌ في السنّ،
فما استطعت النوم.
هناك ضرب من الناس أرواحهم سائبة،
حتى ليتمتمون بشؤونهم وهم نيام.
وكاسيو من هذا الضرب.

وقد سمعته في نومه يقول: «دزديمونة الحلوة،
لنأخذ الحذر، لنُخف حبنا!»
ثم راح، يا سيدي، يقبض يدي ويعصرها،
ويصيح «يا مخلوقةً حلوة!»، ثم يقبلني بعنف
كأنه يجتث قبلات نامية على شفتيّ
من عروقها. ثم وضع ساقه
على فخذي، وتنهّدَّ، وقبّل،
ثم صاح: لُعن القدر الذي أعطاك للمغربي!
عطيل: أوه، فظيع! فظيع!
ياغو: لا، لم يكن هذا إلا حلماً من أحلامه.
عطيل: ولكنه يدل على نتيجة لفعل مضى.
إنه شك لعين، وإن لم يكن إلا حلماً.
ياغو: وهذا يمدّ الأدلة الأخرى بالكثافة
حين تكون دلالاتها واهنة
عطيل: سأمزقها قطعة قطعة!
ياغو: ولكن، كن حكيماً. لم نر بعد شيئاً يُفعل،
فقد تكون عفيفة، رغم ذلك. قل لي—
ألم تشاهد أحيانا منديلاً
منقطا بتوت بريّ في يد زوجتك؟
عطيل: أنا أعطيتها منديلاً كذاك. كان هديتي الأولى.
ياغو: لا أدري. ولكنّ منديلاً كذاك
(أنا واثق من أنه منديل زوجتك) رأيت اليوم

كاسيو يمسح ذقنه به.
عطيل : إذا كان هو ـ
ياغو : إذا كان هو، أو أياً من مناديلها،
فهو ينطق ضدّها، مع الأدلة الأخرى.
عطيل : آه لو أن لهذا العبد أربعين ألف حياة!
أما حياة واحدة، فأضعف وأحقر مما يقتضيه انتقامي
الآن أرى أن الأمر صحيح. أنظر، ياغو:
حبي المولّه، هكذا انفخ به عني الى السماء.
لقد راح..
إصعد أيها الانتقام الأسود من جوف الجحيم!
سلّم، أيها الحب، تاجك وعرشك الذي في القلب
للحقد الطاغية! واورَم أيها الصدر بعبئك،
لأنه من زبانات الدبابير!
ياغو : ولكن هدّىء روعك.
عطيل : يا للدّم، للدم، للدم!
ياغو : صبرا، أرجوك، ربما غيرت رأيك.
عطيل : أبداً، يا ياغو. كالبحر البنطّي الذي
لا يعرف تيارهُ الجليديُّ الجامحُ
عودة الجزر في مده، ويستمر مندفعاً
نحو البروبنطي والهيليسبونط [13]،
هكذا ستظل أفكاري الدموية، في خطوها العنيف،

ترفض النظر الى الوراء، أو الجزر الى الحب المتضع،
الى أن يبتلعهما انتقامٌ عريض شامل.

(يركع)

والآن، قسماً بتلك السماء المرمرية،
إني لأقطع على نفسي عهدا
أجلّه إجلال وعدٍ مقدس!
ياغو : لا تنهض.

(يركع ياغو)

اشهدي، أيتها الأنوار المشتعلة أبدا في العلى،
أيتها العناصر التي تكتنفيننا من كل صوب،
أشهدي على أن ياغو هنا يكرّس
كل ما بوسع عقله، وقلبه، ويديه،
لخدمة عطيل المساء اليه! فليأمر،
ولسوف تكون الطاعة مني حنوّاً وشفقة
مهما يكن الأمر مفعما بالدم.

(ينهضان)

عطيل : إني أقابل حبّك
لا بباطل الشكر بل بأكرم الرضا،
وسأمتحنك على الفور.
في غضون الأيام الثلاثة هذه دعني أسمعك تقول
إن كاسيو ليس في قيد الحياة.

ياغو : مات صديقي .

سيتم ذلك كما تطلب . أما هي فلتبق حية ترزق .

عطيل : لعنها الله ، هذه الفاجرة! ألا لعنها الله !

تعال رافقني . سأنسحب

لأهيىء وسيلة قتل سريعة

للشيطانة الحسناء . إنك الآن ملازمي .

ياغو : إني ملك يديك الى الأبد .

(يخرجان)

المشهد الرابع
أمام القلعة

(تدخل دزديمونة واميليا ، والمهرج[14])

دزديمونة : أتعرف يا غلام أين يقيم الملازم كاسيو؟

مهرّج : لا أجرؤ على القول .

دزديمونة : لماذا يا رجل؟

مهرّج : إنه جندي . ومن يكذّب الجندي ، فكأنه يطعن .

دزديمونة : أف! أين يسكن؟

مهرّج : ان قلت لك أين يسكن . أكون كمن يكذب .

دزديمونة : هل في كلامك أي معنى؟

مهرّج : لا أعرف أين يسكن . فلو اخترعت له مسكناً ، وقلت إنه يقيم هنا أو يقيم هناك لكنت كمن يملأ حنجرته بالأكاذيب .

دزديمونة : هل بإمكانك أن تسأل عنه ، فتتعلم بما تسمع؟

مهرّج: سأحاور الدنيا من أجله ، سأضع لهم أسئلة فيجيبون .

دزديمونة: فتش عنه ، واطلب اليه المجيء هنا . أخبره بأنني تحدثت الى سيدي من أجله ، وآمل أن الأمر بخير.

مهرّج: فعل هذا يقع ضمن نطاق العقل البشري، إذن سأحاول أن أفعله.

(يخرج)

دزديمونة: أين من الممكن أن أكون قد أضعت ذلك المنديل
يا إميليا؟

اميليا: لا أدري يا سيدتي.

دزديمونة: صدقيني، ليتني أضعت محفظتي
ملأى بالدنانير. ولولا أن المغربيّ النبيل
صادقُ النفس، غيرُ مصنوع من الحقارة التي
تُصنع منها المخلوقات التي تغار،
لكان هذا كافياً لحمله على الظن.

اميليا: الا يغار؟

دزديمونة: من؟ هو؟ اعتقد ان الشمس، حيث ولد،
امتصّت منه أي نزوات كهذه.

(يدخل عطيل)

اميليا: أنظري اليه قادماً.

دزديمونة: لن أتركه حتى يستدعي
كاسيو اليه! كيف حالك يا مولاي؟

عطيل: حسن سيدتي الكريمة. (جانبياً) من أشقّ
المراءاة!
وانت يا دزديمونة، كيف حالك؟

دزديمونة : حسن ، سيدي الكريم .

عطيل : اعطيني يدك . هذه اليد رطبة ، سيدتي .

دزديمونة : لم تحسَّ بعدُ شيخوخة ، ولم تعرف أي حزن .

عطيل : انها دليل الاثمار والقلب السخيّ .

حارة ، حارة ، ورطبة ، يدك هذه بحاجة الى

الأحجام عن الحرية ، الى الصوم والصلاة ،

الى التقشف الكثير، والرياضة الورعة .

لأن هنا شيطانا فتيّاً يعرق ،

من دأبة التمرّد . إنها يد طيّبة ،

يد حرة صريحة .

دزديمونة : لك حقاً ان تقول ذلك .

لأنها هي اليد التي وهبتك قلبي .

عطيل : يد معطاء : كانت القلوب فيما مضى تهب الأيدي .

ولكن رموزنا الجديدة هي الأيدي ، دون القلوب (15)

دزديمونة : وما ادراني؟ هلمّ الآن ، وعدك !

عطيل : أي وعد ، يا فرختي؟

دزديمونة : أرسلتُ في طلب كاسيو ليأتي ويتحدث اليك .

عطيل : عندي زكام قوي يزعجني .

اعيريني منديلك .

دزديمونة : هاك يا مولاي .

عطيل : ذاك الذي اعطيتك

دزديمونة : ليس معي .
عطيل : ليس معك؟
دزديمونة : لا والله ، يا مولاي .
عطيل : هذا تقصير منك . فهذا المنديل
اعطته لامي غجرية مصرية (16)
كانت ساحرة ، تكاد تستطيع أن تقرأ
أفكار الناس . وقالت لها ، ما دام النديل في حوزتها ،
فانه سيجعلها محبوبة ، ويخضع أبي
كلياً لحبها ، ولكن إذا أضاعته ،
أو أهدته الى أحد ، فأن عين أبي
لن تُبصرها إلا بكراهية ، وتهيمُ نفسه في طلب
غراميات جديدة . اعطتني إياه وهي تحتضر
وامرتني ، عندما يكتب لي القدر زوجة ،
ان اعطيها اياه . ولقد فعلت ذلك . فاعتني به .
أعزّيه كعينك الغالية .
أما فقدانه أو اعطاؤه فخسارة
لن تُعوّض بأي شيء آخر .
دزديمونة : أممكن ذلك؟
عطيل : بالضبط . ثمة سحر في نسجه .
فإن كاهنة عرافة عدّت في الدنيا
للشمس في جريانها مئتي دورة ،

طرزّت الوشي في نوبة من وحيها.
والديدان التي أفرزت الحرير كانت مقدسة.
وتمّ صبغه بمومياء استحضرها البارعون
من قلوب العذارى.
دزديمونة : أحقاً هذا صحيح؟
عطيل : جداً صحيح. ولذا، اعتني جيداً به.
دزديمونة : إذن ليتني لم أره قط!
عطيل : ها! لماذا؟
دزديمونة : لماذا تتكلم بطفرات وهكذا، وبسرعة؟
عطيل : هل ضاع؟ هل فقد، تكلمي، اليس في متناول يدك؟
دزديمونة : رحمتنا السماء!
عطيل : ماذا قلت؟
دزديمونة : لم يضع. ولكن هب انه ضاع؟
عطيل : كيف؟
دزديمونة : قلت إنه لم يضع.
عطيل : احضريه، دعيني أراه!
دزديمونة : طبعاً، بامكاني، يا سيدي. ولكني لن أحضره الآن.
هذه خدعة تبعدني بها عن التماسي.
أرجوك، أطلب كاسيو لمقابلتك ثانية.
عطيل : احضري لي المنديل! في نفسي ريبة.
دزديمونة : هيا، هيا!

لن تجد رجلاً أكفأ منه .
عطيل : المنديل!
دزديمونة : رجاء، حدثني عن كاسيو.
عطيل : المنديل!
دزديمونة : رجل أرسى كل خير له،
طيلة وقته، على حبك،
وشاطرك المخاطر ــ
عطيل : المنديل!
دزديمونة : والله أنت الملوم .
عطيل : بِك عني!

(يخرج)

اميليا : أليس غيرانا هذا الرجل؟
دزديمونة : لم أره في مثل هذا قط من قبل .
لا بد أن في المنديل أعجوبة ما .
ما أشقاني بفقدانه!
اميليا : سنةٌ أو سنتان، وينكشف الرجل .
ما الرجال كلهم إلاّ معدات، وما نحن كلنا إلا طعام
يأكلوننا بنهم، فاذا شبعوا،
تقيأونا .

(يدخل ياغو وكلسيو)

أنظري ــ كاسيو وزوجي!

ياغو : ما من سبيل آخر . هي التي يجب أن تفعلها .
وانظر ما أسعدك! إذهب وألحّ عليها .
دزديمونة : أهلا ، كاسيو الكريم ، ما أخبارك؟
كاسيو : سيدتي ، التماسي السابق . إني أتوسل اليك
ان يتاح لي بوسائلك الفضليات
أن أوجد من جديد ، وأساهم في حبه
هذا الذي أجلّه بكل ما في قلبي
من ودّ واخلاص . أرجو ألا أماطل .
فأن يكن ذنبي من نوع مميت
بحيث لا الخدمة الماضية ، ولا الأحزان الراهنة ،
ولا ما نويت عليه من جدارة في المستقبل ،
يفديني لديه استعادةً لحبه ،
فاني أكون غانماً لو تيقنت من ذلك ،
فألبس نفسي رضا مكرها
واحصر سعيي بمسار آخر
نحو حسنات الدهر .
دزديمونة : وا أسفاه يا كريم الأصل كاسيو :
مشورتي الآن لا تتناغم .
ليس سيدي بسيدي ، وما كنت لأعرفه
لو أنه تبدل وجها كما تبدّل في المزاج ،
ولتكن بعوني كل روح مقدّسة ،

إذ قلت له عنك خير ما عندي
ووقفت في خط النار من سخطه،
لحريتي في ما تكلمت! عليك بالصبر لفترة.
ما بمقدوري فعله سأفعله، وسأفعل أكثر مما اجرؤ ان أفعل
من أجلي أنا. فاكتفِ بذلك.
ياغو : هل سيدي غضبان؟
اميليا : ذهب من هنا قبل لحظات،
باضطراب غريب ولا شك.
ياغو : هل يغضب؟ لقد رأيت المدفع
ينسف جنوده عالياً في الفضاء.
وهو، كالشيطان، ينفخ عن ساعده
أخاه بالذات ــ فهل يغضب؟
أمر كبير الشأن إذن. سأذهب للقائه.
فالقضية حقاً خطيرة، إن كان قد غضب. (يخرج)
دزديمونة : أرجوك، إذهب. لا بد أن أمراً من أمور الدولة
من البندقية، أو مؤامرة لم تكمل
انكشفت له هنا في قبرص،
عكّرت روحه الصافية. في حالات كهذه
تحتدم طبائع الرجال في مناقشة الأمور الصغرى
بينما هي تستهدف الكبرى.
هذا ما في الأمر. فاذا توجعت الأصبع منّا، سرى

منها الألم الى أعضائنا الأخرى الصحيحة .
يجب ألا نحسب الرجال آلهة
وإلا نتوقع منهم عناية
خليقة بالعرس . قاتلني الله ، يا اميليا ،
إنا المحاربة التي لا تُنصف ، لقد رحت
اتهم قسوته في نفسي .
ولكني أرى الآن انني تواطأت مع الشاهد
فجرى اتهامه زورا وبهتانا .
اميليا : أدعو الى الله أن يكون الأمر من أمور الدولة ، كما تظنين ،
لا فكرةً أو خاطراً من الشُّبهات
يتعلق بك أنت .
دزديمونة : لا سمح الله ! إنا ما أعطيته سبباً لذلك .
اميليا : ولكنّ الأنفس إذا اشتبهت ، لا تقبل جواباً كذلك .
فهي لا تشتبه أبداً لسبب ،
إنما هي شديدة الغيرة لأنها شديدة الغيرة .
والغيرة وحش يناسل نفسه ، يلد نفسه .
دزديمونة : إلا وَقَتِ السماء فؤاد عطيل من وحشٍ كذلك !
اميليا : سيدتي ، آمين .
دزديمونة : سأذهب اليه ، كاسيو ، تريث هنا .
فاذ وجدته مستجيبا ، سأتحدث في التماسك
وأحاول أن أحقق منه أكبر النتيجة .

كاسيو : بكل تواضع أشكرك يا سيدتي .

(تخرج دزديمونة واميليا ، تدخل بيانكا)

بيانكا : مرحبا ، صديقي كاسيو!
كاسيو : ماذا تفعلين خارج البيت؟
كيف أمورك ، يا جميلتي بيانكا؟
كنت والله . يا حبيبتي الحلوة ، في طريقي الى بيتك .
بيانكا : وكنت أنا في طريقي الى مسكنك ، كاسيو.
ماذا ، أتبقى بعيداً عني أسبوعاً كاملاً؟ سبعة أيام
بلياليها؟
ثماني ساعات بعشرين مرة ثمانية؟ وساعة غياب العشاق
أبطأ وأسأم من ساعات النهار بعشرين مرة ثمانية؟
يا للحساب المرهق!
كاسيو : عفوك بيانكا .
كنت هذه المدة تحت ضغط من أفكار كالرصاص
غير انني في وقت أكثر ملاءمة
سأسدد حساب الغياب هذا . حلوتي بيانكا ،

(يعطيها منديل دزديمونة)

انقلي لي هذا التطريز.
بيانكا : من أين لك هذا ، يا كاسيو؟
هذا تذكار من صديقة جديدة!
للغياب الذي شعرت به ، أشعر الآن بسبب ،

أإلى هنا وصل الأمر؟
كاسيو : روحي، روحي، يا امرأة :
القي بتكهناتك الذميمة في أسنان الشيطان،
حيث استقيتها. تغارين الآن اذ تشكّين
في أن هذا تذكار من عشيقة ما.
لا والله يا بيانكا.
بيانكا : من صاحبه إذن؟
كاسيو : لا أدري يا حلوتي. وجدته في حجرتي،
واحببت تطريزه. فقبل أن يطلب مني ــ
إذ سيطلب على الأرجح ــ فكرت في استنساخه.
خذيه وانقليه، واتركيني مؤقتا.
بيانكا : أتركك؟ لماذا؟
كاسيو : إني هنا في انتظار القائد، ولا أحسب أن من اللياقة، ولا هي رغبتي، ان يراني بمعيّة امرأة (17).
بيانكا : لماذا، أرجوك؟
كاسيو : لا لأنني لا أحبك.
بيانكا : لا لأنك لا تحبني!
أرجوك، سر معي بعض الطريق،
وقل لي هل أراك هذه الليلة؟
كاسيو : لا أستطيع السير معك إلاّ بعض الطريق
لأنني هنا في انتظار. ولكني سأراك قريباً.
بيانكا : حسناً جداً. عليّ أن أخضع للظروف. (يخرجان)

هــوامــش :

(1) يستخدم شكسبير التورية ، كعادته ، للتفكه على نحو تستحيل ترجمته الى العربية ، فالمهرج يلعب على عبارة «آلات هوائية» قاصداً بها أيضاً الأناس الكثيري الثرثرة أو الذين تصدر عنهم ريح خبيثة ، كما يلعب على كلمتي (Tail) (ذيل) و (Tale) (حكاية) ، فيقول إن للآلات الهوائية (بمعناها الثاني) ذيلاً ، في حين يتصور الموسيقي انه يقول ان للآلات الهوائية حكاية . اضطررنا الى التصرف بالترجمة هنا قليلاً .

(2) أي بحجج وأعذار واهية .

(3) لكثرة ما تحثه كمعلمة ، أو ككاهن يحث المعترف على الاستغفار .

(4) أي كالقط يعبث بالفأر حين يفترسه .

(5) أي الصقر الذي لا يخضع لصاحبه ، فيخونه . والكلمة الانكليزية (Haggard) ترمز الى المرأة المستهترة بقية الصورة المجازية مأخوذة عن الصيد بالصقر . ولشكسبير ولع خاص بالصور المستمدة من الصيد بأشكاله كلها .

(6) كان ثمة رأي سائد يقول ان وفاء الزوجة ، في الطبقة العليا من المجتمع ، أمر غير متوقع .

(7) الاشارة الى قرون الزوج المخدوع . غير ان دزديمونة لا يخطر ذلك ببالها .

(8) أي انها ستطرز منديلاً آخر على غراره تعطيه لياغو ، وتعيد الأصلي الى دزديمونة .

(9) أي ان مظهر عطيل يدل على أنه جعل ينفعل بسم ياغو ، كما قال .

(10) من آلات التعذيب الشائعة في عصر النهضة .

(11) كثيرا ما كان يشار الى الطموح ، وبخاصة في مسرحيات شكسبير ، كأمر أثيم ، أو غير مشروع ، وخيم العواقب .

(12) ربة العفاف .

(13) البحر البنطي هو البحر الأسود ، والبروبنطي والهيليسبونط هما بحر مرمرة والبوسفور . الأسماء والوصف ترد في ترجمة لكتاب لبليني قرأه شكسبير .

(14) المهرج في هذه المسرحية خادم يحب التهريج لتسلية أسياده . والتهريج في مطلع هذا المشهد يعتمد التلاعب على الألفاظ . مما يستحيل نقل ما فيه من فكاهة التورية . كلمة (Lies) تعني «يقيم» و «يكذب» وهي التي تتردد في الأسطر التالية .

(15) يقصد عطيل : كان رمز الزواج فيما مضى يداً تعطي وفيها قلب . أما اليوم فالرمز هو يد في يد ، بغير قلب .

(16) كان المعتقد حتى وقت قريب ان الغجر أصلاً من مصر، وكلمة gypsy(غجري) مشتقة من (Egypt)(مصر)

(17)في ثياب بيانكا وتصرفاتها ما يشير إلى أنها من بنات الهوى

الفصل الرابع

المشهــد الأول
أمـــام القـلـعـــة

(يدخل ياغو وعطيل)

ياغو : أهكذا تظن؟

عطيل : أهكذا أظن ، ياغو؟

ياغو : ماذا ،

ان يتبادلا قبلة في خلوة؟

عطيل : قبلة غير مشروعة .

ياغو : أو أن تكون عارية مع صاحبها في الفراش

ساعة ، أو أكثر ، ولا تقصد أي ضرر؟

عطيل : عارية في الفراش ، ياغو ، ولا تقصد ضررا؟

ذلك نفاق على الشيطان :

فمن كان فاضل القصد ، ويفعل ذلك ،

فان الشيطان يجرب فضيلته ، وهو يجرب الله .

ياغو : ما دام لا يفعل شيئاً ، فانه زلل مغفور.

ولكن ، إذا أعطيت زوجتي منديلا ـــ

عطيل : ثم ماذا؟

ياغو : إنه إذن ملكها ، يا مولاي ، ولما كان ملكَها ،
فان لها ، كما أرى ، ان تهبه أي رجل .
عطيل : إنها عاصمة شرفها أيضاً .
فهل لها أن تهب ذلك أيضاً؟
ياغو : شرفها جوهر لا يُرى .
كثيراً ما يملكه من ليس يملكه .
أما المنديل ــ
عطيل : لكان والله يسّرني ان انساه !
أنت قلت (إنه ليأتي ذاكرتي
كما يأتي الغراب البيت الموبوء ،
نذير شؤم للجميع) إن عنده منديلي .
ياغو : نعم ، وماذا في ذلك؟
عطيل : لا يروق لي الآن .
ياغو : وماذا لو قلت إنني رأيته يسيء اليك؟
أو أنني سمعته يقول ــ إذ أن ثمة انذالاً في الدنيا
حين يقنعون خليلة لهم بلجوج طلبهم ،
أو يشبعونها بطائع ولههم ،
لا يملكون إلا أن يتشدّقوا ــ
عطيل : هل قال شيئاً؟
ياغو : نعم ، مولاي . ولكن ثق إنه
لم يقل أكثر مما سيقسم على نكرانه .

عطيل : ما الذي قال؟

قال والله إنه فعل ــ لا أدري ماذا فعل.

عطيل : ماذا؟ ماذا؟

ياغو : اضطجع ــ

عطيل : معها؟

ياغو : معها، عليها، ما شئت. [1]

عطيل : اضطجع معها، عليها، اضطجع معها! شنيع، وجروح المسيح! منديل ــ اعترافات ــ منديل! ليعترفْ، ويُشنقْ من أجل اتعابه ـ ليُشنق أولا. ثم ليعترف! إني أرتجف لها. لا ترتدي الطبيعة غضباً طاغياً كهذا دون تلقين ما. ليست الكلمات ما يرعدني هكذا. . .

أف! أنوف، آذان، شفاه. أممكن ذلك؟ ــ يعترف؟ منديل؟

يا للشيطان!

(يقع في غيبوبة)

ياغو : استمرّ فعلاً

يا دوائي، استمر! هكذا يُصاد الحمقى المصدِّقون،

وهكذا تلقى المذمّة نسوةٌ عفيفات شريفات كثيرات

دونها اثم أو جريرة ــ ها، مولاي!

مولاي! عطيل!

(يدخل كاسيو)

أهلا، كاسيو!

كاسيو : ما الأمر؟

ياغو : وقع مولاي في نوبة صرع .

هذه نوبته الثانية . كانت الأولى أمس .

كاسيو : أفرك صدغيه .

ياغو : لا، امتنع .

هذا البُحران لا بد له من أخذ مجراه الهادىء .

وإلاّ، فانه سيزبد فماً، وسرعان ما

ينفجر في جنون همجي . أنظر، إنه يتحرك .

وأنت، انسحب بعض الوقت .

سيعود الى وعيه حالا، وعندما يذهب،

أودّ الحديث معك في موضوع مهّم .

(يخرج كاسيو)

كيف أنت أيها القائد؟ ألم تؤذ رأسك؟

عطيل : أتهزأ مني(2)؟

ياغو : أهزأ منك؟ كلا، قسما بالسماء

ليتك تتحمل مصيبتك كالرجال!

عطيل : ما الرجل المقرّن إلاّ حيوان ووحش

ياغو : في المدينة الآهلة إذن حيوانات كثيرة . ووحوش متحضرّة كثيرة .

عطيل : هل اعترف بها؟

ياغو : سيدي الكريم، كن رجلاً .

فكّر في أن كل ذي لحية تحت النير(3)

يجرّ نيره معك. هناك الملايين من الأحياء الآن
يرقدون ليليا في أسّرة ليست لهم،
ولا يحجمون عن القسم بأنها أسرّتهم، قضيتك أسهل.
إنه لكيد من الجحيم، إنه لأكبر هزء من إبليس
ان يشافه الرجل فاجرة في فراش مزعوم البراءة
وهو يحسبها عفيفة نقية! لا، دعني أعرف:
فاذا عرفت ما أنا، عرفت ما ينبغي لها أن تكون.
عطيل: آه، ما أحكمك! مؤكد!
ياغو: انتح بنفسك لحظتين،
وافرض على نفسك حدود الصبر فقط.
بينها كنت هنا مستغرقاً في محنتك
(وهو انفعال لا يليق برجل مثلك)
قدم كاسيو. فدفعته دفعا
وعلّلت لغيبوبتك بسبب معقول،
وامرته بالعودة سريعاً، ليكلمني هنا.
فوعد بذلك. أرجوك بأن تختبىء،
والحظ سيماء الشماتة، والتهكم، والزراية الصريحة،
التي تأهل بها كلّ بقعة في وجهه.
لأنني سأجعله يعيد سرد الحكاية من جديد ـــ
أين التقى زوجتك، وكيف، وكم مرة، ومنذ أي زمن،
ومتى سيلتقيها مرة أخرى.

أقول لاحظه فقط . بربك ، صبراً!
وإلاّ زعمتُ انك كلّك انفعالٌ محض ،
ولست رجلا في شيء .
عطيل : أتسمع ، يا ياغو؟
ستجدني شديد المكر في صبري .
ولكن ــ أتسمع؟ ــ شديد الدموية
ياغو : لا غبار على ذلك .
ولكن حافظ على الايقاع في كل شيء . اتنسحب؟

(ينسحب عطيل جانباً)

والآن سأسأل كاسيو عن بيانكا ،
وهي غانية تبيع رغابها .
لتبتاع خبزاً وثياباً لنفسها . إنها مخلوقة
تعبد كاسيو، فبلّية المومس إنها
تخدع الكثيرين ، ويخدعها واحد .
اما هو، فحالما يسمع شيئاً عنها ، لا يستطيع الكفّ
عن الفيض بالضحك . ها هو قادم .

(يدخل كاسيو)

وكلما ابتسم ، جُنّ عطيل .
ولسوف تفسّر غيرتهُ الغافلة
كلَّ ابتسامة من كاسيو المسكين ، وكلَّ ايماءة
وحركة استخفاف منه

تفسيراً خاطئاً ــ كيف أنت الآن أيها الملازم؟
كاسيو : أسوأ حالاً إذ تدعوني باللقب الذي
يكاد فقدانه يقتلني .
ياغو : تدبّر أمرك حسناً مع دزديمونة ، تضمن اللقب .
لو كان التماسك هذا في مقدور بيانكا
لسرعان ما نجحت!
كاسيو : مسكينة هذه التعسة!
عطيل : أنظر كيف راح يضحك . .
ياغو : ما عرفتَ امرأة قط تحب رجلا مثلها .
كاسيو : مسكينة هذه الشيطانة . أظن أنها والله تحبني .
عطيل : ها هو ينكل بضعف ، ويصرف الأمر عنه بالضحك .
ياغو : أتسمع يا كاسيو؟
عطيل : إنه الآن يرجوه
ان يعيد سرد الحكاية . عفاك! أحسنت ، أحسنت!
ياغو : إنها توحي بأنك عازم على الزواج منها .
هل نويت على ذاك؟
كاسيو : ها، ها ، ها!
عطيل : أتشمت أيها الروماني [4] ــ؟ أتشمت؟
كاسيو : أتزوجها؟ ماذا ، أتزوج امرأة غادية؟
أرجوك ، احترم ذكائي قليلاً ــ
لا تتصور انه ممروض لهذا الحد . ها ، ها ، ها!

عطيل : أهكذا، أهكذا؟ فليضحك من يربح!

ياغو : والله، تدور الاشاعة بأنك سوف تتزوجها.

كاسيو : أرجوك، قل الصدق.

ياغو : وإلا فلأكن نذلاً.

عطيل : هل اصبتني؟ حسناً!

كاسيو : هذه إشاعة السعدانة نفسها. لقد اقنعت نفسها بأنني سأتزوجها حباً منها وخداعاً لا وعدا مني لها.

عطيل : ياغو يومىء إليّ. إنه يبدأ القصة الآن.

كاسيو : كانت هنا قبل لحظات. تلاحقني في كل مكان. كنت قبل أيام عند شاطىء البحر اتحدث الى بعض أهل البندقية، وإذا هذه اللعبة تأتيني هناك، أي وحق هذه اليد، وتقع هكذا على عنقي

عطيل : وكأنها تصيح «عزيزي كاسيو!»
هذا معنى حركته.

كاسيو : وهكذا تتعلق بي، وتتكسر، وتبكي اليّ،
وتجرجر بي وتسحبني هكذا... ها، ها، ها!

عطيل : والآن يروي له كيف اختطفته الى حجرتي.
آه، انني أرى انفك ذاك، ولكنني لا أرى الكلب الذي سأقذفه اليه.

كاسيو : والواقع، عليّ ان أهجر صحبتها.

(تدخل بيانكا)

ياغو : عجيب! أنظر، إنها قادمة!

كاسيو : قطة ما مثلها قطة . . ومعطرة . . ماذا تقصدين بملاحقتي هكذا؟

بيانكا : ليلاحقك الشيطان وأمه! ماذا قصدت بذلك المنديل الذي اعطيتني اياه قبل قليل؟ لو لم أكن بلهاء لما أخذته منك . وعليّ أن أنقل التطريز كله! اتريدني أن أصدق إنك وجدته في حجرتك ولا تعرف من تركه هناك؟ إنه هدية من إحدى المبتذلات ، وعليّ أنا ان أنقل التطريز؟ هاك ،

أعطه فرسك الألعوبة . أينما حصلت عليه ، فاني لن أنقل عنه أي تطريز.

كاسيو : ماذا جرى ، يا حلوتي بيانكا ، ماذا جرى؟

عطيل : وحق السماء ، ذلك لا بد منديلي!

بيانكا : إذا جئت الى العشاء هذه الليلة ، فلا بأس . وإذا لم تجيء ، فتعال عندما تسنح لك الفرصة التالية . .

(تخرج)

ياغو : وراءها! وراءها!

كاسيو : أي والله ، وإلا ملأت الطريق شتائم .

ياغو : هل ستتعشى هناك؟

كاسيو : نعم ، هذا ما نويت .

ياغو : إذن ، قد أراك . لي حديث أرغب فيه معك .

كاسيو : أرجوك ، تعال . اتجيء؟

ياغو : هيا! كفى كلاماً!

(يخرج كاسيو)

عطيل : (متقدماً) كيف أقتله، يا ياغو؟

ياغو : الحظت كيف كان يضحك على رذيلته؟

عطيل : آه، ياغو!

ياغو : وهل رأيت المنديل؟

عطيل : هل كان منديلي؟

ياغو : منديلك، وحق هذه اليد! وهل رأيت كيف يقدّر المرأة الحمقاء، زوجتك؟ اعطته المنديل فأعطاه لغانيته.

عطيل : ليتني استمر في قتله تسع سنوات متلاحقات! امرأة رائعة! امرأة حسناء! امرأة حلوة!

ياغو : لا، يجب أن تنسى ذلك.

عطيل: أجل، لتتفسخْ، وتهلك، وتلعنْ هذه الليلة! لأنها لن تحيا. لا، لقد تحوّل قلبي الى حجر. إضربه، فيؤلم يدي. آه ليس في الدنيا مخلوقة اعذب منها! بامكانها أن ترقد بجانب امبراطور وتأمر بالمهامّ.

ياغو : لا، هذه ليست طريقتك.

عطيل : الا فلتشنق! أنا إنها أقول عنها ما هي. ما أرهفها بابرتها! موسيقية مدهشة! آه إنها لتستطيع بغنائها أن تقضي في الدب على وحشيته! شديدة الذكاء غزيرة الابتكار. . .

ياغو : وهذا كله يجعلها أكثر سوءاً.

عطيل : آ، الف الف مرة! . . . ثم، ما أرق مزاجها!

ياغو : نعم ، أرق مما ينبغي .

عطيل : لا شك ، ولكن يا للحسرة، ياغو! ياغو! يا للحسرة ، ياغو!

ياغو : ان كنت مجنوناً بها رغم سيئاتها، امنحها ترخيصاً بالاساءة. فالأمر إذا لم يهمك أنت، فانه لن يعني أحداً غيرك

عطيل : سأقطعها نتفا! تخونني؟!

ياغو : يا للبذاءة!

عطيل : مع أحد ضباطي!

ياغو : امعانا في البذاءة .

عطيل: إحضر لي بعض السمّ، ياغو، هذه الليلة . لن أناقشها واعاتبها، لئلا يزعزع جمالها الجسدي نفسي. هذه الليلة، ياغو،

ياغو: لا تفعلها بالسمّ. اخنقها في فراشها في الفراش الذي نجّسته .

عطيل : جيد، جيد. . . في ذلك عدالة تسرّني. جيد جداً!

ياغو: اما كاسيو، فدعني أتولى أمره، ستسمع المزيد قبل منتصف الليل

عطيل : ممتازا (نفير) ما ذلك النفير؟

(يدخل لودوفيكو، ودزديمونة ، ومرافقون)

ياغو : أمر ما من البندقية، ولا ريب إنه لودوفيكو،

قادماً من لدن الدوق . وانظر، أن زوجتك معه

لودوفيكو : كان الله معك ، أيها القائد الشريف !

عطيل : أهلا وسهلا ، سيدي .

لودوفيكو : دوق البندقية وشيوخها يقرئونك التحية .

(يناوله رسالة)

عطيل : إني أرحب بصك أوامرهم .

(يفتح الرسالة ويقرأ)

دزديمونة : وما وراءك ، يا ابن العم الكريم ، لودوفيكو؟

ياغو : يسرني جدا أن أراك ، يا سيدي .

مرحبا بك في قبرص .

لودوفيكو : شكرا ، كيف حال الملازم كاسيو؟

ياغو : عائش ، يا سيدي .

دزديمونة : يا ابن عمي ، وقعت بينه وبين مولاي

واقعة . ولكنك ستصلح ذات البين .

عطيل : أواثقة أنت من ذلك؟

دزديمونة : مولاي؟

(يقرأ) «وهذا تأكد من ألاّ تفعله ، لأنك ــ»

لودوفيكو : لم يجب . إنه مشغول بالورقة .

هل ثمة خلاف بين مولاي وكاسيو؟

دزديمونة : خلاف بائس جدا . وبودي لو أفعل الكثير كي أصالح بينهما ،

لمحبتي لكاسيو.

عطيل : نار وكبريت!
دزديمونة : مولاي؟
عطيل : أعاقلة أنت؟
دزديمونة : ماذا، اغضبان هو؟
لودوفيكو : ربما هاجته الرسالة.
إذ اعتقد أنهم يأمرونه بالعودة الى الوطن،
جاعلين كاسيو وكيلا عنه في الحكم.
دزديمونة : يسرني ذلك، والله.
عطيل : حقا؟
دزديمونة : مولاي؟
عطيل : يسرني أن أراك جُننتِ.
دزديمونة : عطيلي العذب!
عطيل : شيطانة!

(يضربها)

دزديمونة : لم استحق هذا.
لودوفيكو : مولاي لن يصدقوا هذا في البندقية
حتى لو أقسمت أنني شاهدته بعيني. هذا كثير...
صالحها. إنها تبكي.
عطيل : يا للشيطانة، الشيطانة!
لو أن الأرض تخصب بدموع المرأة،
لكان تمساحا كل دمعة تسقطها!

اغربي عن وجهي!
دزديمونة : لن امكث اساءة لك .

(تهم بالخروج)

لودوفيكو : سيدة مطيعة ، وايم الحق
أتوسل الى سيادتك بأن تعيدها .
عطيل : يا سيدة!
دزديمونة : مولاي؟
عطيل : ماذا تريد منها ، يا سيدي؟
لودوفيكو : من؟ أنا يا مولاي؟
عطيل : أنت رغبت في أن أجعلها تعود .
سيدي ، ان بوسعها أن تعود وتستدير، ومع ذلك تستمر،
وتعود من جديد . وبوسعها أن تبكي ، سيدي ، أن تبكي
وهي مطيعة ، كما قلت ، مطيعة ،
مطيعة جدا ــ استمري في ذرف دموعك ــ
أما بخصوص هذا ، سيدي (يا للوعة الحسنة التمويه!)
فاني أُمرت بالعودة الى الوطن . . إذهبي أنت ،
سأرسل في طلبك بعد قليل . . . سيدي إني أطيع الأمر،
وسأعود الى البندقية . . هيا ، انصرفي!

(تخرج دزديمونة)

كاسيو سيحل في مكاني . وهذه الليلة ، سيدي ،
أرجو أن نتعشى معا .

مرحبا بك يا سيدي في قبرص . . . تيوس وقرود[6] !

(يخرج)

لودوفيكو : أهذا هو المغربي النبيل الذي يصفه شيوخنا جميعاً
بالقدرة في كل شيء؟ أهذه الطبيعة التي لا تزعزعها
عاطفة؟
والتي في قوة رسوخها ما لا يخرقه سهم الصدفة ،
ولا تخدشه رصاصة الحدث؟
ياغو : لقد تغير كثيرا .
لودوفيكو : هل قواه سليمة؟ اليس في عقله خفة؟
ياغو : هو ما هو. ولا يجوز لي أن أتنفس برأيي .
أما ما يمكن أن يكون ــ إذا لم يكن ما يمكن أن يكون
فليته يكونه !
لودوفيكو : ماذا ، أيضرب زوجته؟
ياغو : حقا ، لقد أساء فعلا بذلك . ولكن ليتني أوقن
أن تلك الضربة هي أسوأ ما سيفعل!
لودوفيكو : هل من عادته ذلك؟
أم أن الرسالة أثارت دمه
فدفعته الى هذه الفعلة لأول مرة؟
ياغو : وا أسفاه!
ليس من الشرف أن أنطق
بما رأيت وعلمت . لسوف ترقبه ،

فتدل سبله عليه، لكي
أوفر على نفسي الكلام. ما عليك الا اللحاق به،
ولاحظ كيف سيستمر.
لودوفيكو : يؤسفني أنني خُدعت به.

(يخرجان)

المشهد الثاني
غرفة في القلعة

(يدخل عطيل واميليا)

عطيل : إذن لم تري شيئاً؟

اميليا : ولا سمعت قط، ولا اشتبهت قط.

عطيل : لا بل رأيت كاسيو وإياها معاً.

اميليا : ولكنني ما رأيت أية إساءة، مع أنني سمعت كل حرف صنعه النَفَس بينهما.

عطيل : ماذا، ألم يتهامسا قط؟

اميليا : قطعا لا، يا مولاي.

عطيل : ولا أخرجاك في طريقهما؟

اميليا : أبدا.

عطيل : لكي تحضري مروحتها، قفّازها، خمارها، أو أي شيء؟

اميليا : أبداً يا مولاي.

عطيل : غريب.

اميليا : بوسعي، يا مولاي، رهانا على عفتها،

أن أجعل روحي الرهان. أي ظنّة أخرى، فاصرفها عن فكرك:
إنها تخادع دخيلتك.
وإن يكن أثارها في نفسك أحد الأراذل،
جازته السماء بلعنة الأفعى(7)!
إذا لم تكن سيدتي مخلصة، عفيفة، صادقة!
فما من رجل سعيد في الأرض، وأطهر الزوجات
إنما هي كالغبية بذيئة.
عطيل: إطلبي اليها المجيء هنا. إذهبي.

(تخرج اميليا)

إنها تقول ما يكفي. ولكانت قوادة مغفلة
لو لم تستطع أن تقول ذلك . . . فاجرة حيّالة،
إنها القفل والمفتاح لغرفة من أسرار رذيلة.
ومع ذلك، فهي تركع وتصلي! رأيتها تفعل ذلك.

(تدخل دزديمونة واميليا)

دزديمونة: ما الذي تريد، يا مولاي؟
عطيل: أرجوك، فرختي، تعالي هنا.
دزديمونة: ما الذي تشاء؟
عطيل: دعيني أرى عينيك.
أنظري في وجهي.
دزديمونة: ما الفكرة الرهيبة هذه؟
عطيل: (لأميليا) بعض واجبك، يا سيدة:

دعي الخطاة وشأنهم واغلقي الباب [8].
اسعلي أو تنحنحي عاليا إذا فاجأنا أحد.
مهنتك! مهنتك! هيا، بسرعة!

(تخرج اميليا)

دزديمونة: وأنا جاثية على ركبتي، ما معنى كلامك؟
أفهم عنفا في كلماتك.
إما الكلمات فلا أفهمها.
عطيل: اسمعي، من أنت؟
دزديمونة: زوجتك يا مولاي. زوجتك الصادقة الأمينة.
عطيل: تعالي، إقسمي على ذلك، والعني نفسك، [9]
لئلا الشياطين بالذات، وأنت أشبه بواحدة من السماء،
تخشى الامساك بك ـ ولذا فلتُلعني مرتّين!
اقسمي على أنك شريفة
دزديمونة: ان السماء لتعرف حقا ذلك.
عطيل: ان السماء لتعرف حقاً انك خائنة كالجحيم.
دزديمونة: لمن، مولاي؟ مع من؟ كيف أنا خائنة؟
عطيل: آه دزديمونة، إذهبي! إذهبي! إذهبي!
دزديمونة: ويلتاه من همي وحزني! لماذا تبكي
أأنا محركة هذه الدموع، يا مولاي؟
ان كنت ربما تشتبه في أن أبي
هو السبب في استدعائك،

لا تضع اللوم عليّ. ان كنت فقدته أنت ،
فأنا أيضاً قد فقدته .
عطيل : لو أن مشيئة السماء كانت
ان تبتليني بالنوائب ، لو أنها امطرت
ضروب القروح والمخازي على رأسي العاري ،
وأغرقتني في الفقر حتى شفتّي ،
وسلمتني للعبودية أنا وأقصى ما أؤمل ،
لوجدت في مكان ما من نفسي
قطرة من جَلَد. اما أن تجعلني ، واألماه ،
هدفا ثابتا لهزء الزمن
يشير الي ببنان بطيء لا يتحرك ! . .
ولكن لكنت أتحمل ذلك أيضاً ، حسناً ، حسناً جدا .
إما أن يُقذف بي عن ذاك الذي فيه خزنت قلبي ، ذاك الذي
به عليّ أن أحيا ، أو أُعَدمَ الحياة ،
ذلك الينبوع الذي فيه يدفق سيلي ،
ويغيض بدونه
إما أن يُجعل منه بالوعة تتناكح فيها
ضفادع السم وتتوالد ـ عندها فليتغير محياك
أيها الصبر، أيها الملاك الفتي الوردي الشفتين ،
أجل عندها ، فلتكفهر كما الجحيم !
دزديمونة : أرجو أن سيدي النبيل يعتبرني شريفة .

عطيل : أي والله ، كما ذباب الصيف في المجزرة
إذ ينشط فيها يحط ! إلا أيتها النبتة
الرائعة الجمال ، الزكية الفوح ، التي
يتلذذ الحس بها حتى الألم ــ
ليتك قط لم تولدي !
دزديمونة : وا أسفي ، أي إثم وجهالة اقترفت؟
عطيل : هذا الورق الجميل ، هذا الدفتر البديع ،
هل صنع كي يكتب عليه (عاهرة)؟ ما الذي اقترفت؟
اقترفت؟ يا موحشاً للعموم!
لكنتُ أجعل من خديَّ كورا
يحرق الحياء رمادا
لو تحدثتُ بفعالك . ما الذي اقترفت؟
السماء تسد الأنف عنها ، ويغضّ الطرفَ القمر.
إن الريح الفاسقة التي تقبّل كل ما تلقاه ،
لتهجع في تجاويف باطن الأرض (10)
وترفض سماعها . ما الذي اقترفت؟
أيتها البغي الوقحة!
دزديمونة : والله إنك تظلمني !
عطيل : الست بغياً؟
دزديمونة : لا وحق مسيحيتي !
ان يكن حفاظ هذا الوعاء لسيدي

من كل لمسة أخرى بذيئة غير مشروعة
هو عدم الكون بغياً، فما أنا ببغي.
عطيل : ماذا، الست عاهرة؟
دزديمونة : لا سمح الله!
عطيل : أممكن؟
دزديمونة : آه، غفرت لنا السماء!
عطيل : إصفحي عني إذن!
حسبتك عاهرة البندقية المخادعة
تلك التي تزوجت من عطيل ـــ أنت، يا سيدة،
أنت التي تتولّين النقيض من وظيفة القديس بطرس،
وتحرسين بوابة الجحيم! أنت، أنت، نعم، أنت!

(تدخل اميليا).

إنتهينا من شوطنا. هاك نقوداً لاتعابك.
أرجوك، أديري المفتاح، واحفظي سرّنا.

(يخرج عطيل)

اميليا : وا آسفي، ما الذي يفكّر به هذا السيد؟
كيف حالك، سيدتي؟ كيف حالك، سيدتي الكريمة؟
دزديمونة : والله، نصف نائمة.
اميليا : سيدتي الكريمة، ما به مولاي؟
دزديمونة : بمن؟
اميليا : بمولاي، سيدتي.

دزديمونة : من هو مولاك؟
اميليا : مولاك أنت، سيدتي الحلوة .
دزديمونة : ما لي من مولى أنا . لا تكلميني يا اميليا .
لا أستطيع البكاء، ولا جواب عندي
إلا ما يعطى بالدموع . أرجوك، هذه الليلة،
ضعي على فراشي شراشف عرسي . تذكري .
وادعي زوجك هنا .
اميليا : يا للتغيّر!

(تخرج)

دزديمونة : إني استحق هذه المعاملة . أستحقها جداً
كيف تصرفت حتى بدا له أن يتقوّل
حتى بأصغر الشبهة في أقل ما فعلت؟

(يدخل ياغو واميليا)

ياغو : ما الذي تشائين، سيدتي؟ كيف حالك؟
دزديمونة : لست أدري . من يعلّم الأطفال،
يعلّمهم بلطيف الوسائل وسهل الفروض .
وكان بامكانه أن يعنّفني، لأنني والله
طفلة إزاء التعنيف .
ياغو : ما الأمر، يا سيدتي؟
اميليا : من المؤسف، يا ياغو، ان مولاي مَوْمَسَها،
وقذفها بالمقذع من الفاظ

يعجز القلب الصادق عن تحملها .

دزديمونة : هل أنا تلك اللفظة ، يا ياغو؟

ياغو : أية لفظة ، سيدتي الجميلة؟

اميليا : دعاها بالعاهرة . لو أن شحاذا سكر
لما أطلق تلك التسميات على عشيقته .

ياغو : لماذا فعل ذلك؟

دزديمونة : لست أدري . أنا واثقة من أنني لست كذلك .

ياغو : لا تبكي ، لا تبكي . يا حيف!

اميليا : هل تخلت عن أولئك الخطّاب النبلاء كلهم ،
عن أبيها وبلدها ، عن أصدقائها جميعاً ،
لكي تُدعى بالعاهرة؟ ألا يبكي المرء لذلك؟

دزديمونة : إنه حظي البائس .

ياغو : قاتله الله !
كيف اتته هذه النزوة؟

دزديمونة : الله يعلم .

اميليا : فلأشنق ان لم يكن أحد الأشرار المقيتين ،
أحد الأوغاد المتطفلين الدساسين ،
أحد الحقراء الحّيالين الماكرين ، طمعاً في وظيفة ما ، قد اخترع
هذه الفِرية . وإلا فليشنقوني .

ياغو : بس ، بس . ليس هناك رجل كهذا . مستحيل .

دزديمونة : وإذا كان ، غفرت له السماء .

اميليا : غفر له حبل المشنقة! وقرض الجحيمُ عظامه!
لماذا يدعوها بالعاهرة؟ من يصاحبها؟
في أي مكان؟ في أي زمان؟ في أي شكل؟ أين الاحتمال؟
لقد خدع المغربيَّ نذلٌ مُنحطّ.
نذلٌ دنيء بارز، أحدُ الأوباش.
يا ليتك، يا سماء، تكشفين عن مثل هؤلاء السّفلة
وتضعين في كل يد شريفة سوطا تنهال به
على هؤلاء الأوغاد عُراة وتسوقهم عبر العالم
من الشرق حتى الغرب!
ياغو : خففي من ألفاظك...
اميليا : عارٌ عليهم جميعاً! لا بد أن رجلا من هذا القبيل
هو الذي قلب لك دماغك
وجعلك تشك في مع المغربي.
ياغو : أنت حمقاء. كفى!
دزديمونة : أيها الطّيب ياغو،
ماذا أفعل لأكسب ودّ مولاي ثانية؟
إذهب اليه، أيها الصديق الطيب. لأنني،
وضياء السماء هذا،
لا أعرف كيف فقدته. ها إنني أركع.
فان أكن يوماً قد افتأت بمشيئتي على حبه
بمجرى الفكر أو حقيق الفعل،

أو متّعت عينيّ ، أو أذنّي ،
أو أي حين في ، على أي نحو آخر،
أو إن أكن لا أحبه الآن أعمق الحب
أو ما أحببته ، أو لن أحبه أبداً
(وإن ينفضني عنه في طلاق كطلاق المعدمين)
فلتحرم عليّ الطمأنينةُ وراحةُ البال!
قد تفعل القسوة الكثير،
وقد تحطم قسوتُه حياتي ،
ولكنها لن تنال من حبي بلوثة . لا أقدر أن أقول
«عاهرة» ،
إني أمجّ إذ أنطقها .
ولن تستطيع أباطيل العالم لو كوّمت أن تجعلني
أفعل الفعلة التي تُكسبني تلك التسمية .
ياغو : أرجوك ، كفّي عن القلق . حالة من حالاته وتنقضي .
أشغال الدولة تؤذيه ،
فيقع عليك باللائمة .
دزديمونة : لو لم يكن إلاّ ذاك ـــ
ياغو : ذاك دون غيره ، أؤكد لك .

(نفير من الداخل)

إسمعي : هذه المعارف تدعوك الى العشاء .
رسل البندقية باقون للطعام

أدخلي، ولا تبكي. ستصبح الأمور كلها بخير.

(تخرج دزديمونة واميليا: يدخل رودريغو)

ها، رودريغو؟

رودريغو: أنا لا أرى أنك تعاملني بالعدل.

ياغو: وما النقيض؟

رودريغو: تماطلني كل يوم بحيلة، يا ياغو، وفيما أرى الآن، فانك تحول دون الفرص ودوني أكثر مما تمدني بأقل مغنم للأمل. لن أتحمل ذلك بعد اليوم. وليس ثمة ما يقنعني بأن أرضى صاغراً بما قاسيته حماقة حتى الآن

ياغو: أتريد أن تسمعني، رودريغو؟

رودريغو: والله سمعت أكثر مما ينبغي. لأن كلماتك وأفعالك لا قربى بينها.

ياغو: تتهمني بأشد الظلم.

رودريغو: بالحقيقة دون سواها. لقد أسرفت وبددّت كل ما عندي. والمجوهرات التي أخذتها مني لتسلمها لدزديمونة كانت كفيلة بافساد راهبة. قلت لي أنها تسلّمتها وعدت اليّ بتوقعات تمنّيني بوشيك الاهتمام والتعاريف، ولكني لا أجد من ذلك شيئاً.

ياغو: حسنا، كفى. حسنا جداً.

رودريغو: حسناً جداً! كفى! لا أستطيع أن أكف، يا رجل، ولا الأمر بالحسن جداً.

لا بل أحسب أن الأمر سيىء جداً، وجعلت أرى إنني مَضْحَكَةٌ فيه.

ياغو: حسناً جداً.

رودريغو: أقول لك انه ليس بالحسن جداً. سأعرف نفسي على دزديمونة. فاذا أعادت اليّ مجوهراتي، سأكفّ عن مطلبي واندم على مراودتي غير المشروعة. وإلّا، فثق إنني سأطالبك بالحساب.

ياغو: لقد قلت الكفاية.

رودريغو: نعم وما قلت إلا ما أؤكد نيتي على تنفيذه.

ياغو: آ، الآن أرى أن في معدنك صلابة.

وابتداء من هذه اللحظة سأبني عليك رأياً أفضل مما فعلت أبدا من قبل. أعطني يدك، يا رودريغو. اعتراضك عليّ جد عادل ولكني أؤكد لك إني عالجت قضيتك بأمانة وصراحة.

رودريغو: ليس هذا ما يبدو

ياغو: اسلم حقاً، بأنّ ليس هذا ما يبدو

وارتيابك لا يخلو من ذكاء وحكم. ولكن إن كان فيك حقاً يا رودريغو ما لديّ الآن سبب أعظم من ذي قبل لايماني بوجوده فيك ــ أعني العزم، والجرأة، والبسالة ــ أظهره هذه الليلة.

فاذ لم تتمتع بدزديمونة في الليلة التالية، خذني من هذا

العالم بالخيانة
وابتكر المؤامرات على حياتي.

رودريغو : طيب، ما الموضوع؟ هل تحقيقه في حدود العقل؟

ياغو : سيدي، لقد جاءت من البندقية لجنة خاصة لانابة كاسيو مكان عطيل.

رودريغو : صحيح؟ إذن سيعود عطيل ودزديمونة ثانية الى البندقية.

ياغو : آ، لا! بل سيذهب الى موريتانيا ويأخذ بصحبته دزديمونة الحسناء، إلا إذا طرأ طارىء، يطيل بقاءه هنا. وإزاحة كاسيو هي خير ما يقرر ذلك.

رودريغو : ماذا تقصد بازاحة كاسيو؟

ياغو : أقصد جعله غير قادر على أخذ مكان عطيل ـ تحطيم دماغه.

رودريغو : وهذا تريدني إن أفعله؟

ياغو : نعم، ان تجرؤ على تحقيق مغنم لك وحق لنفسك. سيتعشى هذه الليلة مع مومس، وسأذهب اليه هناك. وهو لا يدري بعد بالشرف الذي أتاه به حظه. فاذا ترقبت أنت خروجه من هناك ـ وهو ما سأدبره بين الثانية عشرة والواحدة ـ بوسعك أخذه كيفما شئت. وسأكون قريباً لتثنيه محاولتك، ولا بد له من السقوط حين يجتمع عليه كلانا. هيا، لا تنذهل، وتعال معي. سأريك

الضرورة في مصرعه ، الى أن تحسبك نفسك ملزماً بتنفيذه. إنها الآن ساعة العشاء، والليل يمر حثيثاً. عليك بها!

رودريغو : أريد أن تسمعني المزيد عن الداعي لهذا.

ياغو : لسوف تقتنع ، ما من ريب.

(يخرجان)

المشهد الثالث
غرفة أخرى في القلعة

(يدخل عطيل، لودوفيكو، دزديمونة، اميليا، ومرافقون)

لودوفيكو : أرجوك، سيدي، الاّ تكلّف نفسك أكثر[11]

عطيل : العفو. التمشّي مفيد لي.

لودوفيكو: سيدتي، تصبحين على خير. جزيل الشكر لسيادتك.

دزديمونة : مع ألف سلامة، يا صاحب السعادة.

عطيل : أتمشى، سيدي؟ آه دزديمونة.

دزديمونة : مولاي؟

عطيل : إذهبي الى فراشك على الفور. سأعود حالاً.
إصرفي مرافقتك هناك.
تأكدي من ذلك.

دزديمونة : سأفعل يا مولاي.

(يخرج عطيل، ولودوفيكو، والمرافقون)

اميليا : كيف الأمور الآن؟ إنه يبدو أكثر لطفاً.

دزديمونة : يقول إنه سيعود في الحال.
وقد أمرني بأن أذهب الى الفراش،

وأهاب بي أن أصرفك .
اميليا : تصرفينني؟
دزديمونة : هذا ما أمر به . ولذا، اميليا الكريمة ،
ناوليني ثياب الليل ، ثم وداعاً .
علينا ألاّ نغضبه الآن .
اميليا : ليتك ما رأيته قط !
دزديمونة : هذا ما ليس اتمناه . إني استحسنه بحبي
حتى لأرى في عناده ، في زجره ، في عبوسه
(أرجوك ، انزعي الدّبوس هنا) ، جمالاً وجاذبية .
اميليا : وضعت تلك الشراشف كما أمرتني على الفراش .
دزديمونة : كله واحد . خواطرنا حمقاء ، والله
إذا متّ قبلك ، رجائي اليك أن تكفّنيني
بأحد تلك الشراشف بالذات .
اميليا : كفى ! كفى ! ما أكثر كلامك !
دزديمونة : كان لأمي خادمة تدعى بربارة ، وكانت تحب . وإذا الذي أحبته
أهوج ،
فهجرها . كانت لديها أغنية عن «صفصافة» .
أغنية قديمة ، لكنها تعبّر عن قسمتها في الحياة ،
وماتت وهي تغنيها . . تلك الأغنية لا تبارح
ذهني هذه الليلة . وعليّ أن أشغل نفسي كثيراً
لكي لا أميل برأسي جانباً

وأغنّيها كالمسكينة بربارة . . أرجوك ، إسرعي .
اميليا : هل أذهب لاحضار غلالتك الليلية؟
دزديمونة : لا إنزعي هذا الدبوس هنا .
لودوفيكو هذا رجل وسيم .
اميليا : بهيّ الطلعة جداً .
دزديمونة : يحسن الكلام .
اميليا : أعرف سيدة في البندقية كانت مستعدة للسير حافية الى فلسطين لقاء لمسة من شفته السفلى .
دزديمونة : (تغني)
جلست الشقية قرب جميزة ،
غنّوا : يا صفصاف ، يا أخضر .
على الصدر يدها ، على الركبة رأسها ،
غنّوا : أيا صفصاف ، يا صفصاف .
والجداول تجري قربها تغمغم أنّاتِها ،
غنّوا : أيا صفصاف ، يا صفصاف ،
ودموعها تتساقط منها ، فتلين حتى الحجارة ــ
إحفظي هذه (تعطيها بعض الحلي) .
غنّوا : أيا صفصاف ، يا صفصاف ــ
أرجوك ، عجلي . حان وقت مجيئه .
غنّوا : صفصافة خضراء إكليلي .
لا تلوموه ، إعراضه حلو لدّي .

لا، ليست هذه الكلمات التالية. إصغي، من الذي يقرع؟

اميليا: أنها الريح.

دزديمونة: قلت لحبي خائن أنت؛ بماذا أجابني؟

غنّوا: أيا صفصافُ، يا صفصاف،

كلما غازلتُ أخرى، ضاجعتِ غيري من جديد.

كفى. هيا، إذهبي. تصبحين على خير، عيني تَحُكّ:

هل ينذر ذلك بالبكاء؟

اميليا: لا ينذر بشيء أبداً.

دزديمونة: سمعتهم يقولون ذلك. آه، هؤلاء الرجال، الرجال!

بربك هل تعتقدين ــ خبّريني يا اميليا ــ

إن هناك نساء يخدعن أزواجهن

على هذا النحو البشع.

اميليا: نعم، لا ريب.

دزديمونة: أتفعلين فعلة كهذه لو أعطيت الدنيا كلّها؟

اميليا: لماذا، ألا تفعلينها أنت؟

دزديمونة: لا، وهذا الضياء السماوي!

اميليا: ولا أنا، في هذا الضياء السماوي،

أفعلها في الظلام.

دزديمونة: أتفعلين فعلة كهذه لو أعطيت الدنيا كلّها؟

اميليا: الدنيا شيء ضخم. وهي ثمن كبير

لذنب صغير.

دزديمونة : لا والله ، لا أظنك تفعلينها .

اميليا : لا والله أظنني قد أفعلها . وأنكرها عندما أنتهي منها . طبعاً لن أفعل شيئاً كهذا لقاء خاتم بحلقتين ، أو لقاء رقعة من أرض معشوشة ،

لا ولا لقاء فساتين أو أردية ، أو قبّعات ، أو هدية صغيرة .

ولكن ، لقاء العالم كله ـــ

رباه ! من هي التي لن تقّرن زوجها

لتجعل منه ملكاً؟ سأجازف

بدخول المطهر لقاء ذلك !

دزديمونة : قاتلني الله ان كنت أرتكب خطأ كهذا

لو أعطيت العالم كلّه .

اميليا : ما أخطأ إلا الخطأ في العالم . وإذا نلت العالم لقاء ما فعلت ، فانه خطأ في العالم الذي هو ملك يديك ، ولك بسرعة أن تصحّحيه .

دزديمونة : لا أعتقد أن ثمة امرأة كهذه .

اميليا : ثمة عشر ، وأكثر . وإضافة اليهن ثمة عدد يكفي

لملء العالم الذي يلعبن لقاءه .

ولكنني أعتقد أن النساء إذا سقطن ،

فالذنب ذنب أزواجهن . فهم قد يتهاونون بواجباتهم ،

ويصّبون كنوزهم في أحضان السّوى .

أو أن غيرة سخيفة تجمح بهم ،

فيفرضون الكبح علينا. أو أنهم يضربوننا،
أو يقلصون مخصصاتنا السابقة كيدا ـــ
ونحن لا نخلو من مرارة: فينا بعض الطيبة،
ولكن فينا الثأر أيضاً، فليعلم الأزواج
إن لزوجاتهم حواس مثلهم. فيهن الرؤية والشّم،
وحلوقهن تتذوق الحلو والحامض،
كالأزواج. ما الذي يفعلونه
عندما سيتبدلوننا بأخريات، أيلهون؟
أعتقد، نعم. وهل طلب المتعة هو السبب؟
أعتقد، نعم. وهل هو الضعف الذي يدفع الى الشطط؟
ذلك أيضاً صحيح. أليس فينا نحن طلب للمتعة،
ورغبة في اللهو، وضعف، كما في الرجال؟
إذن، فليُحسنوا معاملتنا. وإلا فليعلموا،
ما أتينا سيئةً، وإلا وسيئاتهم هي قدوتنا.
دزديمونة: تصبحين على خير. مع السلامة. ألا هدتني السماء
فلا آخذ السوء بالسوء، بل بالسوء أصْلح نفسي!

(تخرجان)

هـوامـش :

(1)هذه هي الضربة القاصمة . التي ينهار عندها عطيل . فيكون كلامه التالي أقرب إلى هذيان الغضب المجنون .

(2)إشارة ياغو إلى أذى الرأس تذكر عطيل بقرون الزوج المخدوع .

(3)يقصد نير الزواج .

(4)يقصد : أيها المتكبر.

(5)الكتاب الذي تسلمه وقرأه .

(6)كلا التيس والقرد مضرب المثل في الشبق .

(7) جاء في سفر التكوين ان الله حكم على الأفعى بأن تزحف على بطنها طيلة أيام حياتها .

(8)يعذب عطيل نفسه بأن يتصور زوجته بغياً ، وهو زائر البغي ، واميليا قوادتها .

(9) في كتابات شكسبير ومعاصريه تعني اللعنة الحكم على الشخص بهلاك روحه وسقوطه إلى الجحيم .

(10)كان يفترض أن الرياح من باطن الأرض . فإذا هجعت . عادت إليه .

(11)يريد عطيل مصاحبة ضيفه إلى مسكنه .

الفصل الخامس

المشهد الأول
شارع

(يدخل ياغو ورودريغو)

ياغو : هنا ، قف وراء هذه المصطبة . إنه قادم في الحال .
أحمل سيفك الماضي عاريا ، واضرب
إسرع ، إسرع ! لا تخف شيئاً . سأكون عند مرفقك .
فإما أن تُعلينا هذه أو تحطّمنا ــ فكّر بذلك ،
واثبت أشد الثبات في عزمك .
رودريغو : كن قريباً مني . قد أخفق فيها .
ياغو : هنا ، على ذراع منك ، تشجع ، وخذ موقفك .

(يقف جانباً)

رودريغو : ما من ودّ عظيم بيني وبين هذه الفعلة ،
ولكنه أعطاني أسباباً مقنعة .
إنه قتيل لا محالة . ضربة من سيفي ، فيموت !
ياغو : لقد أوغرت صدر هذا الصبي الغرير
حتى أخذ يغضب والآن . سواءٌ عندي أيقتل هو
كاسيو ،

أم كاسيو يقتله، أم يقتل كلاهما الآخر:
إني كاسب اللعبة مهما تكن النتيجة. إذا عاش رودريغو
فانه سيطالبني بتعويض كبير
عن الذهب والمجوهرات التي ابتززتها منه
باعتبارها هدايا لدزديمونة.
وهذا يجب ألا يحدث. وإذا بقي كاسيو،
فان في حياته جمالاً يومياً
يجعلني أبدو دميماً. ثم أن المغربي
قد يتكاشف بأمري معه، وفي ذلك خطر عليّ.
لا، يجب أن يموت. ولكن كفى! اسمعه قادماً.

(يدخل كاسيو)

رودريغو: أعرف مشيته. إنه هو. مت يا نذل؟

(يهجم بسيفه عليه)

كاسيو: لكانت تلك الطعنة عدوتي حقاً.
لو لم يكن معطفي أمتن مما تظن[1]ـــ
فلأجرب معطفك!

(يشهر سيفه، ويجرح رودوريغو)

رودوريغو: آه، قتلني!

(يندفع ياغو من موقعه، ويجرح كاسيو في ساقه، ويخرج راكضاً)

كاسيو: تشوهت إلى الأبد. النجدة يا ناس! جريمة، جريمة!

(يقع، يدخل عطيل)

عطيل : صوت كاسيو. إن ياغو ليحفظ كلمته

رودوريغو : يا لي من نذل!

عطيل : أي والله ، تماماً. (2)

كاسيو : النجدة يا ناس! نور! طبيب!

عطيل : إنه هو. ما أروعك يا ياغو، ما أشرفك واعدلك ،
بحسّك النبيل ظلامة صديقك!
إنك قدوتي . محبوبتي ، عزيزك سقط قتيلا ،
وقدرُك اللعينُ يحث الخُطى : أنا قادم ، يا عاهرة .
تلك الرُّقى ، عيناك ، امحّت من قلبي .
وفراشك المُنجس بالفحشاء ، بدم الفحشاء
سيرقط . . .

(يخرج ؛ يدخل لودوفيكو وغراتيانو)

كاسيو : ها يا ناس! أما من حرس؟ اما من مارّة؟
جريمة! جريمة!

غراتيانو : حادث ما . الصرخة رهيبة .

كاسيو : انجدوني!

لودوفيكو : إسمع!

رودريغو : يا للنذل التعيس!

لودوفيكو : إثنان أو ثلاثة يئنون . . . إن الظلام كثيف ،
وقد تكون هذه الصرخات زائفة . لا أحسب من السلامة
إن نهرع للنجدة دون المزيد من الأعوان .

رودوريغو : اما من أحد يجيء؟ إذن سأنزف حتى الموت.

لودوفيكو : أصغ!

(يدخل ياغو حاملاً مشعلاً)

غراتيانو : هنا أحدهم قادماً في قميصه، بمشعل وسلاح.

ياغو : من هناك؟ صوت من هذا الذي يستنجد في جريمة؟

لودوفيكو : لا ندري.

ياغو : أما سمعتما صراخا؟

كاسيو : هنا، هنا! من أجل الله، ساعدوني!

ياغو : ما الأمر؟

غراتيانو : هذا حامل علم عطيل، فيما أعتقد.

لودوفيكو : هو بعينه. فتى عظيم الشجاعة.

ياغو : من أنت هنا، الذي تصرخ هذا الصراخ الإليم؟

كاسيو : ياغو؟ آه لقد كسحني الأنذال، حطموني.
أسعفني.

ياغو : يا لله، الملازم! أي انذال فعلوا بك هذا؟

كاسيو : أظن أن أحدهم قريب هنا،
ولا يستطيع الهرب.

ياغو : يا للأنذال الغادرين!
من أنتما هنا؟ تعالا، ساعدانا. (لغراتيانو ولودوفيكو)

رودريغو : آه، اسعفوني هنا!

كاسيو : هذا أحدهم.

ياغو : يا قاتل! يا حقير! يا نذل!

(يطعن رودوريغو)

رودريغو : يا ياغو اللعين! يا كلباً بلا انسانية! آه، آه، آه.

ياغو : أتقتل الناس في الظلام؟ أين هؤلاء اللصوص السفاكون؟

يا لصمت هذه المدينة! جريمة، جريمة!

أمع الخير أم الشرّ أنتما؟

لودوفيكو : عندما تعرفنا، تعرف قدرنا.

ياغو : سينيور لودوفيكو؟

لودوفيكو : نعم، سيدي.

ياغو : أرجو العفو. هنا كاسيو، جرحه الانذال.

غراتيانو : كاسيو؟

ياغو : أخي، كيف أنت؟

كاسيو : قُطعت ساقي قطعتين.

ياغو : لا، لا سمح الله!

النور، يا سادة. سأضمدها بقميصي.

(تدخل بيانكا)

بيانكا : ما الأمر، يا ناس؟ من الذي كان يصرخ؟

ياغو : من الذي كان يصرخ؟

بيانكا : أوه، عزيزي كاسيو، حلوي كاسيو!

آه، كاسيو، كاسيو، كاسيو!

ياغو : يا عاهرة مفضوحة ــ كاسيو، هل لك أن تشك

في من هكذا شوّهك؟
كاسيو : كلا.
غراتيانو : يؤسفني أن أراك في هذه الحالة. كنت أنوي زيارتك
ياغو : أعيريني رباطاً. هكذا. يا ليت لنا
نقّالة نحمله فيها بيسر من هنا.
بيانكا : يا حسرتي! أغمي عليه كاسيو، كاسيو.
ياغو : يا سادة إنني أشتبه في أن لهذه النفاية
ضلعاً في هذا الأذى. صبرك علينا، كاسيو الطيب
. . . الحِيّ، هنا.
أعطني المشعل. أنعرف هذا الوجه أم لا ؟
وا أسفاه! صديقي ومواطني العزيز.
رودريغو؟ لا. . . نعم، أكيد. يا للسماء! رودريغو!
غراتيانو : ماذا، من البندقية؟
ياغو : هو بالذات، سيدي. هل كنت تعرفه؟
غراتيانو : أعرفه؟ نعم.
ياغو : سينيور غراتيانو؟ أرجو عفوك الكريم!
في هذه الأحداث الدامية عذرٌ لي عن تصرفي
إذ غفلت عنك.
غراتيانو : يسرني أن أراك.
ياغو : كيف أنت يا كاسيو؟ ــ آه كرسي! كرسي!
غراتيانو : رودريغو؟

ياغو : هو، أنه هو. . . (يأتون بكرسي) عافاكم! كرسي!
أرجوكم يا أهل الخير أن تنقلوه من هنا.
وسأحضر طبيب القائد. (لبيانكا)، أما أنت يا سيدتي
فوفري على نفسك الجهد. . . هذا الجريح هنا، يا كاسيو،
كان صديقي العزيز. هل من عداوة بينكما؟
كاسيو : أبداً، بل أنني لا أعرف الرجل.
ياغو : (لبيانكا) ماذا، هل انخطف لونك؟ ـ احملوه
واحفظوه من الهواء.

(ينقلون كاسيو ورودريغو)

لحظة، أيها السيدان ـ هل انخطف لونك، يا سيدة؟
أتلاحظان الرعب في عينها؟
لا، أن تحملقي، سرعان ما سنسمع المزيد. ـ
امعنا النظر فيها. أرجوكما حدِّقا فيها.
أترِيان؟ لا بد للجرم أن ينطق
حتى ولو لم يبق للاستعمال لسان.

(تدخل اميليا)

اميليا : ويْ، ما الأمر؟ ما الأمر يا زوجي؟
ياغو : كاسيو، هجم عليه هنا في الظلام
رودريغو ورجال آخرون هربوا.
كاد يُقتل أما رودريغو فقد تُوفّي.
اميليا : واأسفاه أيها الكرام! اسفي عليك يا كاسيو الكريم!

ياغو : هذه نتيجة معاشرة العواهر. أرجوك اميليا ،
إذهبي واستعلمي من كاسيو أين تعشى هذه الليلة .
(لبيانكا)، ماذا ، اترتجفين لسماع ، ذلك؟
بيانكا : تعشّى في منزلي . ولكنني لا أرتجف لذلك .
ياغو : آ، صحيح؟ آمرك بالمجيء معي .
اميليا : الا خسئت يا عاهرة!
بيانكا : أنا لست عاهرة ، وحياتي شريفة
كحياتك أنت يا من تهينينني هكذا .
اميليا : كحياتي أنا؟ خسئت!
ياغو : أيها الكرام ، لنذهب ونطمئن الى تضميد كاسيو.
(لبيانكا) تعالي ، يا سيدة ، عليك لنا بحكاية أخرى .
اميليا أركضي إلى القلعة ،
وأخبري مولاي ومولاتي بما حدث .
(لغراتيانو ولودوفيكو) تفضلا ، رجاء . (جانبياً) هذه
هي الليلة التي
ستعليني أو تحطّني إلى الأبد .

(يخرجون)

المشهد الثاني
حجرة نوم في القلعة

(دزديمونة في فراشها . يدخل عطيل حاملاً شمعة .)

عطيل : إنه السبب ، إنه السبب ، أيتها النفس[3]
لا تجعليني اسمّيه لك ، أيتها النجوم الطاهرة . . .
إنه السبب . غير أني لن أسفك دمها ،
ولن أخدش ذلك الاهاب الأبيض كالثلج ،
الأملس كرخام التماثيل .
ولكن يجب أن تموت ، وإلا فانها ستخون المزيد من الرجال .
اطفيء النور، ثم . . . اطفىء النور [4]
إذا اطفأتك أيتها الخادمة اللاهبة ،
بوسعي استعادة نورك من جديد
إن أنا ندمت . ولكن إذا أطفأتُ نورك أنت ،
يا أبرع نسق صنعته الطبيعة بروعتها ،
فاني لا أعرف أين تلك النار البروميثية التي[5]
بوسعها إشعالُ نورك من جديد . ان أنا قطفت الوردة
لا أستطيع أن أهبها نمو الحياة ثانية ،

ولا بد لها من ذبول. سأشمها على الشجرة . . .

(يقبّل دزديمونة)

يا نَفَساً عاطراً! يكاد يغري
العدالة بأن تكسر سيفها! قبلةٌ اخرى، واخرى . .
هكذا كوني حين تموتين، فأقتلك.
وأحبّك بعدها . . قبلة أخرى، وهي الأخيرة . .
ما كانت حلاوةٌ قط فاتكةً كهذه. يغلبني البكاء،
ولكنها دموع قاسية . . . هذا الحزن علُويّ،
يضربُ من يحب [6]. . ها هي تستيقظ.

دزديمونة : من هناك؟ عطيل؟

عطيل : نعم، دزديمونة.

دزديمونة : هل ستجيء الى الفراش، يا مولاي؟

عطيل : هل صلّيت هذه الليلة، دزديمونة؟

دزديمونة : نعم، يا مولاي.

عطيل : ان كنت تذكرين أي أثم
لم تصفح عنه رحمة السماء،
فاستغفريها الآن.

دزديمونة : ويحي يا مولاي، ما الذي تعنيه بذلك؟

عطيل : استغفري، واوجزي. سأتمشى هنا.
فأنا لن أقضي على روحك وهي على غير ما أهبة.
لا، لا سمح الله! أنا لن أقتل روحك.

دزديمونة : أتتحدث عن القتل؟

عطيل : نعم .

دزديمونة : إذن فلترحمني السماء !

عطيل : آمين ،.من كل قلبي .

دزديمونة : إذا قلت ذلك ، آمل ألا تقتلني

عطيل : احم !

دزديمونة : ولكن أخافك . لأنك تفتك

حين تتدحرج عيناك هكذا . ولست أدري لماذا أخاف

لأنني لا أعرف أي ذنب . لكنني أشعر أنني خائفة .

عطيل : فكّري بخطاياك .

دزديمونة : إنها الحّب الذي أكنّه لك(7).

عطيل : نعم ، ومن أجل ذلك ستموتين .

دزديمونة : إنه لموت شاذ ذاك الذي يقتل بسبب الحب .

واحسرتاه ، لماذا تعض هكذا شفتك السفلى؟

غضب دموي يهز كيانك كله .

انها نذر الشر. ولكنني آمل ، آمل

إنها لا تشير إليّ .

عطيل : أسكتي ولا تتحركي !

دزديمونة : سأفعل . ما الأمر؟

عطيل : ذلك المنديل الذي كنت أحبّه جداً وأعطيتك إياه ــ

أعطيته أنت لكاسيو.

دزديمونة : أبداً ، قسماً بحياتي وروحي !
أرسل في طلب الرجل واسأله .
عطيل : أيتها الروح الحلوة أحذري ، احذري اليمين الكاذبة !
إنك على فراش موتك .
دزديمونة : نعم ، ولكن لا لأموت .
عطيل : بلى في الحال .
ولذا ، اعترفي صراحة بخطيئتك ،
لأن نكرانك كلّ جزءٍ منها مع القسم
لن يزيح عني أو يخنق في الفكرة الراسخة التي
أئن تحت وطأتها . يجب أن تموتي .
دزديمونة : رباه ارحمني !
عطيل : أقول . آمين .
دزديمونة : وارحمني أنت كذلك . . . لم أسيء اليك
قط في حياتي . لم أحب قط كاسيو
إلا بما تسمح لي السماء به عموماً
أن أحب . وما أعطيته قط هدية .
عطيل : قسماً بالسماء ، رأيت منديلي في يده !
يا امرأة تحنث بيمينها ، انك تحجّرين قلبي
وتجعلينني أدعو ما أنوي فعله
قتلا ، وكنت أحسبه كفّارة .
لقد رأيت المنديل .

دزديمونة : إذن فهو عثر عليه .
أما أنا فما أعطيته إياه قط . أرسل في طلبه .
وليعترف بالحقيقة .
عطيل : لقد اعترف .
دزديمونة : بماذا ، يا مولاي؟
عطيل : بأنه واصلك .
دزديمونة : كيف؟ أحراما؟
عطيل : نعم .
دزديمونة : لن يقول ذلك .
عطيل : لا، لأن فاه قد سُد .
ياغو الأمين قد دبّر ذلك .
دزديمونة : آه، ان خوفي الآن تفسّر.
هل مات؟
عطيل : لو كانت شعراته كلّها حيوات
لكان في انتقامي الكبير شهية لها كلّها .
دزديمونة : يا ويلي! خانوه، ودّمروني . . . (8)
عطيل : ابعدي ، يا عاهرة! أتبكين عليه أمام وجهي؟
دزديمونة : انفني يا مولاي، ولكن لا تقتلني .
عطيل : ارقدي يا عاهرة .
دزديمونة : اقتلني غداً ، دعني أحيا الليلة . . .
عطيل : أبداً، حتى لو كافحت ــ

دزديمونة : ولو نصف ساعة. ولو ريثما أصلّي صلاة واحدة؟
عطيل : فات الأوان . . .

(يخنقها)

دزديمونة : مولاي ، مولاي ، مولاي !
اميليا : (تصيح من الداخل) مولاي ! مولاي ! اسمع
يا مولاي ، مولاي !
عطيل : ما هذا الصوت؟ الم تمت؟ الم تمت تماماً؟
أنا العاتي ما زلت رؤوفا :
لا أريد أن يطول بك العذاب .
هكذا هكذا . . . (9)
اميليا : (من الداخل) اسمع يا مولاي ، مولاي .
عطيل : من هناك؟
اميليا : (من الداخل) مولاي الكريم ، اسمح لي بكلمة معك .
عطيل : نعم ، انها اميليا ــ بعد قليل ! ــ ماتت ــ
لعلها جاءت تنبئني بموت كاسيو.
من هنا الصوت . ها ! أما من حركة بعد؟
ساكنة كالقبر ــ أأُدخلها؟ هل من الخير؟ ــ
أظنها تتحرك ثانية . لا . ــ ما الأفضل؟
إذا دخلت ، فلا بد لها من الحديث إلى زوجتي .
زوجتي ! زوجتي ! أية زوجة؟ لا زوجة لي !
آه ، لا يطاق ! يا للساعة الثقيلة !

لأحسب ان الشمس والقمر ينبغي لهما أن يخسفا الآن ،
وان على الكرة الأرضية المرتعبة
أن تزلزل زلزالها لما سيحل بها .
(من الداخل) أتوسل بأن تسمح لي بالحديث اليك
اميليا : أيها الكريم مولاي!
لقد نسيتك! ، آ ، ادخلي ، اميليا
عطيل : مهلاً ، لحظة . لأسحب الستائر. ـــ
أين أنت؟

(يفتح الباب)

(تدخل اميليا)

ماذا دهاك؟
اميليا : مولاي الكريم ، جريمة قتل نكراء أرتكبت هناك!
عطيل : ماذا؟ الآن؟
اميليا : للتّو ، يا مولاي .
عطيل : هذا اضطراب القمر.
إنه يدنو من الأرض أكثر مما هو دأبه ،
ويحدو بالناس إلى الجنون .
اميليا : مولاي ، قتل كاسيو شاباً من البندقية
يدعى رودريغو.
عطيل : قُتل رودريغو؟
وقتل كاسيو؟

اميليا : لا، لم يقتل كاسيو.

عطيل لم يقتل كاسيو؟ إذن فالقتل نشاز
وعذب الانتقام غدا مّرا . .

دزديمونة : آه ، خيانة ، خيانةً قُتلت !

اميليا : رباه! ما هذا الصراخ؟

عطيل : ماذا، ماذا؟

اميليا : يا ويلتاه! ذاك صوت سيدتي .
النجدة، النجدة، يا ناس، النجدة! آه سيدتي .
تكلمي ثانية :
دزديمونة الحلوة . . آه سيدتي الحلوة، تكلمي !

دزديمونة : موتا بلا جريرة أموت .

اميليا : من فعل هذه الفعلة؟

دزديمونة : لا أحد ــ أنا نفسي . وداعاً .
سلّمي لي على مولاي العطوف . آه، وداعاً . . .

(تموت)

عطيل : كيف يمكن أن تُقتل؟

اميليا : من يدري، واحسرتاه .

عطيل : سمعتها بنفسك . لست أنا القاتل .

اميليا : هذا ما قالته . عليّ أن أخبر الحقيقة .

عطيل : إلى سعير جهنم ذهبت ككاذبة !
أنا الذي قتلتها .

اميليا : إنها ملاك يزداد نقاء على نقاء ،
وأنت شيطان يزداد سواداً على سواد !
عطيل : تحولت إلى الطيش ، وكانت بغّيا .
اميليا : أنت تكذب بحقها . أنت شيطان .
عطيل : خائنة كالماء كانت[10]
اميليا : أنت كالنار أهوج إذ تقول
إنها كانت خائنة . لقد كانت مخلصة كالسماء !
عطيل : وطأها كاسيو. اسألي زوجك .
ألا كان هلاكي في قرار من قاع جهنم أدنى ،
ان لم أنتهج طريق العدالة
إلى الحالة القصوى هذه ! زوجك على علم بهذا كله .
اميليا : زوجي؟
عطيل : زوجك .
اميليا : بأنها خانت رباط الزواج؟
عطيل : نعم ، مع كاسيو. والله لو كانت مخلصة ـــ
لو ان السماء صنعت لي عالماً آخر كهذا
من زبرجد نقي خالص
لما رضيتُ به بديلا عنها .
اميليا : زوجي؟
عطيل : هو الذي أخبرني أول الأمر.
إنه رجل شريف ، يمقت الحمأ

اللاصق بكل فعل قذر.

اميليا : زوجي؟

عطيل : لم هذا التكرار، يا امرأة؟ قلت ، زوجك .

اميليا : (ملتفتة نحو دزديمونة)آه سيدتي ، جعلت النذالة
من الحب اهزوءة!
أزوجي يقول إنها كانت خائنة؟

عطيل : هو نفسه، يا امرأة.
قلت، زوجك . أتفهمين الكلمة؟
صديقي، زوجك، ياغو الأمين، الأمين.

اميليا : ان يقل هو ذلك، ألا فلتتفسخ روحه الخبيثة
نصف حبّه كل يوم! إنه كاذب حتى القلب .
لقد كانت أشد تعلقاً مما ينبغي بزواجها القذر،
القذر. . .

عطيل : ها!

اميليا : افعل أسوأ ما لديك!
بقدر ما لا تليق فعلتك هذه بالسماء
كنت أنت لا تليق بها.

عطيل : أسكتي، خيرٌ لك!

اميليا : ليس فيك من قدرة على الضرّ بي نصف ما
في من قدرة على تحمل الأذى . يا مخدوع! يا مأفون!
يا قاذورة جاهلة! لقد أتيت فعلاً ــ

لا يهمني سيفك. سأفضحك
ولو فقدت عشرين حياة. النجدة! النجدة! النجدة!
قتل المغربي سيدتي! جريمة! جريمة!

(يدخل مونتانو، وغراتيانو، وياغو، وآخرون)

مونتانو : ما الأمر؟ ما الأمر أيها القائد؟
اميليا : آه، هل جئت يا ياغو؟ أحسنت صنعاً،
فراح الناس يقلّدون بجرائمهم عنقك.
غراتيانو : ما الأمر؟
اميليا : كذِّب هذا النذل، ان كنت رجلاً.
يقول انك أخبرته بأن زوجته خائنة.
أنا أعلم أنك لم تقل ذلك. فما أنت بمثل هذه النذالة.
تكلم، لأن قلبي قد طفح.
ياغو : أخبرته بما ظننت، ولم أخبره بأكثر مما
وجد هو نفسه أنه محتمل وصحيح.
اميليا : ولكن هل قلت له يوماً أنها خائنة؟
ياغو : نعم.
اميليا : لقد افتريت عليه فرية مقيتة لعينة،
مونتانو : فريةً، قسماً بحياتي! فريةً خبيثة!
اميليا : خائنة مع كاسيو؟ أقلت، مع كاسيو؟
غراتيانو: مع كاسيو، يا سيدة. اسكتي، اقطعي لسانك!
اميليا : لن أقطع لساني. من واجبي أن أتكلم.

سيدتي راقدة هنا، قتيلة ــ

الكــل : يا ستر السماء!

اميليا : ووشاياتك هي المحرضة على القتل.

عطيل : لا تنذهلوا يا سادة، كلامها صادق.

غراتيانو : يا للصدق الغريب.

مونتانو : يا للفعلة الوحشية!

اميليا : نذالة، نذالة، نذالة!

أفكّر فيها، أفكّر! شممت رائحتها! يا للنذالة...

هذا ما ظننته عندها. سأقتل نفسي فجيعة.

يا للنذالة، النذالة...

ياغو : ماذا، هل جننت؟ آمرك بالذهاب الى البيت!

اميليا : أيها السادة الكرام، اسمحوا لي بالكلام.

من الأصول أن أطيعه، ولكن ليس الآن.

ولعلني، يا ياغو، لن أذهب أبداً إلى البيت.

عطيل : (يقع على فراش زوجته) آه! آه! آه...

اميليا : انكفىء واجأر

لأنك قتلت اعذب بريئة رفعت يوماً عينها.

عطيل : (ينهض). آه، كانت فاسقة...

(لغراتيانو) لم أعرفك، يا عماه. هناك ترقد ابنة أخيك،

وأنفاسها حقاً أوقفتها يداي هاتان، قبل لحظات.

وأنا أعلم أن هذا الفعل يبدو مريعاً جهماً.

غراتيانو: مسكينةٌ دزديمونة! أحمد الله على أن أباكِ قد مات . .
كان زواجك قاتلا له، وإذا الكمد العميق
يقطع خيطه المسن قطعتين. ولو كان الآن حّياً،
لدفعه هذا المشهد إلى اقتراف فعل يائس،
أجل، إلى إقصاء ملاك الخير عنه باللعنة،
والإعراض عن رحمة الله.
عطيل : مشهد يؤسي. غير أن ياغو يعلم
إنها أرتكبت الفعل الشنيع مع كاسيو
ألف مرة. وقد أعترف بذلك كاسيو.
وراحت هي وكافأته على مغازلاته
بإعطائه دليل الحب وعربونه الذي
وهبتها إياه أنا في البداية. رأيته في يده
وهو منديل، هدية قديمة أعطاها أبي لأمي
اميليا : يا لله! يا لقوى السماء!
ياغو : اياكِ! أسكتي!
اميليا : لا بد من البوح، لا بد! أأنا أسكت؟
سأتكلم حرةً طليقة كريح الشمال.
ولئن تعّيرني السماء والناس والشياطين،
لئن تعّيرني جميعاً، فإنني مع ذلك سأتكلم
ياغو : إعقلي واذهبي إلى البيت.
اميليا : أرفض.

(يسلّ ياغو سيفه ويهدّد اميليا)

غراتيانو : عيب!

تشهر سيفك على امرأة؟

اميليا : أيها المغربي البليد، ذلك المنديل الذي تتحدث عنه

لقيته أنا صدفة، وأعطيته زوجي.

لأنه كثيراً ماترجّاني أن اختلسه،

ترجّاني بجدّ واهتمام يزيدان حقاً

عما يقتضيه أمر تافه كهذا.

ياغو : يا عاهرة حقيرة!

اميليا : هي أعطته لكاسيو؟ لا، وا أسفاه، أنا الذي لقيته،

فأعطيته زوجي.

ياغو : تكذبين يا قذرة!

اميليا : والله لست أكذب، لست أكذب، أيها السادة.

أيها الأبلة القاتل! ما الذي يفعل أحمقُ مثلك

بزوجة فاضلة مثلها؟

عطيل : أما من حجارة في السماء

غير التي مع الرعد تُقذف؟ أيها الوغد النادر!

(يهجم عطيل على ياغو، غير أن مونتانو يصده، ويجرده من سلاحه

ويطعن ياغو زوجته).

غراتيانو : سقطت المرأة! لقد قتل زوجته.

اميليا : نعم، نعم. آه، أضجعوني قرب سيدتي.

(يخرج ياغو)

غراتيانو : ذهب ، وزوجته قتيلة !
مونتانو : نذل وأي نذل ! خذ هذا السلاح
الذي نزعتهُ من يد المغربي .
هيا ، احرسوا الباب من الخارج . لا تدعوه يمرّ،
بل اقتلوه إذا اقتضى الأمر . وأنا سألحق بذلك النذل .
لأنه عبدٌ لعين .

(يخرج مونتانو وغراتيانو، مع الآخرين ، ويبقى عطيل واميليا)

عطيل : ما أنا حتى بالشجاع ،
ولكل صعلوك هزيل أن ينزع سيفي مني .
ولكن ما نفع السمعة بعد زوال الشرف؟
فلتذهب كلها .
اميليا : ما الذي أنذرتْ به أغنيتك ، سيدتي؟
اصغي ، اتسمعينني؟ سألعب دور البجعة
وأموت وأنا أتنغّم .
(تغنّي) . . «صفصاف ، يا صفصاف . . . »
كانت عفيفة ، يا مغربي . كانت تحبك ، أيها المغربي القاسي
فلتدرك نفسي النعيم وأنا أقول الحق .
وإذ أقول ما أظن ، أموت ، أموت .

(تموت)

عطيل : عندي سلاح آخر في هذه الحجرة .

إنه سيف من اسبانيا، مسقيّ بجدول ثلجي [11]
آ، ها هو. . . عمّاه! يجب أن أخرج!
غراتيانو: (من الداخل) ان حاولت ذلك، كلّفك غالياً.
لا سلاح لديك، ولا بد من فرض العقاب عليك.
عطيل: أطلّ عليّ وتكلم معي،
وإلا فإنني، رغم إنني أعزل، سأهجم عليك!

(يدخل غراتيانو)

غراتيانو: ما الأمر؟
عطيل: أنظر: لدي سلاح
لم يُعلّق قطٌّ سيفٌ أمضى منه
على فخذ جندي. . . لقد رأيت اليوم الذي
كنت فيه بذراعي الصغير هذا وسيفي الماضي هذا
أشق طريقي خلال موانع أكثر من
موانعك بعشرين مرة. ولكن، يا لباطل التبجّح!
من يستطيع التحكم بقدره؟ ليس الأمر هكذا الآن.
لا تخف، وإن تبصرني مسلّحاً.
هنا خاتمة مطافي، هنا نهاية مرماي
وشارة البحر لأقصى الاقلاع مني [12]
أترتّد فزعاً؟ إنه خوف مضاع.
لوّح قصبة بصدر عطيل،
يتراجع. أين لعطيل أن يذهب؟

والآن. كيف تبدين الآن؟ آه يا فتاةً نجمها النحسُ،
شاحبةً كردائك! حين نلتقي يوم الحساب،
نظرتك هذه ستقذف بروحي من السماء،
فتتلقفّها الشياطين. أباردةٌ، باردةٌ، يا صبيّتي؟
تماماً كعفافك. أيها العبد الملعون!
بالسياط اضربيني أيتها الشياطين
واحرميني هذا المشهد العُلْوي!
اقذفيني في مهب الرياح! اشويني في الكبريت.
اجرفيني في الهاويات السحيقة من نار سائلة!
آه دزديمونة، دزديمونة... ميتة...
آه، آه، آه...

(يدخل لودوفيكو، ومونتانو، وياغو
مقبوضاً عليه، وضباط، وكاسيو
قعيداً في كرسي.)

لودوفيكو : أين هذا المتهوّر الشقي؟

عطيل : هذا هو الذي كان يوماً عطيل. ها أنا ذا.

لودوفيكو : أين ذلك الثعبان؟ احضروا النذل هنا.

عطيل : إني أنظر سُفلاً إلى قدميه(13)ـ ولكنه حديث خرافة.
ان كنت شيطاناً، فلن أستطيع قتلك.

(يطعن ياغو ويجرحه)

لودوفيكو : انزعوا سيفه منه.

(يأخذ الضباط السيف من يد عطيل)

ياغو : أني أنزف، يا سيدي، ولكنني لم أقتل.

عطيل : لن آسف لذلك . أفضل لك الحياة،
لأن الموت، فيما أرى، سعادة.

لودوفيكو : آه يا عطيل، يا من كنت يوماً مثال الطيبة،
لقد وقعت في مكيدة هذا العبد اللعين،
فماذا نقول لك؟

عطيل : أي شيء.
قولوا ان شئتم، قاتل شريف.
فأنا ما فعلت شيئاً بدافع البغضاء، بل الشرف.

لودوفيكو : هذا الحقير قد اعترف ببعض نذالته.
هل اتفقت معه على مقتل كاسيو؟

عطيل : نعم.

كاسيو : قائدي العزيز، ما أعطيتك قط سبباً لذلك.

عطيل : أصدقك، واطلب الصفح منك.
هلا سألتم. أرجوكم، شبيه الشيطان هذا
لماذا أوقع الروح والجسد مني في حبائله هكذا؟

ياغو : لا تسألوني شيئاً. ما تعرفون، تعرفون.
من الآن فصاعداً لن أنطق بكلمة.

لودوفيكو : ماذا، حتى لو بالصلاة؟

غراتيانو : التعذيب سيفتح شفتيك.

عطيل : لا، حسناً تفعل.
لودوفيكو : سيدي ، ستُفهمك ما حدث
وهو فيها أظن ما لا تعرف. هنا رسالة
وُجدت في جيب رودريغو القتيل
وهنا أخرى. فحوى إحداهما
أن مقتل كاسيو يتعهد به
رودريغو.
عطيل : يا للنذل!
كاسيو : هذا الجلف الكافر السّافر!
لودوفيكو : وهنا رسالة أخرى ساخطة
وُجدت أيضاً في جيبه، يبدو أن رودريغو
كان ينوي إرسالها الى هذا النذل اللعين،
غير أن ياغو، على الأرجح، تدخل
في غضون ذلك، واسترضاه.
عطيل : يا لك من لئيم خبيث!
كيف حصلت يا كاسيو على ذلك المنديل
الذي هو منديل زوجتي؟
كاسيو : وجدته في حجرتي.
وهو نفسه قد اعترف قبل لحظات
بأنه أسقطه هناك لمأرب في نفسه
يحقق رغبة له.

عطيل : يا مجنون! مجنون! مجنون!

كاسيو : ثم ان في رسالة رودريغو
تعنيفاً منه لياغو لأنه جعله
يتحداني في أثناء الخفارة، وكان بسبب ذلك
انني فُصلت. وهو ما كاد يتكلم
بعد أن بدا قتيلا لطول مدة ـــ حتى طعنه ياغو، وياغو هو الذي
حرضه.

لودوفيكو : يجب عليك أن تتخلى عن هذه الغرفة وترافقنا
إننا نجردك من السلطة والقيادة،
وكاسيو هو الحاكم في قبرص. إما هذا العبد،
فإن تكن ثمة قسوة بارعة
تعذبه كثيراً وتبقيه طويلاً،
فانه سيذوقها. وأنت ستظل سجينا تحت الحراسة
إلى أن تعلم حكومة البندقية
بطبيعة ذنبك. هيا، هلمّوا بهما.

عطيل : مهلا! كلمة أو اثنتين قبل أن تذهبوا:
لقد أديت للدولة بعض الخدمات، وهم على علم بها
فلا حاجة لقول المزيد عنها. إني لأرجوكم في رسائلكم،
عندما تروون وقائع الشؤم هذه،
ان تتحدثوا عني كما أنا. لا تلطفّوا شيئاً،
ولا تدونّوا شيئاً بضغينة. عليكم عندها ان تتحدثوا

عن رجل لم يعقل في حبه ولكنه أسرف فيه .
رجل ليس حاضر الريبة ، ولكنه إذا أثير
وقع في أشد التخبط ، رجل رمى عنه بيده
(كهندي غبي جاهل) لؤلؤةً
أثمن من عشيرته كلها ، رجل إذا انفعل
درت عينه ، وإن لم يكن الذرف من دأبها ،
دموعاً سراعاً كما تدر أشجار العرب
صمغها الشافي . هذا دوّنوه ،
وقولوا أيضاً إنني مرة في حلب ،
حيث هوى تركّي شريرٌ مُعمّم
على بندقي بالضرب وأهان الدولة ،
أمسكت بالكلب من عنقه
وضربته ــ هكذا !

(يطعن نفسه)

لودوفيكو : يا للخاتمة الدموية !
غراتيانو : كل الذي قاله ، أفسده !
عطيل : (لجثمان دزديمونة) قبل أن أقتلك ، قبّلتك . وما من سبيل آخر ــ
قتلت نفسي ، لأموت على قبلتك .

(يقع على الفراش ويموت)

كاسيو : هذا ما توجست منه ، ولكنني حسبتهُ غير مسلّح ــ
لأنه كان عظيم القلب .
لودوفيكو : (لياغو اولاً) أيها الكلب الاسبارطي[14]،
يا أشرس من كل عذاب أو جوع أو بحر!
أنظر إلى ما حُمِّل هذا الفراش من مأساة .
هذا ما أتته يداك . . إنه مشهد يسمّم العين ــ احجبوه . . .
غراتيانو.
إحرس المنزل ،
واحجز أموال المغربي
لأنك أنت وارثها[15]إما أنت أيها السيد الحاكم ،
فعليك تبقى محاكمة هذا النذل الجهنمي .
الموعد ، والمكان ، والتعذيب ــ عليك بها !
اما أنا فسأركب السفينة في الحال ، لأروي
للدولة ، بقلب فاجع ، قصة هذه الفاجعة .

(يخرجون)

هــوامــش :

(1)يلبس كاسيو درعاً حديداً تحت معطفة .

(2)يتصور عطيل أن قائل العبارة السابقة هو كاسيو.

(3) لقد هدأت ثائرة عطيل . وقرر أن يقتل دزديمونة ليس انتقاماً، بل عقاباً يقتضيه العدل كما يراه هو. ولذا فانه يؤكد على «السبب». على الجريمة التي لا بد لها من قصاص ، لا لأنها اقترفت ضده ، بل ضد الحق .

(6) عندما يقول عطيل إنه سيطفيء الشمعة ، يتذكر إن الحياة أيضاً كالشمعة ، سيطفئها ، الاشارة الى حياة الانسان «كشمعة وجيزة» نجدها أيضاً في كلام مكبث عند سماعة بموت زوجته .

(7)سرق بروميثيوس النار من السماء ليحيي صورة صنعها من طين . فضلاً عن أنه أراد أن يجعل النار في خدمة الانسان .

(8)هذا الحزن كحزن الله إذ يضرب الخاطىء من أجل خطيئته ، مع أن الله يحبه .

(5)إشارة الى أن عبادة البشر الفاني تعتبر خطيئة بحق الله .

(6) تقصد دزديمونة أن كاسيو راح ضحية للخيانة من أناس لا تعرفهم، ولن يكون بوسعها أن تستدعيه ليشهد على براءتها . أما عطيل فيحمله على معنى آخر، كأنها تقول أن علاقة كاسيو بها قد افتضحت بخيانة من الآخرين ، وإن نهايتها لذلك هي الدمار.

(9)يقول ذلك وهو يزيد من ضغطه بالوسادة على وجه دزديمونة .

(10) يتخذ الماء شكل الاناء الذي يوضع فيه. فهو إذن متقلب ولا يخلص لشكل معين .

(11)كانت السيوف الاسبانية مشهورة ، ولا سيما سيوف بلباو وطليلطلة ، وكانت تسقى بمياه ببرودة الثلج .

(12)شارة البحر هي المنارة . أو أي معلم على الساحل يدل الملاح على أنه قد بلغ منتهى رحلته .

(13) ليرى إذا كانت قدماه مشقوقتين، كقدمي الشيطان. إذ تروي الأساطير أن للشيطان ظلفين مشقوقين .

(14) يبدو أن الاشارة هي الى شراسة الكلاب الاسبارطية ، وكذلك الى رباطة جأش الاسبارطيين وهم في أحرج الحالات وآلمها .

(15)مما يدل على أن عطيل كان نبيلاً ذا غنى ومكانة ، لا محض مغامر.

الفهرس

الفصل الرابع

الفصل الخامس

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية، الجزائر
2007
Achevé d'Imprimer sur les Presses
ENAG, Réghaïa
- Algerie -
Bp 75 Z.I. Réghaïa Tél. : 021 84 80 10/84 86 11



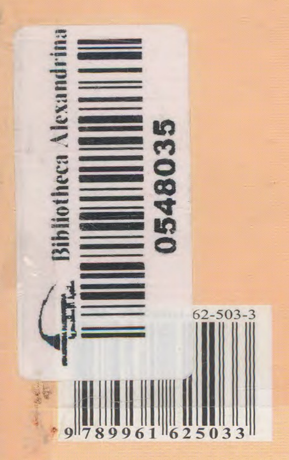
هاملت

متبوع بـ :

عطيل

" لا يكاد يقترب منه (شكسبير) باحث أو ناقد، كيفما كان موقفه منه ومن عبقريته الفريدة، حتى تنتابه الحيرة أمام عمق أفكاره، وسعة مداركه في كل ما يتناوله من موضوعات، يصل بها إلى أدق الخواطر، وأبلغ العواطف والمشاعر وكأنه يستخرجها من أغوارٍ في أعماق النفس الانسانية لا يعرفها غيره".

أبو العيد دودو



62-503-3
9 789961 625033



Designer : Med ZOUAOUI